جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية
تاريخ
تاريخ معاصر

رقم: .....

إعداد الطالب:
ناجية خرقاق

يوم: 25/06/2018

إسهامات احمد توفيق المدني بعد الإستقلال (1962-1983م).

لجنة المناقشة:

توريريت مصطفي	أ.مس أ	جامعة بسكرة	رئيس
بوخلفي قويدر جهينة	أ.مح ب	جامعة بسكرة	مناقشة
بوطرفة الصادق	أ.مس أ	جامعة بسكرة	مقرر

السنة الجامعية : 2017- 2018

شکر و عرفان

شكر وعرفان

الشكر للمولي عزوجل الذي أنعم علي لإتمام هذا العمل

ولقول رسول الله – صلي الله عليه وسلم- "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

لذا أتقدم ببادئ الشكر لوالدي اللذين كنا شمعة أضاءت لي درب حياتي

كما أتقدم باسمي آيات الشكر والعرفان والتقدير للأستاذ الصادق بوطرفة,

المشرف على هذا العمل العلمي,والذي أمدني بتوجيهاته السديدة لي حتى اكتمل

هذا البحث وبلغ تمامه

وأتمنى له دوام الصحة والعافية

كما أوجه شكري لكل الأساتذة المشرفون على مناقشة المذكرة

وأتقدم بخالص الشكر إلى كل من دعمني علميا ومعنويا واختص بالذكر:

الأستاذ حوحو رضا, الطيب ألعقبي, بلعطار رؤوف, عفاف خرفي, نسيمة خمخام

والى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل...بنصيحة أو كلمة طيبة

ولا ننسى في الأخير شكر زملائنا في الدفعة.

إهـــــــداء

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك يا رحمان يا رحيم

إلى منارة العلم والإمام المصطفي إلى من بلغ الرسالة وادي الأمانة...ونصح الأمة

إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهبة والوقار...إلى من علمني العطاء بدون انتظار...

وإلى من احمل اسمه بكل افتخار...إلى من أنار دربي وكان نعم الناصح والقائد...إلى من

كان معي في كل خطوة أخطوها بتشجيعه ودعمه...إلى من كان ولا يزال سندي في

الحياة...إلى الذي كان لي القدوة الحسنة وعلمني أن ركيزة الحياة المحبة والإخلاص

والصبر...إلى الذي لم يبخل عليا بكل ما يملك في سبيل نجاحي أبي ألسبتي أطال الله في

عمرك

إلى ملاكي في الحياة... إلي معنى الحب والى معنى الحنان والتفاني

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي...

إلى اغلي الحبايب أمي فاطمة أطال الله في عمرك

إلى من عيناي لم ترى اغلي منهم...أرى فيهم متعة الحياة, هم ألوان حياتي

أخواتي :وسيلة, عبلة,عادل, ليلى, رباب,اشرف, الهام

إلى الذين حملتهم لي طيات الأيام...وكانوا من الدنيا أفضل وسام

إلى صديقاتي: عفاف, فايزة, رونق, رحاب, نسيمة, حنان, كاملة,خولة, يمينة, سارة, منال

إلى كل من دارسني أو علمني حرفا...إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

إلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكراتي...

مـــــقـــــدمـــــة

مقدمة:

لقد ورثت الجزائر إبان الاستقلال قاعدة هشة في كل المجالات، غير أن تضافر جهود الأمة الجزائرية وخاصة منها الطبقة المثقفة عملت على النهوض بالدولة الجزائرية المستقلة.

وعليه فقد ارتبط بناء هذه الدولة بجهود أقطاب بارزين من أبنائها الذين تركوا بصمات واضحة في مسار بناء الدولة الجزائرية المستقلة، وكان لهم الأثر الكبير في بعث نهضتها الفكرية والثقافية على وجه الخصوص، وذلك لإزالة بقايا أثار الاستعمار الفرنسي، ومحاولة إعادة كيان الأمة الجزائرية بكل مقوماتها الشخصية.

ومن بين هذه الأقطاب الفكرية نجد "**أحمد توفيق المدّني**" والذي كان له دوراً بارزاً في التعريف بالقضية الجزائرية والدفاع عنها إبان الاستعمار، كما له الفضل العظيم في المساهمة في بناء الدولة الجزائرية المستقلة. وعليه سنسلط الضوء من خلال بحثنا هذا عن شخصية توفيق المدني، وعلى وجه الخصوص جهوده في الجزائر بعد الاستقلال. وهنا نركز على أهم المناصب التي تقلدها خلال هذه الفترة التي اختلفت، وهو ما جعل هذه الشخصية تتميز على غيرها، حيث جمع بين الجهد الديني والثقافي والسياسي، وبذل جهوداً معتبرة يشهد لها تاريخ الجزائر، بالإضافة إلى مورثه الفكري الذي تركه ومن بينه مذكرات "**حياة كفاح**" المتضمن ثلاث أجزاء، والذي تناول فيه كفاحه في "**تونس والجزائر**".

غير أن هناك من الشخصيات الوطنية البارزة التي تجرأت وطعنت وشوهت شخص أحمد توفيق المدّني، غير أن هذا الأخير، قد ردَّ على هذه الانتقادات بإصدار كتاب تحت عنوان "**رد الأديب على حملة الأكاذيب**" الذي حاول من خلاله إماطة اللثام على كل ما وجه له من انتقادات كاذبة.

والحق أن اختيار موضوع إسهامات أحمد توفيق المدني، يعكس في الحقيقة الدور الكبير الذي لعبته هذه الشخصية الوطنية في الجزائر المستقلة، حيث أردت الوقوف على أهم انجازاته في الساحة الثقافية والسياسية بالإضافة إلى إنتاجه الفكري بعد الاستقلال.

1. **أسباب اختيار الموضوع:**

- الرغبة الشخصية في البحث عن تراجم الأعلام والشخصيات.
- التعرف على أهم مؤلفات الشيخ "المدني" في فترة الاستقلال باعتباره أحد رواد المدرسة التاريخية.
- غياب دراسة أكاديمية خاصة بالشيخ "المدني" في مرحلة الاستقلال، حيث أن جل الدراسات تتحدث عن إسهاماته الثقافية والسياسية في تونس والجزائر في الفترة الاستعمارية.
- محاولة معرفة خلفيات وحقيقة الانتقادات الموجهة إليه من قبل بعض المعاصرين للحركة الإصلاحية بالجزائر وذلك بحثاً عن الحقيقة والحياد الموضوعي.

2. أهداف الموضوع:

- إماطة اللثام عن بعض الشخصيات الفكرية والسياسية في الجزائر، التي لم ينصفها التاريخ خاصة بعد الاستقلال.
- إبراز دور أحمد توفيق المدّني في الجزائر المستقلة على الصعيد الثقافي والسياسي.
- محاولة تسليط الضوء على الأساليب التي سلكها الشيخ المدّني من خلال معالجة القضايا الوطنية الكبرى.
- إبراز الأساليب التي استعملها المدّني من خلال الدفاع عن الانتقادات الموجهة إليه من قبل بعض المعاصرين.

وعليه تمحورت "**إشكالية البحث**" في:

- إلى أي مدى ساهم أحمد توفيق المدّني في خدمة الجزائر المستقلة من خلال جهوده الثقافية والسياسية؟ وتندرج تحتها عدة "**أسئلة فرعية**":
- من هو أحمد توفيق المدّني؟ وما هي أهم المذكرات التي ساهمت في إثراء فكرة وتكوين شخصية؟.
- فيما تمثلت نشاطاته الثقافية والسياسية بتونس والجزائر؟.
- كيف فهم التاريخ ووظفه لخدمة الوطن؟ وكيف رد على أطروحات مؤرخي المدرسة الكولونيالية؟ وما هي الأصداء التي تركتها مؤلفاته؟.

3. عرض الموضوع:

لمعالجة هذه الإشكالية ارتأيت إلى الخطة التالية التي استهليناها بمقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة، وملاحق وأخيرا فهرس الموضوعات، تتصل كلها اتصالا وثيقا بالموضوع.

تطرقت في **المقدمة:** إلى التعريف بالموضوع، وأسباب اختياره، والإشكالية والاستفهامات المراد مناقشتها والمناهج الموظفة في الدراسة، كما ذكرت ببعض الصعوبات التي واجهتني، بالإضافة إلى ذكر أهم مصادر البحث ومراجعه.

ثم بدأت الموضوع **بالفصل التمهيدي** الذي جاء تحت عنوان: "**الأوضاع العامة للجزائر بعد الاستقلال من 1962- 1965م**"، وقسمته إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأوضاع السياسية تناولت فيها الحالة السياسية للجزائر بعد الاستقلال، بدءا بأزمة الصائفة والتي كان بن بلة أحد أطرافها بعد إطلاق سراحه وسراح المعتقلين الخمسة بعد إعلان وقف إطلاق النار

وتطرقت إلى كيفية وصول بن بلة إلى رأس السلطة، بالإضافة إلى صراعه مع وزير دفاعه بومدين وكيفية الانقلاب عليه والزج به في السجن.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية تحدثت فيه عن الوضع الاقتصادي في عهد بن بلة، وتكلمت فيه عن المجهودات التي بذلها الرئيس بن بلة من أجل النهوض بالاقتصاد الوطني في تلك الفترة رغم جملة الصعوبات والعراقيل التي واجهته.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية وقد خصصته للتنوع السكاني والانفجار الديمغرافي بعد عام 1962م، والتي هي في الحقيقة عبرة لما خلفه الاستعمار بعد خروجه من الجزائر. كما عرفت بواقع الصحة بعد خروج الاستعمار الذي كان أليما جدا شأنه في ذلك شأن كل الأوضاع على اختلاف أنواعه. واستعرضت في هذا المبحث أيضا واقع التعليم في الجزائر، والمجهودات المبذولة للخروج بمجتمع ورث الجهل والأمية في العهد الاستعماري إلى إطارات جزائرية حملت على عاتقها مسؤولية البناء والتشييد.

ثم عرجت إلى **الفصل الأول:** "**أضواء على النشأة الاجتماعية والمسار الفكري والسياسي للمدني (1899-1962)**"، وقسمته إلى خمس مباحث:

المبحث الأول: المولد والنشأة تناولت فيه مولد أحمد توفيق بتونس ونسبه وأصل عائلته، ونشأته الأسرية والاجتماعية.

المبحث الثاني: تكوينه الدراسي وأوضحت فيه نوعية التعليم الذي تلقاه أحمد توفيق المدني في المؤسسات العلمية والتقليدية والعصرية، وذلك منذ دخوله الكتاب.

المبحث الثالث: نضاله في تونس وتطرقت فيه إلى بدايات تجربته الصحفية بنشر المقالات، ثم بداية اهتمامه بتأليف ودخوله معترك النضال السياسي، وتصادمه مع الإدارة الاستعمارية مما قاده إلى السجن، وتأثير ذلك على مساره الثقافي والسياسي حيث ازدادت حيويته، كما درست فيه خلفيات قرار إبعاده، وكيف تعامل معها.

المبحث الرابع: نضاله في الجزائر والذي تحدثت فيه عن دور الرجل في الميدان الصحفي بالجزائر بالتركيز على صحيفتي البصائر والشهاب، حيث لعب دور فعالا فيهما، بالإضافة إلى ذلك أشرت إلى نشاطاته السياسية والوظائف والمسؤوليات التي تقلدها أحمد توفيق المدني.

المبحث الخامس: نماذج من إسهاماته في بعث الذاكرة التاريخية الوطنية وذكرت فيه التراث الفكري للرجل والذي ساهم من خلاله بإثراء المكتبة الجزائرية من خلال تلك المؤلفات القيمة التي خلفها.

ثم انتقلت إلى **الفصل الثاني:** "**إسهامات أحمد توفيق المدني في الجزائر المستقلة (1962- 1983م)**" والذي تناولته في أربعة مباحث:

المبحث الأول: وظائفه الرسمية في أجهزة الدولة أشرت فيه إلى المسؤوليات التي تولها بعد الاستقلال كوزير للأوقاف، وسفير في عدد من البلدان، ليختم مشواره بالمركز الوطني للدراسات التاريخية.

المبحث الثاني: موقفه من القضايا الوطنية الكبرى، وتحدثت فيه عن قضيتين هامتين شكلتا محور نقاش وجدال وهما انتهاج سياسة التعريب، وتطبيق النهج الاشتراكي.

المبحث الثالث: مذكرات حياة كفاح وردود الفعل الوطنية، وبينت فيه الأسباب التي أدت بالمدني إلى إصداره مذكراته وتحليل طبعتها وخلفياتها.

المبحث الرابع: ردوده على الانتقادات المواجهة إليه وتعرفت فيه على ردود الشيخ المدني على الحملة التي ضمها كتاب لازال مخطوط، وعالج فيه مواطن الانتقاد، مقدما الشواهد والحجج المؤيدة لما أورده.

أما **خاتمة البحث:** فحاولت من خلالها عرض نتائج الدراسة في شكل ملخص للبحث، وقد دعمت البحث بملاحق، ثم قمت بسرد قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الرسالة، وفي الأخير عرض لفهرس الموضوعات.

4. مناهج البحث:

لقد اعتمدت في هذا البحث على المناهج التالية:

- **المنهج التاريخي الوصفي:** وقد استخدمته في تتبع الأحداث التاريخية ووصفها وترتيبها حسب التسلسل الزمني في تتبع حياة الرجل وأعماله.
- **المنهج التحليلي:** وقد سلكته عندما قمت بعرض وتحليل الأحداث وآثار المؤرخ وكذا مواقفه، واستنتاج الحقائق بكل موضوعية بعيدا عن التحيز والذاتية.

5. المصادر والمراجع المعتمدة :

أولا: المصادر

أ- الكتب:

- مذكرات حياة كفاح للمدني بأجزائه الثلاثة: واعتمدت عليه في المولد والإسهامات الفكرية والسياسية للمدني بتونس.
- كتاب رد الأديب على حملة الأكاذيب: اعتمدت عليه في ردوده على الانتقادات الموجهة إليه.
- كتاب الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة لعبد الرحمان بن العقون: وظفته في إثارة بعض القضايا المتعلقة بنشاطه السياسية بالجزائر.

ب- المجلات والصحف:

- **جريدة البصائر:** اعتمدت عليها في المبحث الخامس من الفصل الأول من خلال دراستي لتراثه الفكري.
- **جريدة الشهاب:** اعتمدت عليها في المبحث الرابع الذي تحدثت فيه على إسهاماته الثقافية بالجزائر.

ثانيا: المراجع

- عبد الكريم بوصفصاف "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين": اعتمدت عليه في نشاط المدني في الجمعية.
- أبو القاسم سعد الله "تاريخ الجزائر الثقافي" تناول مؤلفات المدني وإن كان بشكل مختصر.
- بوطيبي محمد "دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية": استفدت منه في البدايات الأولى لنشاطه الفكري والسياسي لأحمد توفيق المدني بتونس.
- محمد الصالح صديق "أعلام من المغرب العربي الجزء الثالث": واستفدت منه في التعريف بشخصية المدني وأعماله.

6. صعوبات الدراسة:

يواجه كل باحث جملة من الصعوبات والعراقيل أثناء انجازه لدراسة تتطلب منه صبر كبير وإرادة صلبة ومن هذه الصعوبات نذكر:

- صعوبة التنسيق بين المصادر والمراجع التي تحتوي على معلومات متشابهة ومتداخلة فيما بينها، صعب علي عملية التنسيق والترتيب لإيجاد معلومات متتالية ومترابطة تمكن القارئ من الإستعاب والفهم.
- قلة المصادر والمراجع التاريخية التي عالجت الموضوع بشكل مفصل وشحها في الكثير من الجزئيات خاصة في فترة ما بعد الاستقلال.
- تضارب الشهادات والروايات في العديد من القضايا التي كان الشيخ المدني أحد الفاعلين فيها، خاصة فيما تعلق بنشأة جمعية العلماء المسلمين وعضويته في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، والموقف من اندلاع الثورة والانخراط فيها، وغيرها من نقاط الاختلاف التي جاء بها التيار الذي تزعم حملة الانتقاد وضمنها في كتاب "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح" وذلك ردا على إصدار المدني لمذكراته" حياة كفاح".

المدخل التمهيدي:

الأوضاع العامة للجزائر بعد الاستقلال (1962_1965م)

1. **المبحث الأول:** الأوضاع السياسية
2. **المبحث الثاني:** الأوضاع الاقتصادية
3. **المبحث الثالث:** الأوضاع الاجتماعية والثقافية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية (1962_1965م)

لقد عرفت الجزائر سنة 1962م، فترة انتقالية من وقف إطلاق النار إلى إجراء الاستفتاء مرحلة حاسمة لطرفي النزاع تخللها كثير من الصعوبات، وكان على قيادة الثورة أن تستعد لمجابهة المرحلة القادمة بكل حزم وحكمة، وقد استطاعت أن تكتسب إلى جانبها "عبد الرحمان فارس" رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة لتنفيذ سياستها وتتجاوز المخططات الفرنسية، وبدأت تحضيراتها لوضع تصورات سياسية وإيديولوجية واقتصادية للدولة المستقلة، ففي فترة ما بين 25 ماي_7 جوان 1962م، اجتمع المجلس الوطني للثورة لدراسة مسألتين، الأولى تتعلق بميثاق الدولة المستقبلية، والثانية تشكيل قيادة جديدة للثورة.

لقد كفلت لجنة بإعداد تلك الأرضية السياسية التي أصبحت تعرف ببرنامج طرابلس، والتي حاولت تحليل وضعية المجتمع الجزائري المزرية، واقترحت على ضوءها مشروع أرضية عمل لإنجاح الثورة الديمقراطية الشعبية التي يقودها الحزب الواحد وتعتمد خيار الاشتراكية. وعلى الرغم من أهمية برنامج الدولة المستقبلي فإن المجتمعين لم يقفوا أمامه طويلاً وصادقوا عليه لينتقلوا إلى المسألة الثانية الأهم بالنسبة إليهم والخاصة بتشكيل القيادة الجديدة[1].

وقد كان الصراع على السلطة في أوجه، حيث قرر تحالف هيئة الأركان _ "**ابن بلة**"(*) الانقلاب على "**الحكومة المؤقتة**"(*)(*) خلال هذه الدورة، فاقترح إنشاء مكتب لجبهة التحرير الوطني يتولى السلطة بدل الحكومة، وحرص على أن يضم العناصر الموالية له، وعلى الرغم من انفضاض الاجتماع دون حسم الأمر فإن التحالف الذي أصبح يعرف بتحالف تلمسان سعى لفرض نفسه بأساليب ملتوية وباستعمال القوة، وقرر بعد أن جمع التوقعات اللازمة لإثبات مشروعيته الدخول على ظهر دبابات جيش الحدود للاستيلاء على السلطة، وقد

---

[1]/ مقلاتي عبد الله، **المشروع الفرنسي، الصليبي الاحتلال للجزائر ، وردود الفعل الوطنية (1830– 1962)**، منشورات سعيدي نايل، الجزائر، 2013، ص، ص490، 491.

(*) أحمد بن بلة: ولد عام 1916 في بلدة مارنيا من الحدود المغربية، وبعد أن بلغ من العمر خمس عشر انخراط في حزب الشعب الجزائري، وقاد بعد ذلك رفقة تسعة من رفاقه انشقاقا داخل الحزب بسبب الخلاف مع مصالي وشكلوا حزب الوحدة والعمل، التحق بالوحدة العسكرية الإلزامية في الجيش الفرنسي بين عامي 1937_1940م، ثم استدعي للمرة ثانية في 1943م التحق بفرقة المشاة لشمال إفريقيا، وعند اندلاع الثورة كلف بمهمة التسليح والتمويل إلى غاية اعتقاله في أكتوبر 1956م، ولم يفرج عنه إلاّ في 19 مارس 1962م، وفي 08 سبتمبر 1963م، تمت المصادقة على الدستور الذي وضعه أنصاره، وانتخب بن بلة المرشح الوحيد رئساً للجمهورية، وتوفي سنة 2012م للمزيد ينظر: بن بلة أحمد، **مذكرات أحمد بن بلة، ط03**، ترجمة: العفيف الأخضر، منشورات دار الآداب، بيروت، 1981، ص، ص5_9.

(**)الحكومة المؤقتة: أعلن عن تأسيسها يوم 19 أيلول 1958م في القاهرة وكان يوم تأسيسها يصادف اليوم الـ"16 14" من أيام الثورة، أما الهدف الذي أنشئت من أجله فيلخصه السيد أحمد توفيق المدني في قوله: المقصود منها إقناع الرأي العام العالمي بأن المفاوض الجزائري موجود وهو يظهر رغبته في الاتصال ضمن مفاوضات رسمية بالحكومة الفرنسية على مقتضى الشروط التي أعلنتها الثورة ... والمهمة الأساسية هو تحقيق الاستقلال للمزيد ينظر: زغيدي محمد لحسن، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (1956– 1962)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص222.

عارضت الحكومة المؤقتة وأغلب قادة الولايات تحالف تلمسان، ومن التجاذب السياسي تحول الأمر إلى مجابهة عسكرية في تخوم الولاية الرابعة وداخل مدينة الجزائر، وحسم الصراع لصالح تحالف تلمسان الذي استولى على السلطة[1].

ومن بين أعقد الصعوبات التي واجهت قيادة الثورة التحريرية احتدام الأعمال الإجرامية لمنظمة الجيش السري الإرهابية، حيث سعى غلاة المستوطنون والعسكريون للقيام بعمليات عسكرية لتعطيل مسار المرحلة الانتقالية ونسف مشروع الاستقلال، وتحولوا لأعمال القتل والحرق العشوائية مضيعين بذلك فرصة التعايش السلمي التي أقرتها اتفاقيات ايفيان بين الجزائريين والمستوطنين الأوربيين، كما واجهت قيادة الثورة صعوبات أخرى عملت على تلبيتها بالتعاون مع رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة، منها مخطط تشكيل القوة المحلية من الجنود المسرحين من الجيش الفرنسي، وهم بأعداد كبيرة ولهم ميول فرنسية، كان مهمتهم في المرحلة الانتقالية في غاية الحساسية والخطورة، وقد شكل بعض قادتهم بإيحاء من الضباط الفرنسيين جبوب تمرد أثارت كثيراً من الاضطرابات وخاصة منها مناوبة "سي شريف" بعين يوسيف وحركة "عبد الله السلمي المصالي" ببسكرة.

وهكذا يتبين لنا أن الطريق إلى الاستفتاء يوم 01 جويلية 1962م لم يكن ميسراً، ولكن نتائجه كانت حاسمة في تأكيد مطلب الاستقلال، حيث صوت غالبية الجزائريين لصالح الاستقلال. مما اضطرت فرنسا رسمياً لاعتراف باستقلال الجزائر يوم 03 جويلية 1962م، واختارت قيادة الثورة يوم 05 جويلية عيد للاستقلال، فكان يوماً حاسماً في تاريخ الجزائر، يرمز إلى الانتصار على قوى الإستدمار التي جثمت على أرضه مدة 132 سنة ويؤرخ إلى نجاح حركة تحررية ثورية على استعمار استيطاني جائر[2].

فبعد الإعلان عن نتيجة استفتاء الاستقلال بنعم للاستقلال وذلك يوم 02 جويلية 1962م، اعترفت الحكومة الفرنسية في 03 جويلية باستقلال الجزائر[3].

غير أن استقلال الجزائر لم يضع حد للنزاعات، فعقب التوقيع على اتفاقية ايفيان، ووقف إطلاق النار وإطلاق سراح المساجين الخمسة من سجن تجددت الصراعات بين مختلف الزعامات في الداخل والخارج السياسية منها والعسكرية، ولكن بأكثر حدة هذه المرة لأنها تتعلق بالجزائر ما بعد الاستقلال والمنتصر هذه المرة سيكون رئيساً للجزائر المستقلة دون شك[4].

---

[1]/ مقلاتي عبد الله، **المرجع السابق**، ص، ص491، 492.

[2]/ **المرجع نفسه**، ص، ص492، 493.

[3]/ العمامرة سعد بن البشير، **هواري بومدين الرئيس القائد (1932- 1978)**، قصر الكتاب الجزائر، 1997م، ص 46.

[4]/ الزبيري الطاهر، **نصف قرن من الكفاح، مذكرات قادة أركان جزائري**، دار الصحافة فريد زرويوش، الجزائر، 2011، ص12.

وقد بدأت هذه الصراعات بعد إطلاق سراح المساجين الخمسة، حيث أخذت الحرب الإيديولوجية بين الأطراف المتسابقة على السلطة أبعادا وأشكالا أخرى، فعندما نزل بن بلة بمطار تونس صرح بشكل غريب واستفزازي قائلاً: " نحن عرب، نحن عرب، نحن عرب" فأثار بذلك النعرة العرقية والجهوية في منطقة القبائل بعد ما كانت هذه النعرة غائبة تماماً في المنطقة. وكان هدف بن بلة من هذه الكلمات وإبعاد "**كريم بلقاسم**"(*) عن المناطق الأخرى من البلاد وحصرهم في مناطق القبائل كما هي محاولة منه لكسب دعم أكبر من "**جمال عبد الناصر**"(*)(*) رغم أن القاهرة وإعلامها هي التي صنعت منه زعيماً للثورة الجزائرية طيلة سبع سنوات ونصف[1].

وأخذ الديماغوجية والمزايدات والفضاءات الإيديولوجية للصراع على السلطة منحنى آخر باتهام بن بلة و"**بومدين**"(*)(*)(*) لخصومهم بالبرجوازية وعملاء الاستعمار الجديد واتهام "**الباءات الثلاث**"(*)(*)(*)(*) باغتيال "**عبان رمضان**"(*)(*)(*)(*)(*)، وقد أخذ " كريم بلقاسم" النصيب الأوفر من الاتهامات خاصة بعد توقيعه اتفاقا مع منظمة الجيش السري يقضي باتفاق أعمالها الإجرامية في الجزائر تم استقباله من ديغول في باريس واتصاله بكبار الأغنياء في منطقة القبائل، وكل هذه التصرفات من كريم كانت كافية لبن بلة وبومدين لاتهامه بالبرجوازية والرغبة في أخذ مكان الكولون[2].

(*)كريم بلقاسم: ولد في 14 ديسمبر 1922م، بذراع الميزان ولاية تيزي وزي في 1945م التحق بصفوف حزب الشعب الجزائري، كان عضو فعالاً في حركة انتصارات الحريات الديمقراطية، انضم سنة 1947م للمنظمة الخاصة، تصدي للأزمة البريدية سنة 1949م، وفي سنة 1953 كان في صف المصاليين، شارك في التحضير للثورة وإعداد بيان أول نوفمبر، أصبح عضو في لجنة التنسيق والتنفيذ، ثم رئيس للحكومة المؤقتة، وكان من معارضين لنظام بن بلة وهواري بومدين، أنشأ حزبا معارضا عام 1968م" الحركة الديمقراطية للتجنيد الجزائري. وفي سنة 1970م أغتيل بفرانكفوت بألمانيا للمزيد ينظر: محمد علوي، **قادة ولايات الثورة الجزائرية (1954– 1962م)**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013 ص، ص85_89.

(**)جمال عبد الناصر: ولد بالإسكندرية قبيل أحداث ثورة 1919م التي هزت مصر كان له الدور القيادي والأساسي في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في 1964م، وحركة عدم الانحياز الدولية، كان مدرساً في كلية أركان الحرب، ساهم في تأسيس منظمة التعاون الإسلامي، كما ساهم في إنشاء التليفزيون المصري، توفى في 28 سبتمبر 1970م. للمزيد ينظر: مجهول اسم، **جمال عبد الناصر الاسم المحفور على قلب إفريقيا** "مجلة إفريقيا قارتنا، العدد السادس يونيو، 2013م، ص، ص، 01 _04.

[1]/ لونيسي رابح، **الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين**، دار المعرفة، الجزائر، 2000م، ص56.

(***) هواري بومدين: اسمه الحقيقي إبراهيم بوخروبة، ولد سنة 1932م بالقرب من قالمة، وقد التحق بالثورة في فيفري 1955، بمنطقة وهران، ثم عين قائد الأركان الجيش، بعد الاستقلال أصبح وزيراً للدفاع وفي يوم 19 جوان 1963م، قام بالانقلاب على الرئيس أحمد بن بلة، وفي نفس العام أيضا أصبح رئيسا للجمهورية حيث بقية في الحكم إلى غاية وفاته في 1978م، للمزيد ينظر: محمد الصالح الصديق، **أعلام من المغرب العربي، ج03**، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص، ص843، 844.

(****) الباءات الثالث: وتتمثل في ثلاث أعضاء: وهم سليمان بن طوبال، كريم بلقاسم، عبد الحفيظ بوصوف، وهم ثلاثي الحكومة المؤقتة للتوسع ينظر: علوي محمد، **المرجع السابق**، ص88.

(*****) عبان رمضان: ولد يوم 20 جوان 1920م، في عزوزة في منطقة القبائل ففي سنة 1943م انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري وفي سنة 1974م أصبح عضوا في المنطقة الخاصة، وفي سنة 1955 انضم إلى شبكة جبهة التحرير الوطني الناشطة في منطقة العاصمة، وقد اشتهر عبان بقدرة خارقة على النشاط بدون كلل، وهو الذي طور العلاقات الهيكلية بين جبهة وجيش التحرير الوطني داخل الوطن، وفي سنة 1956م أشرف رفقة بن مهيدي على تنظيم مؤتمر الصومام، توفي سنة 26دسمبر1957 للمزيد ينظر: عفرون محرز، **مذكرات من وراء القبور، تأملات في المجتمع، ج02**، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 247.

[2]/ لونيسي رابح، **المصدر السابق**، ص 57.

ولتجاوز هذه الأزمة اقترح بن بلة إلى ضرورة عقد المجلس الوطني للثورة وهو ما تم فعلاً حيث انعقد المجلس الوطني للثورة الجزائرية في طرابلس من 27 ماي إلى 07 جوان 1962م، لمناقشة وإثراء مشروع برنامج طرابلس والمصادق عليه[1].

وقد بدأ اجتماع المجلس الوطني للثورة بتهجم بن بلة على "**يوسف بن خدة**"(*) بهدف التقليل من دور الحكومة المؤقتة في مفاوضات ايفيان، ومن هنا بدأ الاختلاف والشتم واستعمال أساليب الميكيافلية عندما حان وقت انتخاب "**المكتب السياسي**"(*)(*) في المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس[2].

وتعبيراً عن الموقف المذكور تبلورت في داخل المجلس نزعتان رئيسيتان الأولى بزعامة بن بلة ويرى المكتب السياسي المزمع انتخابه يجب أن يتكون من سبعة أعضاء واقترح كلا من "أحمد بن بلة" و"**محمد خيضر**"(*)(*)(*) و" **محمد بوضياف**"(*)(*)(*)(*) و" **آيت أحمد**"(*)(*)(*)(*)(*)(*).

---

[1]/ العمامرة سعد بن البشير، **المرجع السابق**، ص 40.

(*) يوسف بن خدة: ولد في ولاية المدية في 23 فيفري 1920م، انخرط في حزب الشعب الجزائري عام 1942م، وكان عضو في اللجنة المركزية .... ومن أهم مؤلفاته، اتفاقية إيفيان.. توفي سنة 2003، للمزيد ينظر: بن يوسف بن خدة، **شهادات وموافق**، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص، 392_394.

(**) المكتب السياسي: يشمل أعضاء هذا المكتب كل من : أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد خيضر، محمد بوضياف، رابح بيطاط، الحاج بن علاء محمد السعيد، وقد ضم الأعضاء الأحياء من لجنة التسعة باستثناء كريم بلقاسم الذي لم يفر بعضوية المكتب السياسي، وذلك بسبب خلافه الحاد مع القيادة العامة للجيش، للمزيد ينظر: العمامرة سعد بن البشير، **المرجع السابق**، ص، ص 43، 44.

[2]/ لونيسي رابح، **المصدر السابق**، ص، ص58، 59.

(***) محمد خيضر: ولد يوم 13 مارس 1912م، بالجزائر العاصمة، تنحصر أصوله من ولاية بسكرة، وقد تأثري بأفكار ومبادئ نجم شمال إفريقيا، وكان من أبرز المناضلين في حزب الشعب، وكان عضو في اللجنة المركزية للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية ونائباً في الجمعية الوطنية فر إلى القاهرة في طائفة 1951م، وبعد الاستقلال كلف بالأمانة العامة لحزب جبهة التحرير الوطني ومسؤول صندوق التبرعات، أغتيل بالعاصمة الاسبانية سنة 1967م للمزيد ينظر: لزهر بديدة، **دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية**، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م،ص، ص256_258.

(****) محمد بوضياف: كان ينتمي إلى عائلة كبيرة ذات أصول عربية في مدينة المسيلة، ولد في 23 جوان 1919م، بدأ نضاله السياسي مبكراً في صفوف حزب الشعب، كان مسؤولاً سياسيا عن ناحية سطيف عام 1946م، وفي عام 1947م عين مسئولا عن المنظمة شبه العسكرية في عمالة قسنطينة وفي 22 أكتوبر 1956م اختطفت السلطات الفرنسية الطائرة التي تقله هو وأصحابه، وقد انضم خلال أزمة 1962م إلى الحكومة المؤقتة، وقد تم اغتياله في عنابة في 1992م للمزيد ينظرBoudiaf Mohamed, La préparation du1er Novembre Daré Inga mane, Alger,2011,p128-130

(*****) حسن آيت أحمد: ولد في 20 أوت 1962م بعين الحمام ولاية تيزي وزو، ناضل في الحركة الوطنية فكان عضو في حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، كما عين عضوا في اللجنة المركزية للحزب، وكان من بين مؤسسي المنظمة الخاصة، كما عين عضوا دائما في المجلس الوطني للثورة المنبثق عن مؤتمر الصومام 1956م، وفي نفس السنة تعرض لعملية اختطاف من طرف القوات الفرنسية، وفي سنة 1957 كان عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ، بعد الاستقلال عارض نظام القائم فسجن، وفي سنة 1963م أسس حزب جبهة القوى الاشتراكية في السر وأعلن عنه بصفة قانونية بعد قرار التعددية الحزبية.. للمزيد ينظر: لونسي رابح وأخرون، **تاريخ الجزائر المعاصر، (1830-_1989)، ج02** ، دار المعرفة، الجزائر 2010، ص 280.

"**رابح بيطاط**"(*)، "محمدي السعيد"، "**الحاج بن علا**" (*)(*)(1).

أما النزعة الثانية فقد تزعمها السيد "كريم بلقاسم"، الذي اقترح مكتبا سياسيا من تسعة أشخاص وهم بالإضافة إلى اسمه: حسين "آيت أحمد"، "محمد بوضياف"، "محمد خيضر"، "رابح بيطاط"، "عبد الله بن طوبال"، "**عبد الحفيظ بوصوف**"(*)(*)(*)، "أحمد بن بلة"، و"**سعد حلب**"(*)(*)(*)(*)(2).

وعند التصويت فازت قائمة بن بلة بثلاث وثلاثين صوت مقابل واحد وثلاثون صوت لقائمة كريم بلقاسم وكان السعيد يازوران وراء ترجيح الكفة لصالح قائمة بن بلة، وقد اعترف يازوران بعد عقود من الزمن أنه صوت لصالح بن بلة حسدا وغيرة على كريم بلقاسم(3).

وبعد إتمام عملية التصويت عمت الفوضى داخل قاعة الاجتماع وغادر الكثير من المشاركين المؤتمر دون التوقيع على محضره وكان على رأس المغادرين رئيس الحكومة بن يوسف بن خدة، فبقي الاجتماع مفتوحا إلى حد اليوم(4).

وأمام هذا الوضع الصعب حاول بن بلة وبومدين ومجموعة وجدة فرض الأمر الواقع، فتم الإعلام على لسان محمد خيضر بعد اجتماع في مدينة تلمسان، بأن المكتب السياسي الذي اقترحه بن بلة في طرابلس هو قيادة

(*) رابح بيطاط: ولد في 19 ديسمبر 1925م في عين الكرمة بالشمال القسنطيني، كان من الذين حضروا اجتماع 22، فانتخب بذلك عضوا في لجنة الستة الذين فجروا الثورة، وقد شارك في الهجوم ليلة أول نوفمبر على ثكنة (بيرو) في ضواحي مدينة البليدة، عين وزيرا للنقل بعد الاستقلال، ثم رئيسا للمجلس الشعبي الوطني، وكان قائد للولاية الرابعة قبل أن يلقي العدو القبض عليه، توفي سنة 10ابريل 200، للمزيد ينظر: محمد زروال، **إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية الولاية الأولى نموذجا**، دراسة مدعومة بوثائق لم تنتشر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 86.

(**) الحاج بن علا: ولد عام 1923م بمدينة تيارت وسط أسرة متواضعة الحال، التحق عام 1948 بالمنظمة الخاصة، وكما شارك في إعداد للثورة وتفجيرها واستمرارها بالمنطقة الخامسة، وكان عضوا بالمجلس الوطني للثورة، وبعد الاستقلال أصبح نائبا في المجلس التأسيس عن عمالة وهران وبعدها أصبح رئيسا لها بعد استقالة فرحات عباس، وتوفي في 02 ماي 2009، بمستشفى عين النعجة للمزيد ينظر: لمبارك بن نجيب، **تحفة البصائر في دخائر مدينة الجزائر، ج01**، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص، ص 493_496.

[1]/ الزبيري محمد العربي، **تاريخ الجزائر المعاصر (1954– 1962م)، ج02**، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص202.

(***) عبد الحفيظ بوصوف: ولد سنة 1926 بميلة، انخرط في حزب الشعب الجزائري الذي كان محظورا آنذاك، وفي سنة 1950 أصبح مسؤولا على ناحية سكيكدة التابعة للمنظمة الخاصة، ولما صار مطلوبا من طرف البوليس تقرر نقله إلى وهران فتم تعينه في الولاية الخامسة، وبعد مؤتمر الصومام أصبح عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وفي سنة 1947 انضم إلى لجنة التنسيق والتنفيذ، ثم أصبح في سنة 1958م وزيرا للتسليح والاتصالات العامة في الحكومة المؤقتة للمزيد ينظر: عفرون محرز، **مذكرات من وراء القبور الانبعاث (أحكي لي عن 01 نوفمبر 1954)، ج03**، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 209.

(****) سعد دحلب: ولد سنة 1918م بقصر الشلالة، كان مناضل في حزب الشعب الجزائري، ثم جبهة التحرير الوطني، ثم تعيينه عضوا في المجلس للثورة الجزائرية ولجنة التنسيق والتنفيذ، ثم أمينا عاما بوزارة الخارجية في الحكومة الثانية برئاسة فرحات عباس دائما، وقد عين سفير الجزائر بالمغرب توفية في 16 ديسمبر 2000، للمزيد ينظر: بن خليف عبد الوهاب، **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، دار دزاير أنفو، الجزائر، 2013، ص، ص 233 234.

[2]/ الزبيري محمد العربي، **المرجع السابق** ، ص 203.

[3]/ لونيسي رابح، **المصدر السابق**، ص 59.

[4]/ **المصدر نفسه**، ص، ص 60، 61.

الشرعية رغم رفض كل من محمد بوضياف وحسين آيت أحمد بالانضمام إليه. فظهرت عند إذن ما يعرف بمجموعة التي تضم مجموعة وجدة، وهي تحت يدها جيش الحدود بالإضافة إلى قيادة الولاية الخامسة (الغرب الجزائري) والولاية الأولى (الأوراس)، وكرد فعل على ميلاد مجموعة تلمسان ظهرت لجنة الدفاع عن الثورة على يد كل من بوضياف محمد، وكريم بلقاسم في مدينة تيزي وزو، وكانت مدعومة بأغلب مجاهدين بالداخل، الذي أنهكتهم المعارك الطاحنة مع الجيش الاستعماري[1].

لينتقل الصراع من الدفاع عن شرعية الحكومة إلى صراع بين جيوش قادة الثورة، حيث اشتد الهجوم على الولاية الرابعة من جميع الجهات سعيا للوصول إلى العاصمة وتمت محاصرتها بقوات كبيرة العدد[2]. وبه تدخل الجزائر أزمة سميت بأزمة صائفة 1962م، التي دفعت بجيش الحدود مدعما بالولايات الثلاثة (الأولى والخامسة والسادسة) وشطر من الولاية الثانية (الشمال القسنطيني)، إلى الزحف على العاصمة من ثلاث محاور والدخول في مواجهة عسكرية حامية مع الولاية الرابعة (وسط الجزائر) والولاية الثالثة (القبائل)، وانتهت المعركة لصالح جماعة تلمسان التي كان من أبرز وجوهها("بن بلة"، "**فرحات عباس**"(*)،"بومدين، شريف بلقاسم"، "**العقيد** سي شعباني"، "قايد محمد"،"عبد العزيز بوتفليقة"، "أحمد مدغري"، "**العقيد الزبيري**"(*)(*)، "**علي منجلي**" (*)(*)(*) "الطيب العربي")[3]. وبهذا أصبح "أحمد بن بلة" رئيسا للحكومة في 29 سبتمبر 1962م بعد استقالة "يوسف بن خدة"[4].

---

[1]/ **المصدر نفسه**، ص 62.

[2]/ زبيري الطاهر، **مذكرات أخر قادة الأوراس**، منشورات anep، الجزائر، 2008، ص 120.

(*) فرحات عباس: ولد سنة 1899م بولاية جيجيل، وهو أحد الشخصيات السياسية البارزة على الساحة الوطنية خلال القرن العشرين، وقد اشتهر فرحات بنضاله السياسي الطويل قبل عام 1954م، ثم اندمج في ثورة نوفمبر وكان رئيس الحكومة المؤقتة، وتوفي في 1985م، للمزيد ينظر: سعد بوزيان **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830_1962)، رواد الكفاح السياسي والإصلاحي (1900_1954)، ج02، ط03**، دار الأفل، الجزائر، 2015م ص75.

(**) الطاهر الزبيري: ولد سنة 1929م، بدوار واد الكباريت (سدارته)، بدأ النضال في الحزب الشعب الجزائري سنة 1946م، التحق بالقاعدة الشرقية وتقلد بها مسؤوليات، وفي 1960م عين عضوا في مجلس الولاية واصبح بعد ذلك قائدا لها لغاية حصول الجزائر على الاستقلال، للمزيد ينظر: محمد عباس، **ثوار .. عظماء شهادات سبعة عشر شخصية وطنية**، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 269.

(***) علي منجلي: ولد في سنة 07 ديسمبر 1922م، بعزابة (سكيكدة)، انخرط بحزب الشعب الجزائري، ثم بالحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية، وانتخب تحت لواء الحركة نائبا بلديا من 1947 إلى 1954م، وخلال أزمة الحركة شركة بمؤتمر المركزيين بالجزائر في أوت 1954م وبعد مؤتمر الصومام عين عضوا بالولاية الثانية، وأصبح أول مسؤول على أول سرية لجيش التحرير الوطني، وبعدها أصبح من بين مساعدي بومدين في قيادة الأركان، وتوفي بعد الاستقلال للمزيد ينظر: محمد الشريف ولد الحسين، **من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال (1830_1962)**، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص، ص88، 89.

[3]/ الزبيري الطاهر، **نصف قرن من الكفاح**، المصدر السابق، ص 16.

[4]/ معزة عز الدين، **فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899_ 1985)**، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف بوصفصاف عبد الكريم، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004_2005 ص270.

ثم أصبح رئيسا لدولة يهتف باسمه كل الشعب الجزائري، أما العقيد هواري بومدين فقد صار نائبا للرئيس وتولى وزارة الدفاع إلى جانب رئاسته لهيئة الأركان، وقد اتخذ أحمد بن بلة من فيلا جولي (مقر بنك الجزائر المركزي حاليا) مقر رئاسة الجمهورية، أما قصر الشعب المقابل له خصص لتشريعات، بينما اتخذ الهواري بومدين ثكنة قارة (مقر وزارة الدفاع حالياً) مركز له، وأصبح جيش التحرير الوطني يحمل اسم الجيش الوطني الشعبي الذي أطلقه عليه العقيد هواري بومدين خلال اجتماع العسكريين لهيئة الأركان[1].

وبعد تجاوز الجزائر لأزمة صيف 1962م، وبداية ممارسة أحمد بن بلة لمهامه كرئيس للجمهورية الجزائرية سرعان ما بدأت المعارضات تتوالى على السياسة التي يتبعها، وكانوا من الأقربين له وإن بوادر الأولى والأساسية لبداية ظهور المعارضة السياسية في الجزائر بعد استرجاع السيادة الوطنية، تمثلت في تلك اللجنة التي شكلها كل من كريم بلقاسم ومحمد بوضياف في جويلية 1962م[2]، إلا أنها سرعان ما خمدت بعد الاتفاق الموفق بين المكتب السياسي واللجنة في 02 أوت 1962م، إلا أن عدم احترام بنود الاتفاق السياسي وإخلال بن بلة بها أدت بمحمد بوضياف إلى الاستقالة من المكتب السياسي، والتحول إلى معارض سياسي حقيقي للنظام وخاصة بعد تأسيسه لحزب الثورة الاشتراكية ((p.r.s))[3].

وكان بوضياف يتوقع انضمام الكثير من المناضلين الذين انفصلوا عن جبهة التحرير الوطني بحثا عن حلول مغايرة لحل مشاكل الجزائر، ولكنه لم يحدث، وبذلك بقي حزبه عبارة عن حركة أقلية في الخفاء بدون إمكانات كبيرة في ظل انسداد منافذ الحوار السياسي، ويقول بوضياف بأن دعوته لم تلق تجاوبا جماهير للأسباب التالية:

- التعلق الكبير للشعب بالجبهة.
- مطالبة بالاشتراكية العلمية في جزائر أقل ما يقال عنها أنها كانت تعاني فوضى إيديولوجية عارمة.
- عدم وجود أجواء الديمقراطية مساعدة على إيجاد أحزاب سياسية غير جبهة التحرير.

وكرد فعل من النظام الحاكم على معارضة محمد بوضياف له، هو القيام باختطافه بحجة التأمر على النظام مع قوى خارجية في مقدمتها "**الحبيب بورقيبة**"(*)[4].

---

[1]/ الزبيري الطاهر، **نصف قرن من الكفاح**، المصدر السابق، ص 16.

[2]/ الهاوي أحمد درواز، **العقيد محمد شعباني الأمل والألم**، دار الهدى للنشر، الجزائر، 2009، ص83.

[3]/ كحول سميحة، **أحمد بن بلة ونشاطه السياسي من 1937 إلى وفاته**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، تحت إشراف أجقو علي، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014 _2015، ص78.

(*) الحبيب بورقيبة: ولد يوم 03 أوت 1900م، ساهم بفعاليته في انتشار حزب الشعب الدستوري الجديد في 02 مارس 1934م، وفي 26 ماي 1940_1942م، نفي من تونس وعادة إليها في يوم 01 جوان 1855م، وأصبح رئيس لتونس في 12 أفريل 1962م، للمزيد ينظر: بلخوجة الطاهر، **الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على عصر**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص، ص06، 07.

[4]/ كحول سميحة، **المرجع السابق**، ص 78.

وقد تم بالفعل اختطافه في 06 جوان 1963م[1].

في بيت الطاهر الزبيري حيث قال: << وأخبرت بن بلة بقضية اعتقال بوضياف وقلت له دون أن أسمه: "أبعث أحدهم ليوقف أحد رفقائهم، لأنه قام بكذا وكذا، وقد ألقيت عليه القبض وهو عندي في باتنة>>، فقال لي بن بلة: << سأرسل ببطاط لتوقيفه>>[2].

وقد احتجز بوضياف في منطقة الصحاري[3]، ثم تم إطلاق سراحه في 1964م ليضطر إلى الهجرة ويستقر بالمغرب[4]، وأما المعارض الثاني فهو السيد آيت أحمد الذي رفض عضوية المكتب السياسي من البداية لكنه قبل المشاركة في أعمال المجلس التأسيسي، وفي إطار هذا الأخير أعرب عن استنكاره لاعتقال محمد بوضياف، وقرر الانسحاب إلى عين الحمام، مسقط رأسه استعداداً للمرحلة المقبلة التي استهلها في اليوم التاسع والعشرين من شهر أوت سنة 1963م، بالإعلان عن ميلاد جبهة القوى الاشتراكية[5].

حيث يذكر ارفيه بورج أن آيت أحمد أخبره عندما التقى به للتوسط بينه وبين بن بلة بأنه لا يمكن أي عداء ضد بن بلة بقوله: " ليس لدي عداء شخصي تجاه بن بلة، وليس بعيدا عن تصوري إعادة الحوار معه لكنه من أجل ذلك يجب أن يتوصل إلى التخلص من بومدين، هو الفاشية أنه العسكرة التدريجية لبلادنا فليفهم بن بلة ذلك ويتخلص منه، وبين ثوريين سنتوصل إلى تفاهم"، وكان آيت أحمد ممن يرون أن بومدين وجماعته يوجهون الجزائر غير الوجهة السليمة[6].

وقرر آيت أحمد وحزبه حمل السلاح لإسقاط النظام القائم، وبذلك اندلعت حرب أهلية فيما يسمى بمنطقة القبائل[7]، لذلك عقد آيت أحمد في تشرين الأول عام 1963م، اجتماعا جماهيريا كبيرا في منطقة القبائل، هاجم فيه الحكومة ورئيسها، من خلال تأكيده استمرار المقاومة من أجل إخراج ابن بلة من الحكم، وهو الأمر الذي دفع بمجلس الوزراء إلى عقد اجتماع طارئ هاجم ابن بلة من خلاله جموع المعارضين، عن طريق إقالة عدد

---

[1]/ الزبيري محمد العربي، **المرجع السابق**، ص 216.

[2]/ الزبيري الطاهر، **نصف قرن من الكفاح**، المصدر السابق، ص 29.

[3]/ مائدة خيضر علي السعدي، **احمد بن بلة ودوره السياسي والاقتصادي والاجتماعي حتى عام 1965 من رسالة الى مجلس كلية التربية- ابن رشد_** جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير آداب في التاريخ الحديث، تحت إشراف: نوري عبد الحميد العاني، كلية التربية_ ابن رشد_ جامعة بغداد، 2004م، ص193.

[4]/ كحول سميحة، **المرجع السابق**، ص 78.

[5]/ الزبيري محمد العربي، **المرجع السابق**، ص 216.

[6]/ كحول سميحة، **المرجع السابق**، ص، ص79، 80.

[7]/ الزبيري محمد العربي، **المرجع السابق**، ص 216.

من المسؤولين المؤيدين لآيت أحمد من مناصبهم[1].

حاول آيت أحمد في سياق السياسة التي أعلنها بالتعاون مع المعارضين الأخرين أمثال محمد بوضياف ومحمد خيضر، ورابح بيطاط، استمالة بومدين إلى جانبهم ضد بن بلة، أو في أقل ضمان وقوفه على الحياد في صراعهم معه، وذلك في أوائل عام 1964م، غير أن محاولته تلك كانت نهاية معارضته، إذ وجد بومدين في لجوء المعارضة إليه فرصة سائحة للقضاء عليها، فبعد أن أوهمهم بالاستجابة لمطالبهم، كانت قواته تشدد الضغط على القوات آيت أحمد الذي نجح في إلقاء القبض عليه في السابع عشر من تشرين الأول عام 1964م[2]، وإحضاره للعاصمة ليحاكم ويصدر عليه الحكم بالإعدام[3].

ولكن بن بلة خفف عنه الحكم بمناسبة عيد الأضحى إلى السجن المؤبد، وبذلك انتهت معارضة آيت أحمد[4]، وفي عام 1963م اندلع نزاع سياسي خطير بين بن بلة ومحمد خيضر الذي كان في ذلك الحين أمينا عاما لجبهة التحرير الوطني. ونظرا للدعم الذي كان يتمتع به بن بلة في هذه القضية، فقد أقصى خيضر في نهاية المطاف ليتوجه هذا الأخير إلى المنفى ويحاول انطلاقا من منفاه أن ينظم معارضة سياسية ضد النظام الجزائري. وقد تم اغتياله في مدريد في عام 1967م بعد مرور سنتين على انقلاب بومدين[5].

وبدأ العقيد محمد شعباني قائد الولاية السادسة الذي كان مقربا جدا من محمد خيضر، يتمرد على بومدين في عام 1964م[6].

كما كان شعباني من أشد المطالبين بتطهير الجيش الوطني الشعبي من الضباط الفارين من الجيش الفرنسي في مؤتمر حزب جبهة التحرير الوطني عام 1964م، ودفع المؤتمرين إلى الصياح لمدة ربع ساعة: "التطهير التطهير، في جيش التحرير" فرد بومدين عليهم بالقول " يا ترى من الطاهر بن الطاهر الذي يريد أن يطهر الجيش" وأضاف قائلاً أن الجيش بحاجة إلى تقنين وخبراء ومن الأفضل استعمال هؤلاء الضباط الفارين من الجيش الفرنسي بدل الإتيان بخبراء أجانب، ووعد بومدين المؤتمرين بإبقاء هؤلاء الضباط في مناصب تقنية فقط، ولا تسلم لهم مناصب قيادية[7].

---

[1]/ مائدة خيضر علي السعدي، **المرجع السابق**، ص 194.

[2]/ **نفسه**، ص 194.

[3]/ الديب فتحي، **عبد الناصر وثورة الجزائر**، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م، ص 631.

[4]/ كحول سميحة، **المرجع السابق**، ص 80.

[5]/ عبد الحميد إبراهيمي، **في أصل المأساة الجزائرية شهادة عن حزب فرنسا الحاكم في الجزائر (1958– 1999)**، مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت 2001، ص 96.

[6]/ **نفسه**، ص 96.

[7]/ لونيسي رابح، **المصدر السابق**، ص 86.

كما رفض شعباني توجيه قواته لمجابهة الأفافاس ومجموعة تيزي وزو، كما قرر في المؤتمر ترقية شعباني إلى منصب عضو بهيئة الأركان في الجيش، وعضو في المكتب السياسي، ولكن شعباني رفضه مقرا أن وجوده في الثكنة وبين جنوده أفضل له[1]، وبمرور الوقت لم يلتحق شعباني بمنصبه في المكتب السياسي، فقام بن بلة باستدعائه إلى العاصمة للالتحاق بمنصبه بالمكتب السياسي لكنه رفض[2].

فقرر بن بلة إرسال وفد لإقناعه، فأرسل له وفد ضم كل من العقيد الطاهر الزبيري، والرائد علي منجلي وآيت الحسين إلى شعباني لإقناعه بالتخلي عن قيادة الناحية العسكرية الرابعة، والالتحاق بالمكتب السياسي، غير أن شعباني رفض أيضا، وبعد تأزم الأمر اتصل بن بلة بشعباني، محاولاً إقناعه، لكن شعباني رد عليه: "أنت تشبه السياسين المتعفنين... إن لم تكن منهم". وهذا ما اعتبره بن بلة إهانة لشخصيته، حيث أمر بإلقاء القبض عليه[3].

وفي 02 جويلية 1964م أعلن عن صدور ثلاث مراسيم رئاسية تقضي بنزع رتبته العسكرية وعزله من قيادة الأركان، وفي نفس اليوم أعلن عبر الإذاعة بيان عسكري يدعو قوات الأمن لمحاضرة العقيد شعباني، وعلى إثر ذلك قرر الخروج من مدينة بسكرة ليجنبها مما حدث في تيزو وزو، فطورد شعباني إلى غاية بوسعادة بجبال بوكحيل أين تم القبض عليه في يوم 07 جويلية 1964م بمكان الربعي، ونقل من بوسعادة إلى الجلفة ومنها إلى سجن سيدي الهواري بمدينة وهران، تحت قيادة العقيد بن الشريف[4].

كما ألقى القبض على رفاقه المقربين، ويقول محمد بجاوي أحد رفاق العقيد شعباني، أنهم أقاموا لهم الإقامة الخاصة بعد القبض على شعباني وأنهم بقوا بها مدة ثلاثة أشهر، وكلف محمد التواتي الذي كان من الضباط الفارين من الجيش الفرنسي بتحضير ملف شعباني[5].

وشكلت المحكمة العسكرية من "**الشاذلي بن جديد**"(*)، "سعيد عبيد"، "عبد الرحمان بن سالم"، وترأسها محمود

---

[1]/ كحول سميحة، **المرجع السابق**، ص 81.

[2]/ بوباكير عبد العزيز، **مذكرات الشاذلي بن جديد ملامح حياة (1929- 1979)**، ج01، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 206.

[3]/ كحول سميحة، **المرجع السابق**، ص 81.

[4]/ **المرجع نفسه**، ص، ص 81، 82.

[5]/ **المرجع نفسه**، ص 82.

(*) شادلي بن جديد: ولد يوم 14 أفريل 1929م بقرية بوثلجة ولاية عنابة إلتحق بن جديد بجبهة التحرير الوطني مع اندلاع حرب التحرير الوطنية وعمره 26 سنة، كما تقلد عدة مناصب في جيش التحرير منها القيادة العسكرية في قسنطينة سنة 1965م، وفي سنة 1957 عين مساعد قائد ناحية كما رقي إلى رتبة نقيب في مطلع سنة 1958، بعد الاستقلال عين قائد الناحية العسكرية الخامسة بقسنطينة، ثم تولى قيادة الناحية العسكرية الثانية بوهران في 1964م وفي 1979م انتخب الشاذلي بن جديد رئيسا للجزائر، وأعيد انتخابه رئيسا للجزائر مرتين على التوالي في 1984 ثم 1989م، وتوفى في 06 أكتوبر 2012، للمزيد ينظر: **وزارة المجاهدين الذكرة الـ05 لوفاة رئيس الجزائر المجاهد العقيد الشاذلي بن جديد**، مطبوعات متحف المجتهد لولاية تسمسيلت 06 أكتوبر 2012_2017، ص01.

زرطال الذي عين من طرف بن بلة، وبدأت محاكمة شعباني في 01 سبتمبر 1964م وفي 03 سبتمبر 1964م، أصدرت المحكمة بالإعدام، وطلب الكثير من بلة إصدار عفو رئاسي على شعباني بحكم جهاده، لكنه رد عليهم باللامبالاة، وأعدم شعباني صبيحة يوم 04 سبتمبر 1964م في سجن سيدي الهواري بوهران، ودفن بمقر سيدي البشير في نفس المدينة، ثم نقلت زفاته إلى مقبرة الشهداء بالعالية بموجب مرسوم رئاسي أصدره الشاذلي بن جديد في عام 1984م[1].

وفي عام 1965م بدأت العلاقات بين بن بلة وبومدين تتوتر خاصة بعد إبعاد بن بلة "**لأحمد مدغري**"[*] عن وزارة الداخلية وتفاقمت الخلافات واتخذت موقف التحرش، والتصادم إثر قيام بن بلة بتعين طاهر الزبيري قائد ولاية الأوراس السابق رئيسا لهيئة أركان حزب الجيش الجزائري خلال تعين بومدين في زيارة عمل للقاهرة واعتبار بومدين لهذا الإجراء من جانب بن بلة تعديلاً على سلطانه وتحديا مباشرا لشخصه[2].

ونتيجة للأوضاع المتردية التي أصبحت تعيشها البلاد، وكذلك عدم الانسجام في العمل السياسي بين مختلف القيادات، قرر الكولونيل هواري بومدين القيام بحركة التصحيح الثوري برفقة عدد من الوطنيين المخلصين لإرجاع الثورة إلى مسارها الصحيح، وإلى منبعها الأصلي، وقد أظهر بومدين عبقرية سياسية وحنكة عسكرية حادة لا تضاهى، وهو ينظم الانقلاب العسكري غير مألوف في طريقة تنفيذه في العالم العربي الذي درج على أن تكون الانقلابات دموية وعنيفة[3].

وأحسن بن بلة بما يدبر له في الخفاء من جانب أنصار بومدين فلجأ إلى إنشاء ما يسمى بقوات الأمن الوطني وعين على رأسها بعض من تصور أخلاصهم له من الضباط وجند لهذه القوات بعض الشباب الجزائري الذين تم اختيارهم من المؤمنين بقيادته وزعامته والمؤدين لسياسته الاشتراكية[4].

كما شرع إلى إبعاد رجال بومدين عن مناصبهم، فبدأ بقايد أحمد الذي اتهمه بأنه سمح بالأخلاق المشينة والسلوكات الغربية ومنها الخمر في قطاع السياحة، وهذا الاتهام كفيل أيضا باكتساب الشعب إلى جانب بن بلة ثم أقال شريف بلقاسم وزير التوجيه ليتبعه بتنحيه أحمد مدغري عن وزارة الداخلية كي يراقب الأمن الوطني إلا

---

[1]/ لونيسي رابح، **المصدر السابق**، ص 90.

(*) أحمد مدغري،: ولد في 23 جويلية 1934م، بسعيدة التحق بالثورة بالولاية الخامسة، وبعد الاستقلال عين والياً على تلمسان، ثم بعد ذلك أصبح وزيراً للداخلية وكان مع خلاف مع بن بلة مما أدى إلى الاستقلال من منصبه، وقد شارك في انقلاب 19 جوان 1965 على هواري ضد بن بلة، وأصبح عضوا في مجلس الثورة وفي نفس الوقت وزير الداخلية، توفى في يوم 10 ديسمبر 1974 للمزيد ينظر: بن ايوب رشيد، **دليل الجزائر السياسي**، براس تيراج الجزائر، 1999، ص 173.

[2]/ فتحي الديب، **المصدر السابق**، ص 632.

[3]/ العمامرة سعد بن بشير، **المرجع السابق**، ص 62.

[4]/ الديب فتحي، **المصدر السابق**، ص 632.

أنه أخطأ بتعيينه الطيبي العربي رجل بومدين على رأس البوليس مكان محمد يوسفي الذي استقال من منصبه ولم يبقى أمام بن بلة إلا تنحيه وزير الخارجية عبد العزيز بوتفليقة قبل أن يشمل تحركات بومدين مباشرة بعد انعقاد المؤتمر الأفرو_ آسيوي في الجزائر[1].

طلب بن بلة عشية المؤتمر الأفرو_ آسيوي من بوتفليقة التخلي له عن وزارة الخارجية كي يتكفل بتحضير المؤتمر بنفسه، فكظم بوتفليقة غيظه وفهم مخطط بن بلة فانتظر عودة بومدين من القاهرة ليخبره بما يدور في رأس بن بلة[2].

وهذه الأسباب كلها وأخرى زادت الخلاف بين بومدين وبن بلة ويقول: "بن عودة" أن بومدين قال له أنه يريد الذهاب بسبب ما يرتكبه بن بلة من أخطاء، ولكنه أوقفه وقال له: "أنتا لي جبته أنتا لي تنحيه، ولو تروح نقول راه بومدين خاين"[3].

فعقد بومدين اجتماعا في وزارة الدفاع يوم 02 جوان 1965م حضره كل من[4]: الطاهر الزبيري وبومدين ومدغري وبوتفليقة وشريف بلقاسم، مع حضور سعيد عبيد ويحياوي والعقيد عباس، وكان عددهم تسعة[5]، لوضع الخطة النهائية للعملية الانقلابية التي حُدد تاريخ تنفيذها ليلة 19 جوان 1965م[6].

وفي صبيحة يوم 19 جوان 1965م ذهب الطاهر الزبيري مرفوقاً بالرائد محمد الصالح يحياوي والرائد سعيد عبيد والرائد عبد الرحمان بن سالم ومعهم عشرة جنود إلى فيلا جولي، وصعود إلى الطابق الخامس أين كان بن بلة نائما في غرفته[7].

فتقدم الزبيري وطرق باب غرفته، وطرق الباب طرقا قويا عدة مرات فتقدم بن بلة إلى الباب لفتحه قائلا: " من هنا؟ أجاب الطاهر الزبيري: أنهض يا سي أحمد لقد انتهت مهمتك؟" وفتح بن بلة الباب وشاهد الضباط الساميين وهم يدخلون الغرفة الواحد بعد الأخر، فقال بن بلة بعد ذلك أعتقد أن هناك حادث خطير، فأجابه الطاهر الزبيري: سي أحمد عندك دقائق كي تلبس وتتبعنا بدون مقاطعة[8].

---

[1]/ لونيسي رابح، **المصدر السابق**، ص، ص97_99.

[2]/ **المصدر نفسه**، ص 97.

[3]/ كحول سميحة، **المرجع السابق**، ص 89.

[4]/ لونيسي رابح، **المصدر السابق**، ص 97.

[5]/ كحول سميحة، **المرجع السابق**، ص 89.

[6]/ لونيسي رابح، **المصدر السابق**، ص 97.

[7]/ كحول سميحة، **المرجع السابق**، ص 90.

[8]/ العمامرة سعد بن البشير، **المرجع السابق**، ص 63.

ثم قال بن بلة: "لو جئت وحدك مع سعيد عبيد لأتيت معك، فلماذا هذه الحوذات، سأبدل ملابسي وآتيكم" وقاموا بعدها بنقله إلى إحدى القصور بحيدرة، ووضعوه تحت الإقامة الجبرية[1].

وتم بعد ذلك الإعلان عن حركة الانقلاب المتمثلة في التصحيح الثوري بواسطة تصريح صادر باسم مجلس الثورة تمت قرأته من قبل العقيد هواري بومدين يوم 19 جوان 1965م، وتماشيا مع توضيح أسباب حركة 19 جوان وإقصاء أحمد بن بلة من الحكم حدد فيه ثماني نقاط الأخطاء الرئيسية التي كشفها مجلس الثورة وكانت السبب المباشر لانقلاب والإطاحة بأحمد بن بلة[2].

وأثار الانقلاب ضجة في الجزائر ككل، حيث ثار اتحاد الطلبة واتحاد المحامين وفدرالية فرنسا ضد الانقلاب وقامت مظاهرة في عنابة ضد الانقلاب فقاموا بقمعها، وكان قائد الجيش في عنابة في ذلك الوقت مونشو وسرعان ما عادت الجماهير المتظاهرة ضد الانقلاب في كل من وهران وعنابة والعاصمة إلى الحياة العادية والنشاط والعمل و السنيما، مرددين شعاراً" مات الملك، عاش الملك"[3].

[1]/ الطاهر الزبيري، **نصف قرن من الكفاح**، المصدر السابق، ص 124.

[2]/ العمامرة سعد بن البشير، **المرجع السابق**، ص 63.

[3]/ كحول سميحة، **المرجع السابق**، ص 90.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية

أدت اتفاقيات ايفيان إلى قيام دولة جزائرية، ذات سيادة في الداخل والخارج، تتصرف بحرية في اقتصادها وجيشها ودبلوماسيتها، إن الاختيار الاقتصادي هو إحدى خصوصيات السيادة لأنه قرار سياسي قبل كل شيء فالدولة الجزائرية تطبع عملتها، وتنظم تحويل وانتقال رؤوس الأموال، ذلك ما يعتبر أهم القرارات الناتجة عن السيادة[1].

وكانت الجزائر تعاني من إعاقة شديدة الوطأة، فقد كانت الحرب قاتلة وطويلة (نحو ثماني سنوات) وخلال عدة أشهر ما بين جانفي/ جوان 1962م، نفذت المنطقة العسكرية التي تضم أنصار الجزائر فرنسية سياسية الأرض المحروقة وعانى الاقتصاد منها معاناة خطيرة[2].

وتواصلت معاناة الجزائر حتى بعد استرجاعها السيادة الوطنية، فقد ورثت الجزائر في بدايات حكمها وضعا اقتصاديا كارثيا، ولم يكن فقط هذا الوضع نتيجة للاستعمار ومواجهة الثورة الجزائرية، بل حتى لسياسة همجية فقد تركت فرنسا الخزينة الجزائرية خالية وخاوية بعد أن قامت بسلب كل ما فيها وسحب معها كل الودائع والأموال والسيولة التي كانت موجودة في البنوك، كما أن المحتلين الفرنسيين ونكاية بالثورة الجزائرية والجزائريين حطموا معظم الجرارات والآلات الزراعية، الأمر الذي ألحق أكبر الأضرار بالزراعة الجزائرية وأبقى الجزائر تابعة زراعيا لفرنسا[3].

ولم تكن في الجزائر، غداة استرجاع السادة الوطنية، هياكل اقتصادية ثابتة، ولم تكن فيها نواة صالحة للتنمية الدائمة[4]، كما ورثت اقتصاد موجه كليا نحو الخارج، إلى حاجات فرنسا والأوربيين، وتكون اقتصاد ثاني تسيطر عليه الزراعة، وفي 1962م كانت الجزائر لا تزال مجتمعا فلاحيا بدرجة كبيرة، وبلدا زراعيا، فالقطاع الصناعي لا يمثل سوى 27% من الإنتاج الكلي، ونصف القطاع الصناعي لا يمثل سوى 27% من الإنتاج الكلي ونصف القطاع الصناعي ليس إلاّ تحويلا بسيطا للمنتجات الزراعية[5].

وقد كانت للجزائر مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة التي كانت قبل الاحتلال، تنتج أجود أنواع الأرز وكميات هائلة من الحبوب التي كانت تصدر لبلدان كثيرة مثل: أوربا وإفريقيا والوطن العربي، وتحولت إلى

---

[1]/ بن يوسف بن خدة، **نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات ايفيان**، تعريب: لحسن زغدار محل العين جبائلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986م، ص 43.

[2]/ بنجامين ستورا، **تاريخ الجزائر بعد الاستقلال (1962- 1988)**، ترجمة: صباح ممدوح كعدان وزارة الثقافة، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق 2012م، ص11.

[3]/ يحي أبو زكريا، **الجزائر من أحمد بن بلة إلى عبد العزيز بوتفليقة**، ناشري، (ب، ب، ن)، 2003م، ص11.

[4]/ الزبيري محمد العربي، **المرجع السابق**، ص 211.

[5]/ بنجامين ستورا، **المصدر السابق**، ص، ص 12، 13.

مغارس كروم تعطي الخمور الممتازة التي يخصص جزء كبير منها لتحسين الخمور الفرنسية أو لتزيد السوق العالمية وكانت الصناعة التقليدية فقط فروعاً مكملة لبعض المصانع المتناثرة في مختلف أنحاء فرنسا[1].

كما كان يعاني الاقتصاد الجزائري من العديد من المشاكل، فلقد دمر العدو ما يزيد عن 800 قرية تدميراً كاملاً وحرق آلاف الهكتارات من الغابات، وإهمال الأراضي الزراعية، وحرق وقطع الأشجار المثمرة وسلب وقتل الكثير من الماشية حتى انخفض عددها من 07 ملايين رأس إلى ثلاثة ملايين، وخرب الكثير من الطرق وأهمل قسما منها، وخلف مناطق شاسعة ملغمة، ويضاف لكل هذا التدمير والتخريب اللذين قامت بهما المنطقة الإرهابية وخاصة المؤسسات العمومية كالمدارس والجامعة ومكتبتها والكثير من المنازل، وكل هذه التخريبات أدت إلى انتشار البطالة وقلة الإنتاج وكثرة البؤس والشقاء[2].

فمنذ الإعلان الرسمي عن استقلال الجزائر، كانت الأوضاع الاقتصادية جد حرجة، حيث استمرت الجزائر في ركود اقتصادي نتج عن الاستغلال الاستعماري الجشع لمختلف الثروات والهياكل، ومما ساعد على تأزم الوضع هو رحيل غالبية ملاك المصانع والوحدات الإنتاجية من المعمرين[3].

إضافة إلى هذا، فقد ورثت إرثا ثقيلا، مس كل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية فالنشاط الاقتصادي كان مشلولاً، المعامل مغلقة أو مخربة، وازدادت البطالة خطورة، والحركة البحرية متوقفة، وحلقات التوزيع مقطوعة، وكان تصدير رؤوس الأموال كبيراً، وكان المقاولون يستغلون الحالة السياسية التي كانت غامضة لسحب رؤوس أموالهم. وعدم تجديد سلعهم، وتحويل ما يعادل ممتلكاتهم إلى فرنسا، وأزمة النقد الحادة الناتجة عن توقف الأوربيون عن المدفوعات، وكانت الدولة شبه متفرجة فلا هي تقبض مستحقاتها، ولا هي قادرة على وقف نزيف الموارد الأخذة في الانكماش، فقد وجدت الدولة صعوبة بالغة في إعادة تأهيل البنى التحتية وإعادة الروح إلى القطاع الزراعي[4].

وقد أوجبت هذه الأوضاع:

_ إعادة تنشيط المؤسسات المهمة والتغلب على الصعوبات الكثيرة من تمويل وإيجاد الإطار.

_ الإسراع في تكوين الإطارات الجزائرية، والبحث عن إعانة فتية أجنبية.

---

[1]/ الزبيري محمد العربي، **المرجع السابق**، ص 211.

[2]/ سماعيلي زوليخة، المولودة علوش، **تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، دار دزاير أنفو، الجزائر، 2013م، ص 512.

[3]/ لعزيزي صبرينة، حياة بكرالس، **التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للجزائر (1965-1978م)**، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحديث و المعاصر، تحت إشراف: عبد القادر فلوح، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة، مليانة 2015_2016م، ص 13.

[4]/ **نفسه**، ص 13.

_ إزالة التفاوتات الجهوية تدريجيا، لتخفيف حدة الهجرة الريفية.

_ تشجيع الاستثمار الإنتاجي قدر المستطاع.

_ تخصيص نصيب وافر من المدخول الوطني لتحسين حالة المعوزين.

كل هذه التدابير والحلول المقترحة، لا يمكن تنفيذها على الفور، لذا لم تظهر نتائجها الايجابية إلى مع مرور الزمن[1].

وتحدث أحمد بن بلة عن الوضع الاقتصادي وذلك في قوله: " لقد كان الوضع الاقتصادي بأسا للغاية" "زفت" وكانت ميزانية الجزائر التي سلموني إياها ستة ملايين لا تكفي حتى يأكل الناس خمسة أيام، لذلك خاطبت الشعب وقلت له هذه هو الوضع، وليس لدى ما أعطيه[2].

وقد حاول بن بلة الاستعانة بدول المحور الاشتراكي في ذلك الوقت لتجاوز هذه الأزمة، وقد أولى بن بلة القطاع الاقتصادي والتربوي أهمية خاصة، فعلى المستوى الاقتصادي نهجت الجزائر النهج الاقتصادي الموجه والمسير وكانت الحكومة الجزائرية تستعين في هذا المجال بالمساعدات القادمة من الصين، ويوغوسلافيا السابقة ومصر وباقي الدول التي ناصرت الثورة الجزائرية[3].

كما قام أحمد بن بلة بما سماه " حملة ماسحي الأحذية" حيث يقول أحمد بن بلة فقد جاءني أحد الوزراء " أبو معزة" وقال لي: "يا أحمد: أني اسمع كلاماً معيبا عن وجود أطفال صغار يركعون أما الرجال ليمسحوا لهم أحذيتهم، وأنت تعرف الجزائري إنسان لديه أنفة كبيرة، وقال لي: "يا أحمد، كيف أننا حصنا على الاستقلال لكن الأطفال الصغار يركعوا ليمسحوا الأحذية ويحصلوا على الأموال قليلة من أناس يضعون أحذيتهم في وجهوهم" فجأتني النخوة وخاطبت الشعب في التلفزيون وقلت لعنة الله على الرجل الذي يقبل بأن طفلاً صغيراً يركع أمامه ويمسح له حذاءه" فانتهت هذه الظاهرة وإلى اليوم لا يوجد ماسحي أحذية في الجزائر[4].

كما جعلا "الثورة الديمقراطية والشعبية" أهدافها ثورة زراعية تقوم على توزيع الأراضي مجانا، وتأسيس تعاونيات على قاعدة الانضمام الحر إليها، وتضيع مرتبط بحاجات التنمية الزراعية، وتأميم المصارف والتجارة الخارجية، والعمل على توسيع شبكة الغاز والكهرباء في المراكز الزراعية، وإعداد وتأهيل المهندسين في المجالات كافة، وفق خطة تجعل البلاد قادرة على إدارة ثروتها المعدنية و الطاقوية بنفسها[5].

---

[1]/ المرجع نفسه، ص14.

[2]/ منصور أحمد، **الرئيس أحمد بن بلة يكشف عن أسرار ثورة الجزائر، ط2**، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص228.

[3]/ يحي أبو زكريا، **المرجع السابق**، ص، ص13، 14.

[4]/ منصور أحمد، **المصدر السابق**، ص 231.

[5]/ بنجامين ستورا، **المصدر السابق**، ص15.

رغم هذا تواصلت سيطرة فرنسا على قطاع الطاقة، واستفردت لسنوات عديدة في الاستفادة من الثروات الطبيعية الجزائرية، وكانت الشركات الفرنسية تتولى التنقيب عن النفط وتسويقه بدل أن يكون النفط الجزائري في خدمة الشعب الجزائري الذي أنهكته الحقبة الاستعمارية الفرنسية، فقد واصلت فرنسا عملية السلب والنهب[1].

كما تحولت الجزائر بفعل تطبيق نظرياتهم إلى حقل تجارب، ولد القطاع الاشتراكي من جمع القطاعات القديمة في وحدات زراعية، سُميت ذاتية التسيير ذات أحجام مهمة، وفي نفسه أنشأت هيئة وطنية للإصلاح الزراعي و الفلاحي كهدف أساسي للثورة الجزائرية[2].

لم يفت على برنامج طرابلس التذكير به أولا لأن الجزائر كبلد فلاحي يجب أن تحدث القطيعة مع الهياكل التي أفضت إلى اغتصاب الفلاح لصالح طبقة، وثانيا لأن طبقتي الفلاحة التي تمثل أربعة أخماس وطننا عانت من شائع آثار حرب التحريرية، ضحت بكل شيء من أجلها، من حق هذه الطبقة الفلاحية أن تقدم لها الثورة الاستقلال، وفي نفس الوقت رفاهية مستحقة[3].

وكانت الاشتراكية التي تبنها نظام أحمد بن بلة أدت إلى الفوضى، والشعب الجزائري لم يعد قادراً على التفاعل والتجاوب مع متطلبات تلك الفترة، وهذا نظرا لأسباب كثيرة منها تسرب العناصر الانتهازية إلى بعض مناصب الحكم، وإبعاد العديد من الإطارات القاهرة على إعطاء دفع قوي للجزائر، بالإضافة إلى الصراع الذي حدث بين القادة، وعدم وجود برنامج تنموي شامل وواضح مبني على أسس علمية[4].

ولم يعرف الميدان الاقتصادي تحسين في عهد بن بلة ففي سنة 1964م، كان عدد البطالين قد ارتفع إلى 02 مليون بطال و2600000 جزائري بدون دخل، وفي البناء والأشغال العمومية انخفض الإنتاج بـ55% ما بين 1962و1963، أما في قطاع المعادن والصناعة المعدنية انخفض الإنتاج بـ20% وانخفض كذلك الإنتاج الفلاحي بـ15%، ولم يعرف أي تطور في عهده، فإنتاج الحبوب لم يعد الإنتاج يتجاوز 17 مليون قنطار بينما حاجيات الوطن منه تصل إلى 25 قنطار في السنة، مع ارتفاع النمو الديمغرافي بـ3% لكل سنة. وعدد المهاجرين إلى الخارج ازداد هو الأخر وهذه الوضعية نتج عنها كما مر علينا اضطرابات اجتماعية، مظاهرات وتخريب مؤسسات الدولة سنة 1964[5].

---

[1]/ يحي أبو زكريا، **المرجع السابق**، ص 14.

[2]/ لعزيزي صبرينة، حياة بكرالسن، **المرجع السابق**، ص 15.

[3]/ **نفسه**، ص 15

[4]/ معزة عز الدين، **المرجع السابق**، ص 270.

[5]/ **المرجع نفسه**، ص، ص270، 271.

وبدور التأثير السلبي للإطارات السياسية التي توقفت عن النشاط النضالي لتكديس نشاطها لمصالحها الخاصة وصاحبتها ظاهرة فكرية تميزت بالبحث عن الربح والتمتع المادي وكذا سير الإدارة الذي أصبحت تعرقله قواعد معقدة، ومنها الفوارق بين الإدارات والمنافسات بين المصالح وهناك عامل لا مفر منه ويتمثل في القوى المعادية للاشتراكية الذي لا يمكن القضاء عليه بحبرة قلم أو بطريقة إجبارية أو بتدابير إدارية، ويبقى العدو الداخلي متربصا ما دامت جذور النظام الرأسمالي قائمة بالرغم من الاعتماد على العمال والفلاحين بصفة تلقائية[1].

إضافة إلى إبعاد العديد من الإطارات القادرة على إعطاء دافع قوي للجزائر، والصراع الذي حدث بين القادة وعدم وجود برنامج تنموي شامل واضح مبني على أسس علمية[2].

وهناك على الأقل ثلاث أسباب لهذه السيرورة، وهي نقص اليد العاملة الماهرة والتقانيين القادريين على تشغيل التجهيزات الاستعمارية التي هجرها الأوربيون، وقدم التجهيزات التي لم يطرأ عليها أي تجديد حتى اقتراب الاستقلال، وصغر السوق المحلية غير القادرة على تصريف إنتاجات مخصصة أنفا بشكل واسع لتلبية الطلب الأوربي عليها. يضاف إلى ذلك أزمة صادرات خطيرة بسبب محدودية الأسواق بالنسبة للإنتاج المحلي لانخفاض بمقدار الثلث، والربع، والثلثين على التوالي للكرامة، والخضار والزراعات الصناعية[3].

وكان سوء استخدام القدرات الإنتاجية مثيرا جدا للقلق، وكان انخفاض الاستثمارات أكثر حدة بعد انخفاض الإنتاج وفي الوقت نفسه ازدادت نفقات غير الإنتاجية مع التضخم الهائل في الدوائر العامة وأصبح التسيير مركزيا، حيث يقوم بتموين المزارع المسيرة ذاتيا بمدخلات الإنتاج الضرورية، وكذا يستوجب المحاصيل لكن غياب التسيير والتخطيط العقلاني، وسيادة البيروقراطية أدى إلى انخفاض وركود الإنتاج الزراعي، ولم تكن حالة التسيير الذاتي في الصناعة بأفضل من ذلك[4].

حيث تَكَون هذا القطاع من مؤسسات صغيرة الحجم، قدر عددها عام 1964م بـ: 330 مؤسسة، وعدد العاملين فيها حوالي 3000 عامل، هذه نتيجة لبقاء الشركات الأجنبية التي لم تغادر الجزائر عام 1962م، بل حافظت على ممتلكاتها الصناعية للتسيير الذاتي، كما حصل في الزراعة لمجابهة رحيل المسؤولين الأجانب من وحداتهم، والذي كان رد العمال عليه بالانتظام في تعاونيات مسيرة ذاتيا، لمتابعة النشاط الإنتاجي، ففي ميدان

---

[1]/ لعزيزي صبرينة ، حياة بكرالسن، **المرجع السابق**، ص 16.

[2]/ معزة عز الدين، **المرجع السابق**، ص 270.

[3]/ بنجامين ستورا، **المصدر السابق**، ص 31.

[4]/ لعزيزي صبرينة ، حياة بكرالسن، **المرجع السابق**، ص17.

صناعات الحديد والصلب والميكانيك بضع وحدات فقط آلت إلى القطاع الصناعي المسير ذاتيا، أما الوحدات الأخرى، تعود ملكيتها إلى شركات أجنبية، واستمرت في نشاطها إلاّ أن عملية التسيير الذاتي تحول ليصبح بيروقراطي، وظهرت شركات وطنية بعد عملية التأميم[1].

وقد تميزت هذه الفترة (1962_1965) بصفة عامة بمشاكل تسييرية للجهاز الإنتاجي، نتيجة ذهاب المعمرين الأمر الذي أدى بتولي العمال الجزائريين بإدارة تلك المشروعات الاقتصادية الموجودة آنذاك (مراسيم 1963 حول التسيير الذاتي)، وتولد عن تلك الفترة وجود قطاعات مسيرة بواسطة العمال مع وجود القطاع الخاص في المجال الصناعي والفلاحي والتجاري، تعتبر هذه العملية أول مسيرة تصحيحية للاقتصاد بعد الاستقلال رغم عدم وضوح النموذج الوطني للتنمية الاقتصادية. وقامت السلطات الجزائرية بتأميم الأراضي الزراعية سنة 1963م، والمناجم سنة 1966م، وبدأت اللجان التسييرية تزول في الصناعة، وتحل محلها الشركات الوطنية، بعد ما قامت الدولة بإنشاء الأدوات التي تمكنها من القيام بالتخطيط بعد توفير الشروط المناسبة[2].

[1]/ **المرجع نفسه**، ص، ص17، 18.

[2]/ كربالي بغداد، **نظرة عامة على التحولات الاقتصادية في الجزائر**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثامن، (ب، ب)، جانفي، 2005م، ص03.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية

1) الأوضاع الاجتماعية:

لقد أدت حرب التحرير إلى خسائر بشرية ومادية ضخمة، تحمل الريف الجزائري نقلها ونتائجها القاسية، مع تحطم البنى الاقتصادية والاجتماعية نتيجة القمع والتهجير، وتجميع السكان في المحتشدات داخل الأسلاك الشائكة، لقد ترتبت على سياسة إفراغ القرى والأرياف من السكان من أجل محاصرة الثورة أن اختبار أغلب السكان عامل الهجرة كملاذ، وأصبح المواطن في حاجة إلى تأهيل نفسي نتيجة الحرب السيكولوجية، وأساليب القمع، وأن الحلول الجذرية أصبحت إلزامية[1].

بلغ عدد السكان في الجزائر غداة الاستقلال10236000 نسمة، وتأكيد لظاهرة التعويض الناتج عن الحرب والتي تشهدها الشعوب بعدد خروجها من ذلك، فإن الجزائر قد عرفت موجة قوية من التزايد السكاني وقد يعود هذا الانفجار إلى مسألتين أساسيتين، الأول هو ارتفاع معدلات الخصوبة، والتي قدرت في الفترة (1961_1965) بـ:48.5% والثانية انخفاض معدلات الوفيات[2].

فمنذ سنوات الاستقلال الأولى بين عامي (1961_1965)، كان معدل المواليد قد وصل إلى 48.5 في الألف مقابل 42.2 في الألف عام 1950، أي قبل انطلاق ثورة التحرير، بينما بلغ معدل الوفيات 14.6 في الألف مقابل 32.2 في الألف خلال نفس الفترة. إن الوضع الديمغرافي الجديد في الجزائر تبلورت فيه عدة عناصر منذ فجر الاستقلال والتي أثرت فيه إلى درجة جعلت معدل النمو السكاني في مستوى من الارتفاع يصيب بالعجز كل محاولات التحكم السريعة، خاصة في ظل الوضع الاقتصادي المتدهور والموروث من زمن الاستعمار حيث أدى إلى زيادة سكانية بأكثر من ثلاث مرات منذ عام 1962م[3].

ونستطيع أن نذكر من بين العناصر المؤتمر ما يلي:

_ إطلاق سراح المساجين وعودة الجزائريين الذين كانوا في الجيش الوطني، والذين جندوا إجباريا في الجيش الفرنسي، ورغبتهم في تعويض ما عرفوه من انعزال وحدوي عن أهلهم وعائلاتهم.

_ ارتفاع معدل الزواج وانخفاض معدل الطلاق.

_ الإقبال الكبير للسكان على تسجيل ولاداتهم نظرا لوجود حوافز مادية وعلاوات، هذا من جهة ومن

---

[1]/ لعزيزي صبرينة، حياة بكرالسن، **المرجع السابق**، ص 19.

[2]/ بوضياف محمد، **مستقبل النظام السياسي الجزائري**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراء، تحت إشراف: محمد سليم قلالة، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2008م، ص34.

[3]/ عمارة نورة، **النمو السكاني والتنمية المستدامة دراسة حالة الجزائر**، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير شعبة اقتصاد البيئة، تحت إشراف: عبد الأمير السعد، قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة باجي مختار، عنابة، 2012م، ص 13.

ومن جهة أخرى، وجود نسبة كبيرة من الأسر التي كانت منعزلة عن كل شروط الحياة الوقائية والأمنية مما دفع المجتمع إلى تكاثر سلالتهم من أجل ضمان استمرارهم ووجودهم الاقتصادي والاجتماعي.

_ الزواج المبكر للنساء خاصة الريفيات منهم، مع العلم أن هذا الزواج المبكر يعمل على زيادة فترة قدرة المرآة على الإنجاب.

تلك كانت بعض العناصر التي كانت وراء ظهور ازدهار الخصوبة في الجزائر عشية الاستقلال[1].

كما تميزت فترة ما بعد الاستقلال أيضا بالتناقضات والصراعات، وذلك من أجل الاستفادة من إرث المستعمرين الذين تركوا ممتلكاتهم وغادروا البلاد، هذا ما أدى إلى تشكيل قاعدة اجتماعية بورجوازية ذات امتيازات نسبية، ولقد تميز البنية الاجتماعية بعد الاستقلال بوجود عدة طبقات، غير أنها لا تفهم بالمفهوم المتعارف للطبقات، حيث يمكن أن نعرف الطبقية في حالة الجزائر على أساس تملك وسائل الإنتاج وأسلوب تملك قوة العمل، ولا يؤخذ الوعي الطبقي هنا كمعيار في التعريف، حيث أن كل إجراء أو عمل قام به العمال أو الفلاحون مثل الاستيلاء على ممتلكات المستعمرين كان نتيجة لوعي وطني تبلور وتكون طوال فترة الاستعمار أما بخصوص الوعي الطبقي فيكاد يكون معدوما لغياب تبلور طبقي بالمفهوم الماركسي[2].

أما بخصوص النقد الذي يمكن أن يوجه إلى المجتمع الجزائري عند بداية الاستقلال، أنه لم يكن واضحا وأنه من الصعوبة أن نفرق بين هذه الفئات أو الطبقات، والتي يمكن تلخيصها كالأتي:

أ_ برجوازية ضعيفة: حيث نشأة في الفترة الاستعمارية، غير أنها لم تكن مستعدة للقيام بدور ديناميكي كقاعدة سياسية وكحركة لعملية التنمية، لذلك فهي تعتبر طبقة ضعيفة إيديولوجيا وغير ديناميكية اقتصاديا.

ب_ برجوازية صغيرة: هي طبقة متكونة من رجال الأعمال الذين ينتمون إلى مناصب إدارية عليا أو ينتمون إلى أجهزة الدولة، ليست لديها شخصيتها المستقلة، كما أنها لم تكن طبقة ثورية، لكونها لم تحاول أن تجسد طموحات القوى الشعبية، بل كانت تحاول أن تتطور في اتجاه البرجوازية، وكل هذه الأمور جعلتها تفقد دورها في انبثاق إيديولوجية وطنية ثورية.

ج_ الطبقة المتوسطة: وهي الطبقة الأقل تطورا بعد الاستقلال، حيث أنها تشكلت من القاعدة الشعبية تحمل في طياتها أمل في التطور الوطني والتقدمي.

د_ **طبقة الفئات الشعبية:** وتعتبر هذه الطبقة الأكثر حرمانا وفي سنة 1964م بدأ تبلور بعض الفئات يظهر إلى الوجود، ففي الريف الجزائري أمكن تمييز الفئات التالية:

---

[1]/ **المرجع نفسه**، ص، ص 130، 131.

[2]/ دبلة عبد العالي: **الدولة الجزائرية الحديثة (الاقتصاد، المجتمع، السياسة)**، دار الفجر، القاهرة، 2004م، ص، ص12، 13.

- مليون من العاطين بدون أرض ولا عمل.
- 700.000 عامل في القطاع المسير ذاتيا (من بينهم 70.000) انخرطوا في القطاع منذ مارس 1963م.
- العمال الزراعيون الموسميون الذين كانوا حوالي 450.000.
- الملاك المتوسطين الذين يملكون بين 10 و50 هكتار عددهم 170.000.
- صغار الملاك الذين يملكون من 01 إلى 10 هكتار حوالي 450.000.
- الملاك الكبار الذين يملكون فوق 50 هكتاراً، وفي الإجمالي يملكون 2800.000 هكتار وقدر عددهم بـ 25000[1].

أما بخصوص المدن فقد أمكن ملاحظة الطبقات التالية:

أ_ بروليتاريا حضرية: كانت هذه نتيجة للهجرة الريفية القوية التي اتبعت الاستقلال، لذلك كان من الصعب حصر عددها.

ب_ البرجوازية الصغيرة: وهذه الطبقة تتكون بنسبة كبيرة من الحرفين والتجار، وقد قدر عددها بـ: 170,000.

ت_ البرجوازية الكبيرة: وقدر عدد هذه الطبقة بـ 50,000 شخص وتتكون هذه الطبقة من التجار ملاك العقارات، وأصحاب المصانع الصغيرة، الذين يملكون من 07 إلى 08 آلاف مؤسسة صناعية.

كما أشار ميثاق الجزائر 1964م في تحليله للبنية الاجتماعية الجزائرية إلى نقطتين هما:

_ إن البرجوازية الكبيرة لا يكمن اعتبارها طبقة اجتماعية.

_ يوجد بالمقابل خطر حقيقي يمكن أن يشكل طبقة اجتماعية، وهي البرجوازية البيروقراطية.

حيث تنهض رؤية جبهة التحرير في هذا الميثاق تحليلها لهذه البرجوازية، أنها امتداد للنظام الاستعماري ويخشى أن تحل محل الطبقة الاستعمارية القديمة المضطهدة والمستغلة للفلاحين[2].

ث_ السكن والهجرة: فبالنسبة للسكن بعد الاستقلال، فقد أدى رحيل الأوربيين الكثيف إلى سيرورة امتلاك الفضاءات التي أصبحت شاغرة[3].

فبعد الحصول على الاستقلال الوطني، اعتبرت السياسة الوطنية أن المدينة تجسد الإطار الأفضل لدفع

---

[1]/ دبلة عبد العالي، **المرجع السابق**، ص، ص 17_19.

[2]/ **المرجع نفسه** ، ص، ص19، 20.

[3]/ بنجامين ستورا، **المصدر السابق**، ص34.

التنمية والتطوير[1].

هذا ما أدى إلى إنسياج واسع جدا ومفاجئ للسكان إلى المناطق الحضرية، وبما أن أغلبية هؤلاء المهاجرين هم من الفلاحين الذين لا يملكون أرضا ولا أموالاً جاهزة، فقد تركت هذه التيارات المهاجرة بصمتها الدائمة على ملامح المدن(تشبع المدن القديمة، توسع مخيف للسكن المؤقت وبناء مدن صفيح بالقرب من المدن الجديدة) فما بين (1960_1963م) شهدت المدن الجزائرية وصول 800 ألف ساكن جديد نصفهم إلى مدينة الجزائر كما ارتفع عدد سكان البلديات الحضرية من ثلاثة ملايين نسمة عام 1959م إلى أربعة ملايين نسمة في عام 1966م من مجموع عدد السكان الجزائر البالغ عشر ملايين نسمة[2].

ونظرا لهذا النمو السكاني الرهيب، كانت له عواقب وخيمة أدت إلى إرتفاع الطلب على المساكن والضغط على المرافق العامة، والخدمات الاجتماعية الذي تعدى كثيرا طاقة التجهيزات الحضرية الموروثة والتي أصبحت تعاني عجز كبيرا ساهم بقسط كبير في ظهور البوادر الأولى اللازمة، التي فوجئت بها السلطات العمومية آنذاك، وقد وجدت السلطة نفسها عاجزة أمام أزمة السكن، التي كانت في تزايد، مما أدى إلى عجزها لإيجاد حلول هذه المشكلة الاجتماعية[3].

إضافة لاعتقاد السلطات والمسيرين بأن هجرة الأعداد الضخمة من الأوربيين توفر إمكانيات جديدة للسكن أمام الموظفين الجزائريين، وأن هذه المساكن كافية لسد حاجيات السكان، مما جعل الدول تطمئن وتهتم بالمجالات الأخرى، كما اعتبر المسؤولين أن عملية تأميم الأرض من المستعمر هي عملية تساهم في رجوع سكان الضواحي بالأحياء القصديرية إلى الأرياف وإحياء النشاطات الزراعية، وبالتالي السكن في الريف وتخفيف ضغط طلبات السكن بالمدن[4].

لمواجهة الوضع الإستعجالي الذي آلت إليه العاصمة من انفجار سكاني وتوسع سريع وفوضوي للنسيج العمراني للمدينة، ثم غداة الاستقلال، ثم استدعاء الإطارات الأجنبية ذات الشهرة للمساهمة في وضع مخططات عمرانية الجزائرية[5].

---

[1]/ وناسي سهام، **النمو الحضري ومشكلة السكن والإسكان، دراسة ميدانية بمدينة باتنة حي 1020 مسكن**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، تحت إشراف: مصطفى عوفي، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2008_2009، ص69.

[2]/ بنجامين ستورا، **المصدر السابق**، ص 34.

[3]/ لعزيزي صبرينة، حياة كبرالسن، **المرجع السابق**، ص20

[4]/ وناسي سهام، **المرجع السابق**، ص 147.

[5]/ لعزيزي صبرينة، حياة بكرالسن، **المرجع السابق**، ص 20.

أما بخصوص السكن الريفي، فقد عملوا على إنشاء سكن مجدد يتلاءم الظروف المحلية واحتياجات الحياة العصرية، ويعتبر البناء والعمران قبل كل شيء مشكل اجتماعي وإنساني، لن تتكفل الحكومة فقط بالمناطق الحضرية المهمشة بل اهتمت كذلك بالمناطق الريفية الصناعية والريفية المهملة. وستقود الحكومة حرب دون هوادة ضد الأحياء القصديرية والأكواخ، وستشن عملية عميقة بغرض إعادة بناء القوى المدمرة، أعطيت المصالح الإدارية المختصة صيغ للبناء، تجمع بين المساعدة المالية التقنية للدولة ومشاركة الكتل العاملة المسخرة لهذا الغرض[1].

ومن خلال هذا فقد قامت الحكومة ببعض الإجراءات اللازمة لإيجاد حلول للمشاكل السكينة، من خلال إعادة البناء من أجل إدماج السكان المتضررين من الحرب في الدائرة الاقتصادية، إضافة إلى تقنين أجور الكراء في المدن واستعمال السكنات المأجورة حجزا غير كافي، وإنشاء تعاونيات سكينة وتوزيع السكنات، وفق الحد الأدنى الضروري والوقوف ضد التكديس والإسكان الناقص في نفس الوقت[2].

أما بخصوص الهجرة فبعد استقلال الجزائر أدت موجات الهجرة الجديدة إلى تصدع البنود الواردة في معاهدة ايفيان لعام 1962م، من طرفي البحر المتوسط، تنوي فرنسا والجزائر وضع رقابة على "التدفقات" ففي 09 يناير 1964م، جرى الاتفاق بين وزير الشؤون الاجتماعية في الحكومة الجزائرية ووزير العمل الفرنسي على ما يلي:

_ تقدر الحكومتان أن من مصلحة فرنسا والجزائر تطبيع اليد العاملة بين البلدين.

_ منذ الوقت الحالي حتى الأول من شهر جوان يحدد عدد الرعايا القادمين من الجزائر تبعاً للمشكلات المطروحة على اقتصاد البلدين.

_ اعتبارا من الأول من شهر جوان 1964م يجدد عدد القادمين من العمال الجزائريين، وفقا لإمكانيات اليد العاملة في الجزائر وإمكانيات سوق الاستخدام الفرنسية، والتي تبلغها الحكومة الفرنسية إلى الحكومة الجزائرية كل ثلاثة أشهر[3].

لم تمنع إجراءات نظام الحصص تضخم الهجرة، ففي ربيع عام 1965م، تجاوز عدد الجزائريين في فرنسا عتبة 450 ألف شخص، وقد اعترف ميثاق الجزائر لجبهة التحرير الوطني، المتبنى في شهر أبريل 1964م أن أسباب الهجرة الجزائرية إلى أوربا وعلى وجه الخصوص إلى فرنسا، مرتبطة بشكل وثيق بمستوى التنمية في الجزائر، وقد يمكن تخفيفها أو كبحها، لكن لا مجال لإيقافها إلا باختفاء الأسباب الرئيسية لها، بكل وضوح لا

---

[1]/ ***نفسه***، ص 20.

[2]/ زوزو عبد الحميد، **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة**، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص58.

[3]/ بنجامين ستورا، **المصدر السابق**، ص، ص 32، 33.

مجال لإيقاف الهجرة طالما لم يصبح البلد متطورا بشكل ملموس، وقد حدد ملحق ميثاق 1964م ما يلي:" إن سوق العمل الفرنسي سيزود بسوق تقليدية لليد العاملة غير المستخدمة في الجزائر، واعتبر نظام بن بلة أنه لا يستطيع الاستغناء عن صمام الأمان الذي تقدمه سوق الاستخدام في فرنسا، فالهجرة تعد إذن شر لا بد منه فهي عمليا تشجعها دولة مهمتها تخفيف الضغط على سوق العمل، وتحسين رصيد ميزان المدفوعات عن طريق إرسال العمال الجزائريين عملة صعبة إلى وطنهم لدعم عائلاتهم ماليا في الجزائر[1].

أما فيما يخص الصحة، فقد كان النظام الصحي الموروث عند الاستقلال متمركزاً أساسا في كبريات المدن كالجزائر وهران وقسنطينة، ويتمثل خاصة في الطب العمومي، الذي يتم داخل المستشفيات وعيادات تشرف عليها البلديات، وتقدم المساعدات الطبية المجانية إلى جانب مراكز الطب المدرسي النفسي، التي تشرف عليه وزارة التربية والتعليم، ومن جهة أخرى هناك الطب الخاص الذي يسهر عليه حوالي 600 طبيب، يعملون في عيادات خاصة جلهم كانوا من الأجانب، ولقد عرف قطاع الصحة خلال الفترة الممتدة من الاستقلال إلى غاية منتصف الستينات وما بعدها تطورات كبيرة، من حيث المستخدمين والهياكل القاعدية، لكن بمستوى تميز ببطء مقارنة مع التطور السكاني الذي عرفته البلاد[2].

فقبل سنة 1965م لم تكن البلاد تتوفر إلا على 1319 طبيب، منهم 285 جزائريا فقط، وهو ما يعادل طبيبا واحد لكل 8092 نسمة، و264 صيدليا أي صيدلي واحد لكل 52323 نسمة، أما من حيث الهياكل القاعدية فقد كان هناك عجز كبير، حيث كان قبل سنة 1967 قرابة 39000 سرير في المستشفيات، وما يميز هذه المرحلة هو الزيادة النسبية لقاعات العلاج مقاربة بنسبة 1962م[3].

ولقد تميزت السياسة الصحية خلال هذه الفترة بمحدودية في خياراتها جراء ضعف الوسائل المتوفرة لها وكان ينبغي في أول الأمر إعادة إنعاش البنايات والهياكل التي خلفها الاستعمار، قبل توفير أدنى قسط من الخدمات الصحية للسكان، ومن جانب آخر كانت الدولة عازمة على تنمية سياسة على شكل إعانة، تتمثل في الحملات التلقيحية لبعض الأمراض الفتاكة المعدية[4].

كما تميزت هذه المرحلة من جهة بطب الدولة من خلال المؤسسات الإستشفائية والتي تسير من طرف وزارة

---

[1]/ **المرجع نفسه**، ص 33.

[2]/ حسنة أل، **تطور المنظومة الصحية الجزائرية منذ الاستقلال https:// www.djaziress.com** اطلع عليخ يوم الأربعاء، 21 مارس، 2018، على الساعة 07:41، ص 01.

[3]/ **نفسه**، ص 01.

[4]/ دبلة عبد العالي، **المرجع السابق**، ص، ص 119، 120.

الصحة والمراكز الصحية التي تضمن المساعدات الطبية المجانية في المدن والبلديات وتسير من طرف البلديات، بالإضافة إلى مراكز النظافة المدرسية التي تسير من طرف وزارة التعليم، ومن جهة أخرى كان هناك قطاع طبي خاص يقدم علاجا وهو ذو طابع ليبرالي في العيادات الخاصة، كما يمكن للأطباء الخواص استعمال المؤسسات العمومية التابعة للدولة في إطار تعاقد هذا الخليط من الأنظمة ويتم من مديرية دائرة الصحة[1].

ولقد قامت الحكومة "بن بلة" بإصلاحات أخرى على مستوى الاجتماعي، وذلك من خلال التصدي للتحديات الاجتماعية الكبيرة التي واجهتها، وذلك بوضع مشروع تنمية اشتراكي عاجل للبلاد يهدف إلى تأطير العاطلين عن العمل وإدماج اللاجئين والمحاصرين، وإخراج البلاد من هذا الوضع المزري، فاتخذ العديد من الإجراءات الرئيسية منها:

_ تأميم الأراضي التي تركها المستوطنون 2.44 مليون هكتار منذ أكتوبر 1962، وتحويلها إلى تعاونيات مسيرة ذاتيا بموجب مرسوم مارس 1963م، حيث يقول بن بلة: " أن المشروع الحقيقي للثورة الزراعية بدأت في عهد تأميمها للأراضي التي كانت للكولونيل".

_ الحد من سيطرة الشركات الأجنبية على الثروات الوطنية بشراء أسهمها والاشتراك بها.

_ التعاون مع الدول الشقيقة والصديقة في مجالات كالتعليم والصحة.

_ بداية تأميم المطاحن والصناعات الغذائية في أفريل 1964م[2].

وقد قامت حكومة بن بلة بحل الكثير من المشاكل الاجتماعية مثل قضية التسول رغم أن حكومته لم تكن في يدها أموال النفط والغاز[3]، وقد قام بحلها من خلال العمل على توفير المأكل والمشرب، وحتى المأوى خلال سنة ونصف، كما عملت حكومة بن بلة أيضا على القضاء على ظاهرة ما سحي الأحذية حيث نبه وزير العمل والشؤون الاجتماعية: "بشير بومعزة" إلى هذه الظاهرة الخطيرة، حيث قال: "كيف أننا حصلنا على الاستقلال لكن الأطفال الصغار يركعون ليمسحوا الأحذية ويحصلوا على أموال قليلة من أناس يضعون أحذيتهم في وجوههم" فكانت ردة فعل الرئيس " أحمد بن بلة" أن ألقى بخطاب في التلفزة وقال فيه " لعنة الله على الرجل الذي يقبل أن طفلاً صغيراً يركع أمامه ويمسح له حذائه"[4].

---

[1]/ حسنة آل، **الموقع السابق**، ص1.

[2]/ لونسي رابح وآخرون، **تاريخ الجزائر المعاصر، ج02**، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، ص 49.

[3]/ يحي أبو زكريا، **المرجع السابق**، ص 14.

[4]/ أحمد منصور، **المصدر السابق**، ص 231.

وقد رافقة هذا إجراءات قام بها الدولة للقضاء على هذه الظاهرة إلى أن زالت تماماً، وذلك من أجل معالجة معضلة اللاجئين المتمثلة في توفير مناصب شغل لهم، فقد قامت الدولة بفتح مكاتب اليد العاملة وذلك من خلال فتح أبوابها للمهاجرين أو الذين يرغبون في الهجرة إلى فرنسا على مستوى التراب الوطني للعمل هناك وهذا بعد أن أبدت فرنسا استعدادها لذلك[1].

أما بخصوص الصحة فقد قامت الحكومة أيضا بتأسيس مراكز صحية ومثال ذلك مراكز لحماية الأمومة والطفولة حيث تم تأسيسها في 1965، وكانت مكلفة بضمان صحة جيدة للأم والطفل، وغيرها من المشاريع[2].

1_ الأوضاع الثقافية:

لقد أدى خروج الاستعمار الفرنسي والأساتذة الفرنسيين إلى شعور فظيع في القطاع التربوي والتعليمي وفوق هذا وذاك فقد خلفت فرنسا في الجزائر مرضا ظل وما زال يفتك بالجزائر وهو مرض الأمية[3].

حيث استقبلت الجزائر استقلالها بمدرسة لا علاقة لها بالتضحيات الجسام التي قدمتها جماهيرنا في المدن والأرياف، حيث كانت الكوادر التي يمتلكها قليلة للغاية، وجعلها من أصناف المتعلمين الذين منعهم الاستعمار على عاجلة ليكونوا امتداده الطبيعي، الذي يعتمد عليه في مواصلة عملية المسخ الثقافي والتزييف والتشويه إضافة إلى الأمية التي قدرت سنة 1962م بـ: 80 بالمائة[4].

وكان التحدي الأول الذي واجه الدولة الجزائرية هو قلة الخبراء والأكفاء الذين لهم القدرة على تسير دقة الحكم، فاضطرت الدولة الجزائرية الفنية إلى الاستعانة بالمحسوبين على الثقافة الفرنسية من الجزائريين الذين تلقوا تعليمهم في باريس وكان بعضهم يؤمن بفرنسا أكثر منه بالجزائر. وبدافع سد النقص أصبح دعاة الثقافة الفرانكفونية هم أصحاب الحل والربط، ومن جملتهم المهندس "سيد أحمد غزالي" الذي تخرج من الجامعات الفرنسية كمهندس في الطاقة وعين لدى عودته إلى الجزائر مدير القطاع الطاقة الذي كان تشرف عليه فرنسا في الجزائر[5].

وهذا لا يعني أن أحمد بن بلة لم يكن قلقا على مصير الثقافة العربية، بل كان يؤمن بعروبة الجزائر ولذلك قام باستدعاء آلاف الأساتذة العرب من مصر والعراق وسوريا للمساهمة في قطاع التعليم، وقد اصطدم هؤلاء

---

[1]/ سلطاني أبو جرة ، **جذور الصراع في الجزائر، ط2**، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص 27.

[2]/ عمارة نورة، **المرجع السابق**، ص 154.

[3]/ يحي أبو زكرياء، **المرجع السابق**، ص 11.

[4]/ الزبيري محمد العربي، **الغزو الثقافي في الجزائر (1962- 1982)**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986، ص 31.

[5]/ يحي أبو زكريا، **المرجع السابق**، ص، ص11، 12.

التربويون العرب بمجموعة كبيرة من العراقيل البيروقراطية والتي كان يضعها في طريقهم سماسرة الثقافة الفرانكفونية وأحتار العديد من هؤلاء المتعاونين العودة إلى بلادهم[1].

وقد أولت السلطات الجزائرية ومنذ السنوات الأولى من الاستقلال اهتماما بالغا بقطاع التعليم لمواجهة هذه الأزمة، وذلك من خلال رصد المبالغ الضخمة واعتبار أن الاستثمار في هذا القطاع يعد جوهر عملية التنمية وقد أدت هذه الجهود إلى انخفاض سنة الأمية إلى 61% في 1977م[2].

وفي أول دخول مدرسي تم في أكتوبر سنة 1962م في الجزائر المستقلة اتخذت وزارة التربية آنذاك قرارا يقضي بإدخال اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية بنسبة سبع ساعات في الأسبوع. وقد تم توظيف 3,452 معلما للعربية و16,450 للغة الأجنبية منهم عدد كبير من الممرنين قصد سد الفراغ المدهش الذي أحدثه عمداً أكثر من 10,000 معلم فرنسي غادروا بلادنا بصفة جماعية زيادة على 425 معلم جزائري من مجموع 2600 انقطعوا عن التعليم ليلتحقوا بقطاعات أخرى وأسندت لهؤلاء المعلمين المبتدئين مهمة التدريس بعد أن تدربوا في ورشات صيفية[3].

وفي انتظار وضع إصلاح شامل يتناول إصلاح شامل يتناول بنيات التعليم ومضامينه وطرائقه أجريت على التعليم تحويرات مختلفة منذ سنة 1962م، ومن الإجراءات الفورية التي اتخذت مذكر الإطار الوطني الجزائري الذي وضع فيه التعليم في بلاد استعادت سيادتها وحريتها واستقلالها وأعادت الاعتبار للغة الوطنية والتربية الدينية والأخلاقية والمدنية والتاريخ والجغرافيا وغيرها، ثم شكلت لجنة وطنية عقدت اجتماعها الأول في 15 ديسمبر 1962م حددت الاختيارات الوطنية الكبرى للتعليم تلك تمثلت في التعريب والجزارة والديمقراطية التعليم والتكوين العلمي والتكنولوجي[4].

كما بذل أيضا "بن بلة" جهداً في مكافحة الأمية، حيث نضمت الدولة حملة شعبية لمكافحة الأمية، لكنها لم تعطي النتائج المرجوة، منها لأسباب عدة، لكن هذه التجربة جعلت الحكومة تعيد النظر في هذه القضية من أساسها، فأنشأت مركزا وطنيا دائما لمكافحة الأمية[5].

لكن نجد أن حكومة "بن بلة" تهاونت في تأكيد وترسيخ هوية المجتمع الجزائري، كما أنها ارتكبت بعض

---

[1]/ **المرجع نفسه**، ص 12.

[2]/ بوضياف محمد، **المرجع السابق**، ص 38.

[3]/ زرهوني الطاهر، **التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال**، دار موفم للنشر، 1993م، ص42.

[4]/ **نفسه**، ص42.

[5]/ طالب أحمد الإبراهيمي، **من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية (1962_1972)**، ترجمة حنفي عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (ب، س، ن)، ص 81.

الأخطاء في هذا المجال منها:

_ التضيق على الشيخ البشير الإبراهيمي الذي فرضت عليه الإقامة الجبرية غداة البيان الذي أصدره عشية ذكرى وفاة العلامة "ابن باديس"

_ التغاضي عن تسرب بعض القيم المادية الوافدة كالفنون والعادات الغربية وانتشار تعاطي الخمور....الخ[1].

أما بخصوص التعريب فقد كان بعيداً لكل البعد عن الطابع الأكاديمي، وهذا راجع إلى القيادة العليا في الجزائر كانت مشغولة بأمور السلطة، فإن التعريب ظل منذ استرجاع الاستقلال، يحتل مكانة ثانوية، ونظراً لذلك فإن أعداءه قد تمكنوا بسهولة من الإجهاز عليه بأبشع الطرق، أي بالإعلان عن التمسك به والعمل على نشره وإحلال المكانة اللائقة به في سائر قطاعات الدولة، وفي الميدان تعبأ جميع الإمكانيات لمحاربته ومنعه من التطبيق حتى في المستويات، فمنذ أن ظهرت قضية التعريب بالجزائر عام 1962م، برزت معها الصعوبات والعراقيل والحواجز، وظهرت اتجاهان متناقضان من البلاد[2].

وقد بدأ تطبيق التعريب على أرض الواقع خلال السنة الدراسية (1963_1964م)، بالتعريب الكلي للسنة الأولى من الطور الابتدائي، ثم أخذت تدابير أخرى من أجل تدعيم تعليم العربية وتمتينها على مدى البرنامج الدراسي، وبالفعل فقد جرى تعريب مواد ذات مضامين إيديولوجية قوية أو ثقافية أو سياسية، وثم تكييفها مع واقعنا الوطني[3].

لكن هذا لا يمنع أنه كانت هناك أخطاء وقفت كعقبات في طريق التعريب، حيث نجد أن الحكومة اتخذت إجراءات تخريبه تتمثل في تعيين طواقم تسير المدارس والتكميليات والثانويات من المفرنسين المتزمنين، الذين كانوا في وقت من الأوقات يمنعون التلاميذ الكلام بغير الفرنسية، حتى في أوقات الراحة، وكان لتلك الإجراءات أثرها السيء على نفسية التلاميذ وعلى الجهد الذي كان معلمو العربية يبذلونه داخل أقسامهم لتعليم مبادئ اللغة الوطنية.

ووسط كل تلك العقبات وغيرها صرحت الحكومة بأن قضية إعادة اللغة العربية إلى المواقع التي طردها الاستعمار منها، ليمكن للغته وثقافته لا يمكن أن يتم إلا بعد عشر سنوات أو حتى خمسة عشر سنة، وهي

---

[1]/لونسي رابح وآخرون، **المرجع السابق**، ص 60.

[2]/ بن دحمان سارة، **واقع الجزائر الاجتماعي والثقافي فيما بين (1962– 1978م)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ معاصر، تحت إشراف: بنادي محمد الطاهر، شعبة تاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013_2014م، ص ص 60، 61.

[3]/ Taleb Ahmed Ibrahimi: **Mémoire d'un Algérien, Tome2**, édition casbah, Alger, 2008, p46.

"عملية طويلة النفس" كما سّماها ميثاق الجزائر، وذلك بعد أن صرحت قبل ذلك بأن التعريب سينجز خلال شهور معدودات، ولكن التشديد كان مستمرا أيضا على أن ذلك الهدف أمر استراتيجي بالغ الأهمية ولا بد من تحقيقه[1].

كما يرى "بن بلة" أن من يفكر في بقاء اللغة الفرنسية في الجزائر كلغة منافسة للغة العربية، هو بمثابة الطابور الخامس وعدو للعروبة والإسلام والوطن[2].

[1]/ بن دحمان سارة، **المرجع السابق**، ص 62.

[2]/ **المرجع نفسه**، ص، ص 62، 63.

الفصل الأول:

أضواء على النشأة الاجتماعية والمسار الفكري والسياسي للمدني (1899_ 1962م)

1. **المبحث الأول:** المولد والنشأة
2. **المبحث الثاني:** تكوينه الدراسية
3. **المبحث الثالث:** نضاله في تونس
4. **المبحث الرابع:** نضاله في الجزائر
5. **المبحث الخامس:** نماذج من إسهاماته في بعث الذاكرة التاريخية

المبحث الأول: المَوْلِدْ والنشأة

1. المولد:

وُلِدَ أحمد توفيق المدّني بتونس[1]، وبالتحديد في أول نوفمبر 1899م[2]، في إحدى الديار العربية التي يرجع عهد بنائها إلى العصر الحفصي الأخير "**بنهج الناعورة**"(*) رقم 04 بتونس العاصمة[3].

وفدت عائلته من مدينة الجزائر إلى تونس في أعقاب فشل ثورة الشيخ الحداد والمقراني سنة1871م[4].

جده هو أحمد بن محمد المدني مولدًا، القبي الغرناطي الشريف، كان أمين الأمناء بالجزائر العاصمة[5].

أما وَالِدَهُ فهو محمد بن أحمد بن محمد المدني مولدًا، القبي الغرناطي من السادة الأشراف، وقد وُلِدَ بالحضرة الجزائرية خلال سنة1852م، وتلقى علومه العربية بالجامع الكبير، وكان من كبار علماء الجزائر[6].

أما وَالِدَتَهُ عائشة بنت عمر ابن مصطفى بويراز، الذي كان قائد فريق الفرسان الجزائريين في معركة سطاوالي الشهيرة، وُلِدت بتونس خلال عام1877م، وجدته من عائلة ابن غشام التي كانت من كبريات العائلات التونسية[7].

وقد حصل التعارف عندما هاجر جده مع والده إلى تونس مع اشتداد الاضطهاد الفرنسي بمدينة الجزائر واستقروا مؤقتا بمنطقة جرجرة إلى غاية سنة1870م، ووقعت الثورة الكبرى التي قادها المجاهدان المقرَاني والشيخ الحداد، وشارك فيها الجد والوالد إلى أن انهارت، وتعارف يومئذ مع جده للأم المرحوم الصالح الشيخ عمر بويراز والذي كان بدوره قاصداً تونس أيضا، وخلال رحلة الهجرة حدث التعارف والتقارب بين العائلتين[8]، وكان المدّني يعيش في منزل فخم جمع الأب والأم والابن وكانت حياتهم سعيدة وكان يصغي إلى حديث الأب والجد

---

[1]/ محمد بلقاسم، **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910 – 1954 م)**، دار القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م، ص 50.

[2]/ تاحي اسماعيل، **مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية (1927 – 1992 م)**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، تخصص الحركة الوطنية، إشراف خمري الجمعي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 2006 _ 2007 م، ص 89.

(*) نهج الناعورة: هو الطريق الذي يفصل بين نهج الباشا ونهج التريبونال بتونس. للمزيد ينظر: المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج1**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 م، ص 33.

[3]/المصدر نفسه، ص33.

[4]/ شرفي عاشور، **معلمة الجزائر، القاموس الموسوعي (تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام ومعالم)**، دار القصبة للنشر، (ب، ب، ن)،2009 م، ص 1294.

[5]/ شترة خير الدين، **معجز أعلام الجزائر، خريجي الجامع الأعظم بتونس، ج03**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015 م،ص 526.

[6]/ المدني أحمد توفيق: **المصدر السابق**، ص33.

[7]/ **المصدر نفسه**، ص 34.

[8]/ بن مبارك نجيب، **تحفة البصائر في ذخائر مدينة الجزائر، ج02**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 م، ص61.

والخال[1].

وقد أَوْرَدَ المدّني في مذكراته، خلفيات تسميته باسم " توفيق"، إذ هو في الأصل " أحمد المدني"، فذكر أن التسمية أُطلقت عليه أيام حرب طرابلس سنة 1911م، عندما التقى القائد العام للجيش العثماني بليبيا "فتحي بك" وهذا في إحدى الجلسات، حيث لفت انتباه القائد بحيويته وذكائه رغم صغر سنه، فسأله عن اسمه، ثم دعاه منذ تلك اللحظة فقال له: " أنت أحمد توفيق _ توفيق" فشاع الاسم[2].

2. نشأته:

نَشَأَ أحمد توفيق المدّني وسط جو عائلي إسلامي الروح، إذ تربى في أسرة كريمة، ذات أخلاق عالية وقد روى بنفسه في مذكراته أنه كان أكبر من سنه بأعوام عديدة قائلاً:" كانت الحياة في منزل فخم حياة ناعمة سعيدة ... لم أكن ألعب مع الأطفال، وأنا أسمع من وراء أبواب المنزل لغطهم وصراخهم، وما يقولونه من بذئ الكلام الذي لم أكن أفقه له معنى وأسأل أمي عنه فتراوغ في الجواب، وتقول لي إياك وأن تختلط بهم..."[3].

وكانت والدته رحمها الله تجتهد في تعليمه سُورًا من القرآن وبعض الأحاديث النبوية التي كانت تسمعها من أبيها فتحفظها بأسانيدها، وتنفرد من مخالطة الأطفال خوفا من تعلم بذاءتهم[4]، فوالدته كانت على جانب معتبر من الثقافة الإسلامية، كما لها عناية بالقرآن والحديث حفظًا وفقهًا، ولا تدخر جهداً في رعاية أولادها وتربيتهم تربية مثالية على العقيدة الصحيحة والأخلاق الكريمة والسلوك الحسن حيث كانت حذرة جداً عليهم من مخالطة الوسط الاجتماعي، وما ينجز عنها من انحراف، خاصة إذا كان المختلط بهم ممن لا أخلاق له[5].

أما وَالِدَهُ فقد كان من كبار علماء الجزائر، وقد درس بجامع الزيتونة، وكان يصحبه معه للصلاة ويحادثه في الحكمة والإرشاد ويحكي له عن جرائم الاستعمار بالجزائر[6].

ويذكر المدّني أن المدرسة الأولى التي أنشأته هي تلك العائلة الصالحة التي تربى فيها، حيث أنها فتحت في وجهه أبواب الحياة الشريفة والتضحية والجهاد والفداء، فكل ما تعلمه بعد ذلك إنما كان في إطار تلك المبادئ التي تربى عليها، كما علمته أيضا عزة النفس وسمو الخلق، وعليه فأسرة المدني لعبت دورًا مهما في تكوين شخصيته وتنشئته تنشئة اجتماعية سليمة وصالحة[7].

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **المصدر السابق**، ص 32.

[2]/ **المصدر نفسه**، ص 70.

[3]/ **المصدر نفسه**، ص 39.

[4]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 61.

[5]/ محمد الصالح صديق، **أعلام من المغرب العربي، ج03، ط02**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008 م، ص113.

[6]/ أبو عمران الشيخ وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر،2007 م، ص 425.

[7]/ المدني أحمد توفيق، **المصدر السابق**، ص ،ص 37، 38.

كما ساهمت عائلة جده أيضا وخاله في نشأته، حيث كان جده عمر بويراز يلقي عليهم كل ليلة دروسًا في الدّين، والأخلاق وسيرة النّبي صّلى الله عليه وسلم، كما كان يذكرهم بالاحتلال الفرنسي للجزائر ومآسيه وجرائمه ويكلمهم أيضا عن حالة الإسلام والمسلمين وعن الجمود الذي حل بالأمة الإسلامية[1].

وبخصوص مدرسة خاله فيقول عنها: " هي المدرسة التي أنارت فكري وأيقظت إحساسي واستفزت عاطفتي وألقت بي في ميّادين الحياة العامة، وأصول فيها وأجول وأتبع تطوراتها بكل اهتمام، وأشعر أن انقاد الإسلام وإنقاذ الوطن إنما هو واجب حتمي ملقى على عاتقي أنا، ولا يمكن أن أتخلص منه، ما دامت الروح الخالدة تسكن هذا الجسم الفاني[2].

[1]/ **المصدر نفسه**، ص 45.

[2]/ **المصدر نفسه**، ص 48.

المبحث الثاني: تكوينه الدراسي

كانت عائلة المدّني تقوم بتوجيه أبنائها إلى التعليم القرآني، حيث أنه عند بلوغه سن الخامسة من عمره أي في سنة 1905م أدخله وَالِدَهُ إلى الكُتّاب " المدرسة القرآنية". فتعلم القراءة والكتابة والقرآن وهيأ تهيئًا حسنًا للدخول إلى المدرسة القرآنية الأهلية[1].

كما أن المدّني بعد عودته إلى المنزل من المدرسة القرآنية كان يتلو ويكرر على مسامع أمّه ما يحفظه فتزداد بهجتها وسرورها فرحًا بابنها واجتهاده[2].

ولما بلغ سن العّاشرة انتقل إلى المدرسة القرآنية وكان مديرها زيتونيا هو " محمد صفر" فتلقى على شيوخها مبادئ العربية وعلوم الدّين والحساب والكيمياء والطبيعة ومبادئ اللغة الفرنسية، وبذلك تغير مجرى حياته[3]. ويذكر المدّني أن هذه المدرسة كانت فسيحة، ومنتظمة أجمل تنظيم، بما يناهز ثلاثمائة تلميذ كلهم مهذّب ومجتّهد، وأنه كان في الصف الرابع منها، ثم أخذت أصعد الدرجات مسرعًا وسرعان ما استقطب أنظار زملائه لنبوغه وذّكائه، وشجاعته الأدبية، حيث كانوا يلتفون حوله مشكلين حلقة يستمعون ويستمتعون بأحاديثه[4].

ولما أتم الشيخ المدّني دراسته بالمدرسة القرآنية الأهليّة بعد أن خرج متشبعًا بالعلوم التي كان يتلقاها من أساتذته، فتعلم هناك أسّلوب الخطاب، فكان يلقي على زملائه وأساتذته مواضيع حول حالة الوطن والمسلمين وعن واجباتهم نحو الدّين والوّطن[5]. وفي سنة 1913م انتقل إلى الدراسة في جامع الزيتونة والخلدونية والصادقية فدرس إلى جانب العلوم اللغوية والدينية التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع. وأخذ عن شيوخ كثيرين بهذه المؤسسات الثلاث منها: "**الشيخ محمد النخلي**"(*) و" الصادق النيفر"، و" حسن حسني عبد الوهاب" و" الشاذلي المورالي" وغيرهم[6].

وعن المناهج الذي اتبعها يروي لنا ذلك قائلاً: " أما بجامع الزيتونة، فقد اخترت لنفسي مناهج دراسة خاصًا بي لا أتقيد بصف، ولا أشارك في امتحان، كما أطلب العلم لأجل العلم لا لأجل المنصب فاخترت لنفسي دروسًا

---

[1]/ الفضلاء محمد الحسن، **من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج01**، (ب، د، ن)، (ب، ب، ن)، 2000 م، ص 96.

[2]/ المدني أحمد توفيق، **المصدر السابق**، ص 41.

[3]/ أبو عمران الشيخ وآخرون، **المرجع السابق**، ص 425.

[4]/ المدني أحمد توفيق، **المصدر السابق**، ص ص 53، 54.

[5]/ **المصدر نفسه**، ص 94.

(*) محمد النخلي: ولد سنة 1881م، وهو من أبرز زعماء النهضة الفكرية والعلمية والإصلاحية في الحاضرة التونسية، ومن أنصار جمال الأفغاني ومحمد عبدو الإصلاحية، وكان مدرسا بجامع الزيتونة ومن أشهر تلامذته عبد الحميد بن باديس، للمزيد ينظر: دائرة المعارف التونسية، الكراس 5/1995، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1995م، ص 84، وينظر أيضا: ابن باديس، **حياته وأثاره، ج01، ط02**، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1983م، ص 76.

[6]/ أبو عمران الشيخ، **ناصر الدين سيعدوني: (معجم مشاهير المغاربة)**، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، الجزائر، (ب، س، ن)، ص483.

على أجل الأساتذة، كالشيخ " النخلي" في التفسير والشيخ" محمد بن القاضي" في النحو والصرف والشيخ " محمد بن شعبان" في المنطق والفلسفة، والشيخ" معاوية التميمي" في آداب اللغة العربية[1].

كما دخل المدني المدرسة الخلدونية، التي تعد تكميلية للدراسة الزيتونية خاصة فيما يتعلق بالعلوم الرياضية والتاريخ العام، بحيث تأثر بأستاذ التاريخ " حسن حسني عبد الوهاب" فكان وراء توجيهه للاهتمام بالدراسات التاريخية[2].

وكان المدني يلازم الدروس عشر ساعات كل يوم دون انقطاع تبدأ بعد أذان صلاة الصبح وتنتهي بعد أذان صلاة العشاء[3].

وخلال دراسته بالمدرسة الخلدونية، ظهرت كفاءته في الكتابة ودفعته إلى تحرير عدة مقالات وطنية وسياسية واجتماعية، ونشرها "**بجريدة الفاروق**"(*)[4]، ويلخص الدكتور" عمر بن قنية" أن الرجل قد جنح إلى تكوين نفسه بنفسه، فكان موهبة فذة تكونت بعصاميته النادرة، ثم دخل الحياة الفكرية والأدبية من باب السياسة، وشرع في فترة مبكرة يشترك في النشاط السياسي بتونس[5].

لقد كان الرجل شغوفًا بالمطالعة، فصار يستعير الكتّب لقاء أجر زهيد، حيث أن سوق الروايات الكبيرة كان يومئذ في رواج. واشتهر الشيخ" علي غدير" بذكائه المخصص لبيّع وكرّاء الكتب. فيأخذ المدّني رواية لمدة ثلاثة أيام مقابل دفع عشرة سنتيمات، واستطاع أن يستثمر وقت فراغه في مطالعة الروايات المعروفة عن كبار المؤلفين الأوربيّين أمثال" وليام شكسبير" و" ميشال زيفاكو" هو ما فتح له نافذة اطلع من خلالها على تفكير العالم الغربي[6].

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **المصدر السابق**، ص، ص 95، 96.

[2]/ **المصدر نفسه**، ص 95.

[3]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 62.

(*) جريدة الفاروق، هي جريدة جزائرية لصاحبها عمر بن قدور صدرت بالجزائر وتوقفت سنة1915 م. للمزيد ينظر: مفدي زكريا، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003 م، ص 58.

[4]/ميسوم بلقاسم، **الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية (1830_ 1962 م)**، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001 م، ص 170.

[5]/ بن قتيبة عمر، **الكاتب المنسي المفكر" أحمد توفيق المدني"** .file:///c:/userur pc/down/oads/، اطلع يوم 05، فيفري، 2017، الساعة 12:00

[6]/ المدني أحمد توفيق، **المصدر السابق**، ص، ص 63، 64.

المبحث الثالث: نضاله في تونس:

أولا: الإسهامات الفكرية

1) نشاطه الصحفي:

بَدَأَ أحمد توفيق المدّني حياته الصحفية منذ صغره بمطالعة الصحف التونسية وهو في العاشرة من عمره يقرأ الصحف ويملأ جزءاً من فراغه بالحديث عن القضايا السياسية، والتي كانت تعيشها تونس في تلك الفترة. وكان زملاءه من التلّاميذ يلتفون حوله، وهو يقرأ لهم عن الحوادث ويقوم بالتعليق عليها. ومن بين الصحف التي كان يطالعها في هذه الفترة "**العروة الوثقى**"(*)" المؤيد" " اللواء" وهي تعد اللسان الناطق بتوجهات الحزب الوطني المصري[1].

ولقد مارس أحمد توفيق المدني النشاط الصحفي منذ نعومة أظافره، حيث توجه إلى ممارسة النشاط الصحفي الذي منعته السلطات الفرنسية من الصدور عام 1912م لفترة زمنية معينة، ورغم دخول بعض الجرائد الخارجية إلى تونس، لاسيما جريدة الفاروق الجزائرية[2]، التي كان يصدرها الجزائري "**عمر بن قدور**"(*)(*)[3]، ولعل أهم العوّامل التي ساعدت أحمد توفيق المدّني على الكتابة الصحفية وعمره كان لا يتجاوز سادسة عشر سنة، وذلك من خلال تعرفه على " حسين الجزيري" الذي كان يكتب مقالاته في جريدة الفاروق[4]، إذ قدم هذا الأخير يد المساعدة لأحمد توفيق المدّني بعد التأكد من قدراته وتجاربه[5].

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م بدأ أحمد توفيق المدّني بنشر مقالاته في صحيفة "الفاروق" الجزائرية متخذاً أسلوب الانتقاد، حيث انتقد السياسة الاستعمارية التي كان ينتهجها بهدف تحطيم القيم الإسلامية والقضاء على اللغة العربية بحماس الشباب المفعم فلفت عيون المستعمر لمراقبـــة تصرفاته[6]، ولقد كان أول

(*) العروة الوثقى: في بداية سنة 1884م تمكن كل من الأفغاني ومحمد عبده من تأسيسها في باريس وصدر العدد الأول منها في 13 مارس 1884م بلغت جملة أعدادها 18، للمزيد ينظر: صاري أحمد، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، تقديم أبو قاسم سعد الله، الطبعة العربية، غرداية 2004 م، ص، ص 171، 172.

[1]/ المدّني أحمد توفيق، **المصدر السابق**، ص، ص 24– 28.

[2]/ بوطيبي محمد، **دور المثقفين الجزائريّين في الحركة الوطنية التونسية ما بين(1900 _ 1930 م)**، دار الهدى، الجزائر،2012 م، ص 171.

(**) عمر بن قدور: صحفي، كاتب، شاعر، من رواد الصحافة العربية الوطنية في الجزائر، عرف باتحاد الإصلاحي كان مناضل متحمسّا مهتمّا بقضايا الأمة العربية والإسلامية، ورئيس جريدة الفاروق للمزيد ينظر: نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر (من حذر الإسلام حتى العصر الحاضر)**، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، 2011 م، ص ،ص 499، 500.

[3]/ ريس لير كميل، **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر**، ترجمة: نذير طيار، دار كتابات جريدة للنشر الإلكتروني، (د، ب، ن)، 2016 م، ص 305.

[4]/ بوطيبي محمد، **المرجع السابق**، ص، ص 171، 172.

[5]/ **المرجع نفسه**، ص 172.

[6]/ بن لمبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 63.

مقال صحفي لأحمد توفيق المدّني في نوفمبر1914م تحت عنوان " **الإدمان أول وزراء للموت**" تحدث فيه عن الموت التي اجتمعت بطبقة النبلاء لكي تعين وزيرًا عليهم، فبأسلوب تهكمي وصفي بين أضرار الخمر ومدى تأثيرها على الأحاسيس وعقول البشر ودورها في ارتكاب الجرائم وتأثيراتها الاجتماعية والبشرية، وتدميرها للحضّارات السابقة، إضافة إلى كونها سببا في موت الكثير من الناس[1]، وخلاصة الكلام أن الإدمان هو الذي نال جائزة الملكة الذي تمادى في المعاصي وأصبح عاملّا أساسيّا في الموت[2].

أما المقال الثاني والذي نُشر في 04 ديسمبر 1914م تحت عنوان " **دعوة إلى الواجب أو المرأة التونسية والتعليم**" ولو أن هذا الموضوع لم يطرح إلا بعد مرور ستة عشر سنة من طرف التونسي "الطاهر حداد" في" امرأتنا في الشريعة والمجتمع"[3].

أما المقال الثالث فكان بتاريخ18 ديسمبر من السنة نفسها، وجاء بعنوان "**بين لجج الهواجس**"وهو مقال سياسي. وكان مقاله الرابع في 27 ديسمبر 1914م بعنوان: " **كيف ننقذ وطننا**"[4]. تحدث أحمد توفيق المدّني فيه عن الأسباب التي أدت إلى تدهور الوطني وإلى مهاوي الهلاك، وماهي الوسائل اللازم اتخاذها لإنقاذه من الجهل والفساد الذي يعيش فيه[5].

وفي أوائل سنة 1915م، وإثر عملية التفتيش التي أجريت في بيوت بعض الطلبة ألقى القبض فيها على الطالب الزيتوني أحمد توفيق المدّني، الذي كان يبلغ من العمر أنداك السابعة عشر سنة، بتهمة ربط أواصر الصداقة مع الشاعر المعتقل الجزائري "حسين الجزيري" المعروف بنضاله ضد النظام الاستعماري[6]، وكذلك بتهمة تعليق نشرات تحث الجيش على العصيان، وتعليق منشورات على جدران الجامع الأعظم[7].

وبعد إنهاء الحرب والتوقيع على الهدنة في 11 نوفمبر 1918م، وبــعد مـرور أربـع سنوات من السجن على توفيق المدّني انتهز محاميه ذو الأصول الجزائرية هذه المناسبة، وطلب تخفيف العقوبة.

وتمكن من إخراجه من السجن بدعوى أن موكله كان صغيرا حين حدثت الوقائع، وطعن بأن موكله من مواليد

---

[1]/ بوطيبي محمد، **المرجع السابق**، ص 172.

[2]/ **نفسه**، ص 172.

[3]/ جيلالي صاري، **بروز النخبة الجزائرية (1850 ــ 1950 م)**، ترجمة: عمر المعراجي، منشورات anep، الجزائر، (ب، س، ن)، ص 282.

[4]/ المدني أحمد توفيق، **المصدر السابق**، ص ،ص 77- 79.

[5]/ **المصدر نفسه**، ص 117.

[6]/ شترة خير الدين، **المرجع السابق**، ص 528.

[7]/ بن جابو أحمد، **المهاجرين الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830_1954م)**، أطروحة مقدمة لكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: يوسف مناصريه، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2010_2011 م، ص 220.

16 جوان 1899م، وهو تاريخ الميلاد الذي بقي في أوراقه في الحالة المدنية[1].

ولقد كانت أول المبادرات الصحفية للمدّني بعد الحرب العالمية الأولى، في تعريبه لمقال باللغة الفرنسية أصدرته المجلة البرلمانية الفرنسية والمقتبس من كتاب" **تونس الشهيدة**"(*) للشيخ " عبد العزيز الثعالبي". وتولى الشيخ " الطيب بن عيسى" نشر هذا المقال في "جريدة المنير" وبسبب ذلك أقدمت السلطات الفرنسية على تعطيلها بموجب قرار 22 مارس 1922م[2].

كما أشرف على تحرير الشؤون الإدارية لمجلة "الفجر" التي أصدرت عام 1920م، وظلت تصدر إلى غاية 1921م، ونشر مقالاته في جريدة " الأمة"، " الاتحاد"، " العصر"، " الجديد"، " الوزير"، " الصواب" "إفريقيا" وشن حملة على جريدة "المبشر" عندما تم تعطيل جريدة "العصرالجديد"، كما تولى رئاسة جريدة "الزهرة" عام 1924م، فكتب فصولاً حادة عن محاولة الاستيلاء على الأوقاف التونسية، وعن حركة التجنيس وعن المظاهرات النقابية[3].

ومن خلال عرضنا للنشاط الصحفي للمدني يمكن القول بأن المسار الصحفي الذي سلكه المدّني كان يهدف إلى نهضة الشعب التونسي وتحفيزه على الثورة، وتغير الأوضاع السيئة التي كان يعيشها بالإضافة إلى اهتمامه بالكتابة الصحفية التي تختص بقضايا الأمة العربية الإسلامية[4].

2) تأسيس المجمع العلمي التونسي:

تيقن التونسيون إلى ضرورة النهوض بالواقع العلمي بتونس نظرا للنقص العلمي الكبير، والذي كانت تعيشه في تلك الفترة. فشارك أحمد توفيق المدّني رفقة عدد من المناضلين التونسيين في تأسيس مجمع علمي بتونس بحيث شكلت لجنة ضمت كل من " توفيق المدّني"،" عثمان كعاك"،"**زين العابدين السنوسي**"(*)(*)، "الطاهر صقر"، "محمد بن حسين"، وقرروا إنشاء هذا المجمع قصد النهوض بالواقع العلمي والفكري، وتم وضع قانونه الأساسي وعرَّض على الوزير الأكبر للدولة التونسية ووكيل الجمهورية والمراقب المدّني بتاريخ 15 ماي

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، 02**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 م، ص، ص7، 8.

(*) تونس الشهيدة: صدر هذا الكتاب من طرف عبد العزيز الثعالبي سنة 1919م، دون توقيع، وعمل على تعميمه حيث أرسله بالبريد إلى كل المسؤولين في فرنسا وتمكن بوسائله الخاصة من إيصاله إلى تونس فنقالته الأيدي سراً واستهله الناس، فنجح نجاحاً منقطع النظر، فكانت الضحية أكثر مما يطيقها المعمرون الفرنسيون في تونس والإدارة الاستعمارية فالقي القبض على الشيخ الثعالبي عبد العزيز في باريس سنة 1920م، للمزيد ينظر: الثعالبي عبد العزيز **تونس الشهيدة**، ترجمة وتقديم: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975م، ص، ص 17، 18.

[2]/ بوطيبي محمد، **المرجع السابق**، ص، ص 170، 171.

[3]/ **المرجع نفسه**، ص 171.

[4]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح ،ج01**،المصدر السابق، ص 164.

(**) زين العابدين السنوسيّ: ولد في 13 سبتمبر 1936م في بلدة حمام سوسة، درسة في الجامعة الهندسية الالكترونية ثم التحق بالكلية العسكرية في تونس، عين ملحقا عسكريا في السفارة التونسية في المغرب سنة 1974م وفي 1987م تولى الحكم في تونس للمزيد ينظر: أبو زكريا يحي، **الحركة الإسلامية في تونس من الثعالبي وإلى الفنوشي**، دار النشر، (ب، ب، ن)، 2003م ، ص 42.

1924م[1].

كان الهدف من تأسيس هذا المجتمع العلمي يتمثل في:

- ✓ إيجاد الألفاظ العلمية والعملية التي تحتاجها اللغة العربية من أجل السير دائمًا مع الرقي العلمي والتصور الاجتماعي.
- ✓ البحث عن آثار التونسيين العلمية والفنية.
- ✓ تعميم العلم والتنشيط عليه.

ويقوم المجمع العلمي لنشر أعماله بالوسائل الآتية:

- ✓ إدراج مجلة شهرية باسمه تنشر أعماله.
- ✓ الإشراف على المسامرات التي يراها مفيدة.
- ✓ إجازة الكتب التي تقدم له ويراها مستحقة لإجازة[2].

تم اختيار اللجنة التأسيسية مكتبًا مؤقتًا من الأساتذة: "زين العابدين السنوسي"،"أحمد توفيق المدني"،"عثمان الكعاك"، لكي تباشر نيابة عنها تقديم القانون للحكومة والمفاوضة معها. وقدمت هذه اللجنة القانونية الأساسية لكل من الوزير الأكبر للدولة التونسية ووكيل الجمهورية العام، والمراقب المدني بتونس يوم 15 ماي من سنة 1924م[3].

3) تأسيس الرابطة القلمية:

لقد اتفق أحمد توفيق المدّني، ومجموعة من الرفاق بتأسيس الرابطة القلمية في ليلة رمضان(1343هـ _1924م)، كي يرفع المستوى العلمي والفكري والاجتماعي والدفاع عن حرية الفكر والتعلم[4].

ومن بين المبادئ التي تنص عليها هذه الرابطة ما يلي:

- ✓ التزام الكتاب والمفكرين برفع المستوى العلمي والسياسي والاجتماعي للشعب التونسي.
- ✓ التزام الكتاب والمفكرين بالابتعاد عن خدمة مصالحهم الشخصية.
- ✓ التزام هؤلاء المفكرين المنضمون لهذه العصبة بالدفاع التام عن حرية التعلم والفكر. وكان المدّني كاتبا عاما للرابطة و"محي الدين القليبي"، "عثمان الكعاك" كاتبين لها "وزين العابدين السنوسي" أمينا للمال.

---

[1]/ بوطيبي محمد، **المرجع السابق**، ص 174.

[2]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج01**، **المصدر السابق**، ص، ص 449- 451.

[3]/ **المصدر نفسه**، ص 451.

[4]/ بوطيبي محمد، **المرجع السابق**، ص 174.

إلا أن الرابطة لم تعمر طويلًا بسبب صدور القرار الفرنسي بإبعاد أحمد توفيق المدني وانهارت الرابطة سنة 1925م[1].

4) العمل المسرحي" فرقة السعادة":

لقد شارك أحمد توفيق المدّني في المهرجانات الفكرية والمسرحية، حيث شارك في مسرحية "طارق بن زياد"[2]، كما أنه ترأس فرقة السعادة سنة1924م، وأصبحت الجمعيات المسرحية تمثل أكثر فأكثر المسرحيات المؤلفة من طرف التونسيين، ولم تعد تقتصر على المسرحيات المترجمة[3]. وقد تولى إدارتها الوطني الشهم السيد" عبد الحميد الأرناءوط" الممثل القدير وأخذو يغزون المسارح داخل عاصمة تونس وخارجها بروايات جمعت إلى جانب الإتقان حسب الاختيار فأصبحت "فرقة السعادة" ذات أثر مرموق بتونس، فكانت كل حفلاتها مكتظة بجموع الدستوريين، وكانت مداخيلها بعد دفع المصارف ـ الأكيدة ـ لدفع مال الحزب، ونظرا للتجاوب الشعبي الكبير الذي لاقته هذه الفرقة قامت السلطات الفرنسية بإبعاد رئيسها المدّني سنة 1925م وبذلك توقفت[4].

ثانيا: الإسهامات السياسية:

1) تأسيس الحزب الدستوري:

يعود تأسيس هذا الحزب إلى مجهودات الإدارة، فقد تم في البلاد التونسية توزيع كتاب " تونس الشهيدة" في طي الخفاء، وأقبل عليه القُرّاء إقبال رائعًا، والتفى الشعب والطلائع المثقفة والمناضلون حول عبد العزيز الثعالبي، ودعوه إلى تأسيس حركة سياسية وطنية تنظم النضال الوطني[5]. وبذلك تم تأسيس حزب جديد أطلقوا عليه اسم الحزب التونسي[6] المدعو عادة الدستور أي الحزب الحر الدستوري، وكان مؤسس هذا الحزب هو عبد العزيز الثعالبي الذي أسسه في فيفري 1920م، وذلك لعرض قضية التونسية[7].

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح،ج01**، المصدر السابق، ص 451.

[2]/ بوطيبي محمد، **المرجع سابق**، ص 174.

[3]/ القصاب أحمد، **تاريخ تونس المعاصر (1881 ــ 1956 م)**، تعريب: حمادي الساحل، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1986 م، ص 348.

[4]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج01**، المصدر السابق، ص 454.

[5]الرصيد الوطني للاطروحات، **الحزب الدستوري الجديد ودوره في القضايا التحريرية المغاربية (1947 ــ 1956 م)**، القضية الجزائرية ــ نموذجا ــ مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، اختصاص ضفتي البحر الأبيض المتوسط (المغرب ــ أوروبا)، قسم تاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007 ــ 2008 م، ص 16.

[6]/ المحجوبي علي، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، منشورات الجامعة التونسية، ، (ب، ب، ن)، 1986 م، ص 49.

[7]/ فيصل محمد موسي، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، (ب، ب، ن)، 1997 م، ص 285.

ولعل من أهم دواعي تأسيس الحزب الحر الدستوري هو فشل عبد العزيز في مسعاه عشية انعقاد مؤتمر الصلح، حيث يذكر أحمد توفيق المدّني: أنه في شهر فيفري في عام 1920م وصلت رسالة من الشيخ الثعالبي، حيث يقرأها بنفسه من بعد عند الشيخ "حمودة المنستيري" يقول فيها ما من مصلحة:

- ✓ أن حركة ولسون قد أخفقت وأن الآمال المبنية عليها قد انهارت وعملت الشعوب العربية كلها أنها لا تنال حقها إلا بجهودها وجهادها، ولهذا ألزم الأمر الاستعداد لكفاح طويل ومرير ربما ولجت رحابة الأجيال.
- ✓ يجب أن نطالب بإعلان الدستور التونسي وأخذ زمال الأمور بأيدينا.
- ✓ يجب أن يتطور الحزب وينظم ويجب أن يدعى: الحزب الحر الدستوري التونسي يشمل كل الطبقات التونسية.

ومن خلال هذه المقتطفات من رسالة عبد العزيز الثعالبي يتبين لنا الدعوة لإنشاء الحزب الحر الدستوري التونسي 14 مارس 1920م من طرف مجموعة من الأعضاء[1]، حيث يقول المدّني " وهكذا فإن جماعة.... أعلنوا تأسيس الحزب الحر الدستوري... وعزموا الوفد إلى باريس بأسرع ما يمكن..." ويضيف أيضا: "وكنت والحمد لله من بين ذلك الرجل الأول الذي أدى القسم وأوفى بما عاهد الله عليه[2].

وقد عقد العديد من الاجتماعات لتأسيس هذا الحزب، يوم انعقاد مؤتمر الأول بمدينة تونس، دار "المختار كاهية" بتاريخ 14 مارس 1920م، ولم يعلن عنه جهرا إلا يوم انعقاد مؤتمره الثاني بتونس03 جوان 1920م[3]، بمنزل الشيخ حمودة المنستيري بالمرسى، حيث تقرر الإعلان عنه حالاً، وأخذ من مدينة تونس مقرًا له، واعترف به رسميا إثر استقلال الباي محمد الناصر للوفد الدستوري يوم18 جوان 1920م أيضًا، وموافقة على مبادئه[4].

يذكر أحمد توفيق المدّني أن بداية نشاطه بالحزب الدستوري تعود إلى شهر ماي1920م، عندما عرض عليه "حمودة المنستيري" فكرة الانضمام إلى الحزب وعضوية لجنته التنفيذية العليا بصفته كاتبًا له إلى غاية التنظيم على مقره، وانتخاب لجنته التنفيذية الثانية لمباشرة المهام بصفة علنية[5].

---

[1]/ بوطيبي محمد، **المرجع السابق**، ص 157.

[2]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 240.

[3]/ مناصرية يوسف، **الحزب الحر الدستوري التونسي (1919 _ 1934 م)**، لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: أبو قاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986 م، ص 66.

[4]/ قدادرة شايب، **الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري(1934 _ 1954م)**، دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتورة الدولة في التاريخ، الحديث والمعاصر، تحت إشراف: عبد الرحيم سكفالي، قسم التاريخ وعلم الآثار الدراسات العليا، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006 _ 2007 م، ص 117.

[5]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج01**، المصدر السابق، ص 242.

وقد قام أحمد توفيق بكتابة عرائض الحزب، وتوزيعها عبر أرجاء المملكة التونسية بغرض إمضائها وتوجيهها للحكومة الفرنسية، ويؤكد المدّني أنه حرر منها نسخًا بالعربية والفرنسية، لا تزال محفوظة في وثائق مجلس الأمة الفرنسي لعام 1920م، لمن أراد إلقاء نظرة عليها[1].

وهكذا أصبح أحمد توفيق المدّني ظاهريا محاسبًا في مكتب الطاهر بن حمودة المنستيري يقوم بضبط الحسابات الزراعية، لكن في الخفاء كان كاتبًا للحزب الدستوري وحافظًا لأسراره[2].

2) <u>تأسيس لجنة الخلافة:</u>

من بين أهم الإسهامات التي قام بها المدّني في المجال السياسي هو مبادرته بإنشاء لجنة الخلافة والتي أسست سنة 1922م[3]، حيث كانت اجتماعات لجنة الخلافة تقام كلها بمنزله بنهج الديوان، وكان هدف المدّني من ذلك هو اغتنام فرصة حماس الجماهير من أجل تحريك الساحة السياسية الراكدة من أحداث أفريل 1922م[4].

ولقد كان المدّني يرى الخلافة الإسلامية في قوله: " أرى أن الخلافة الإسلامية هي آستامبول هي الأداة الصالحة لجمع تلك الكلمة، ولم ذلك الشعب، والقضاء على كل عوامل الفرقة والشتات، وجعل المسلمين يدا واحدة، وعقيدة واحدة، وجسمًا عاملًا واحداً، من هذا المبدأ كان نضالي في سبيل الخلافة العثمانية وخاصة بعد إلغاء الأتراك لنظام السلطة، وإعلانهم استقلال الخلافة عن الدولة، لذلك رأيت خلافا للكثيرين، إمكانية إنشاء خلافة مجردة عن السلطة المدنية، تسمح للخليفة بمباشرة سلطانه الديني الروحي في كامل بلاد الإسلام دون أدنى تدخل من الدولة التركية، فيكون قصر الخلافة، عبارة عن "فاتيكان إسلامي"[5].

لذا بادر أحمد توفيق المدّني في تكوين لجنة الخلافة في تونس وضمت إليها جماعة ممن كانوا يرى فيهم الغيرة والهمة والمشاركة في الرأي من أمثال: "محي الدين القليبي" و "عثمان العكاك" و"محمد محلي" و"الحبيب مزو" وغيرهم، وكانوا عشرة رجال، وعقدوا اجتماعا بمنزل المدّني، فأسندوا له الرئاسة[6].

ولقد قرر المدّني توجيه برقية لجلالة الخليفة عبد المجيد حيث كتبها هكذا:

---

[1]/ **<u>المصدر نفسه</u>**، ص143.

[2]/ بوطيبي محمد، **<u>المرجع السابق</u>**، ص 158.

[3]/ مناصريه يوسف، **<u>المرجع السابق</u>**، ص 257.

[4]/ شترة خير الدين، **<u>إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900_ 1939 م)</u>**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2008، ص 106.

[5]/ المدني أحمد توفيق، **<u>حياة كفاح، ج01</u>**، المصدر السابق، ص 443.

[6]/ المصدر نفسه، ص 445.

مراسلاتي مع الخليفة عبد المجيد:

جلالة الخليفة عبد المجيد_ أستامبول:

الشعب التونسي يقدم إلى جلالتكم الرفيعة بكل احترام تهانيه بمناسبة عيد الأضحى المبارك، وانعقاد الصلح بصفة لائقة مثمرة، ويتمنى لكم من صميم الفؤاد عمراً جديداً وللعالم الإسلامي السعادة والرفاهية وهو متحد حول جلالتكم السامية.

أحمد توفيق المدّني رئيس لجنة الخلافة[1].

وقد رد الخليفة عبد المجيد على رسالة التأييد التي بعثها له المدّني في نوفمبر 1923م نشر نصفه في جريدة "العصر الجديد" بتاريخ 08 ديسمبر1923م، جاء فيه عن لسان الخليفة بقلم كانت ديوان الخلافة نوري: ((رئيس لجنة الخلافة أحمد توفيق المدّني لقد عرضت على مقام حضرة الخليفة برقيتكم رقمية21 نوفمبر المتضمنة تهاني التونسيين لحضرته العلية بمناسبة مرور سنة على انتخاب جلالته لتولي مقام الخلافة الإسلامية المعلى فنالت أكبر خطوة في نظر جلالته وابتهل بأحر الدعوات لرفاهية العالم الإسلامي وسعادته))[2].

ولما ألغيت الخلافة في شهر مارس1924م من طرف "**مصطفى كمال أتاتورك**"(*)، وقد قدم المدّني سجل موقف اللجنة من مسألة إلغاء الخلافة منذ بداية مارس 1924م، مما كان له أثر إيجابي لدى الرأي العام التونسي الذي ساند لجنة توفيق المدّني ورفاقه في استيائهم منذ الإعلان عن هذا الخبر، حيث قامت اللجنة بإرسال برقيات الاحتجاج إلى الكماليين ممثلي الدولة التركية[3].

3) <u>تأسيس جامعة عموم العمالة التونسية:</u>

عرفت البلاد التونسية في تشرين الأول من عام1924م تكوين اتحاد عمالي أطلق عليه اسم: ((جامعة عموم عمالة تونس))، وانتخب لأمانتهم العامة الدكتور " محمد علي الحامي"[4]، ولقد كان تكونها تزكية من الحزب الدستوري وبمساعدة وحماس كل من قبل بعض أعضائه:" أحمد توفيق المدني" و"الطاهر الحداد"[5].

---

[1]/ **<u>المصدر نفسه</u>**، ص، ص، 445، 446

[2]/ مناصريه يوسف، **<u>المرجع السابق</u>**، ص 257.

(*) مصطفى كمال أتاتورك: وُلِدَ في 19 مايو 1881 في مدينة سيلانيك اليونانية، أطلق عليه اسم الذئب الأغبر، تخرج من الكلية العسكرية برتبة نقيب أركان حرب حقق انتصارات عديدة في حملة الدردنيل عام 1915م..... توفي في 10 نوفمبر 1938م للمزيد ينظر: عيسى الحسن: **<u>أعظم شخصيات التاريخ (دينية، أدبية، سياسية، علمية، فلسفة)</u>**، مراجعة وتدقيق، عبد الله المغربي، دار الأهلية، للنشر والتوزيع، الأردن، 2010 م ص 339.

[3]/ شترة خير الدين، **<u>إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية</u>**، المرجع السابق، ص 107.

[4]/ الطاهر عبد الله، **<u>الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية جديدة، ط2</u>**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، (ب، ت، ن)، ص 186.

[5]/ محمد الهادي الشريف، **<u>تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال،ط3</u>**، تعريب: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس 1993 م، ص، ص 117، 118

وقد انخرط المدني في " جامعة عموم العمال التونسيين"، وكان يمثل الدستوريين رفقة " الطاهر الحداد" في هذا التنظيم النقابي، الذي أراده توفيق المدّني تجمعًا عالميًا تونسيًا خالصًا، بعيداً عن وصاية النقابة الفرنسية يدافع عن الشؤون الاجتماعية للأجراء، ويكون سند الحركة الدستورية، حيث أسهم في تدعيم هذه الحركة العمالية ماديًا، من خلال إقناع البرجوازي "حمودة المنستيري" بتقديم إعانة مالية، حملها المدّني إلى " محمد على الحامي"[1].

ولقد كان المدّني عضواً بارزاً في الجلسة التي انعقدت في01 نوفمبر1924م، حيث تولى الكتابة والترجمة للاجتماع التاريخي، كما حضر في جلسة يوم 22 فيفري 1925م[2].

ولقيت جامعة عموم العمالة التونسية مساندة من نقابة الكونفدرالية العامة للشغل الموحدةC.G.T.V ذات النزعة الشيوعية التي كانت يمثلها " فينيدوري FINUDORI" مدير جريدتها: "المستقبل الاجتماعي" على عكس الاشتراكيين الذين ناصبوها العداء، مثلهم في ذلك مثل السلطات الاستعمارية الفرنسية، التي قضت على أول تجربة نقابية محلية في المعهد[3]، حيث أنها لم تعمر طويلاً، فقد وقع تصريح بشأنها في 31 أكتوبر 1924، ثم تكونت لجنتها التنفيذية المؤقتة يوم 03 ديسمبر1924م، وألغي القبض على أهم قادتها وأبرزهم " محمد علي الحامي" يوم 05 فيفري 1925م[4].

4) <u>الإبعاد من تونس إلى الجزائر ورود الفعل:</u>

إن النشاط السياسي للمدّني لم يقتصر على الدفاع عن القضية التونسية فحسب، بل تعداه ليشمل العديد من قضايا البلدان العربية الإسلامية بحيث بادر لتنديد ومعارضة الحرب التي كانت تخوضها فرنسا آنذاك في المغرب الأقصى ضد عبد الكريم الخطابي وذلك قصد السيطرة على الريف المغربي، وهذا ما جعل المدني ينشر مقالات في "جريدة إفريقيا" حول حرب الريف والمجاهد عبد الكريم الخطابي بعنوان "الحقيقة من حوادث الريف ليحيا الريف حراً مستقلاً"[5].

وفيه فضح سياسة التعسف الفرنسية ضد الأهالي وقد اشتدت العديد من الحملات السياسية للسلطات الفرنسية على مقالات بالصحف الوطنية لطرد الوطنيين أو سجنهم وعلى إثر هذا المقال صدر قرار في جوان 1925م

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **<u>حياة كفاح، ج01</u>**، المصدر السابق، ص، ص 387، 388.

[2]/ **<u>المصدر نفسه</u>**، ص 392.

[3]/ المديّني توفيق، **<u>المعارضة التونسية نشأتها وتطورها، دراسة</u>** منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001 م، ص 99.

[4]/ الناصر خليفة، **<u>تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج</u>**03، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005 م، ص 128.

[5]/ المدني أحمد توفيق، **<u>حياة كفاح، ج01</u>**، المصدر السابق، ص 456.

بإبعاده إلى الجزائر[1]، في خطوة مفاجئة له وإن كانت غير مستغربة، وتم تنفيذ الأمر فنقل بسرعة إلى ما وراء الحدود ليتم تسليمه إلى مفتش أمن عنابة[2]، ولقد حظي المدني بعزة في نفوس أبناء الشعب التونسي حيث قاموا في 08 جوان بإضرابات واحتجاجات على طرد أحمد توفيق المدّني من الإيالة تضامنًا معه[3].

ومن جهتها احتجت مجلة" العرب" بشدة على احتجاز مديرها" زين العابد بن السنوسي" الذي ذهب إلى محافظة الشرطة ليتساءل عن سبب اعتقال صديقه المدني، وتساءلت عن جدوى نفي المدني من وطنه تونس ومسقط رأسه بادعاء أنه جزائري فهل هذا نوع من أنواع التجنيس، أو نوع من أنواع سياسة الوفاق والاندماج وتبادل والثقة؟[4].

وبعد دخول المدّني التراب الجزائري مبعداً انتقل من عنابة إلى قسنطينة، والتي وجهة منها رسالة عبر "**جريدة النجاح**"(*) إلى الشعب التونسي يعاهده فيها على الوئام والتضامن والبقاء على العهد قائلاً: ((رمت بي حكومة الاحتلال خارج حدود الوطن بدون حق ولا قانون، رَائمة بذلك إبعادي عن أمة كرست حياتي لخدمتها، وفكرة سامية بذلت النفس والنفيس في سبيل تحقيقها، وإخوان أحرار عاهدت الله معهم على السعي في إسعاد الوطن إلى أن أبلغ آخر سنة من الحياة))[5]، وعن شدة تعلقه بالمبدأ التحريري يقول: ((وإني أيها الشعب الكريم، أمد لك من وراء الحدود يد التضامن والوئام..... ولتتيقن أن الرجل الذي عرفته بالأمس، هو نفسه الرجل الذي تعرفه اليوم))[6].

---

[1]/ مجموعة من الباحثين، **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، تنسيق: الهادي التيومي، بيت الحكمة، تونس، 1999 م، ص 671.

[2]/ بوطيبي محمد، **المرجع السابق**، ص 176.

[3]/ المحجوبي علي، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904 _ 1934م)**، تعريب: عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، تونس، 1999م، ص 434.

[4]/ شترة خير الدين، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية**، المرجع السابق، ص 181.

(*) جريدة النجاح: صدرت هذه الجريدة في شهر أوت من سنة 1919م، كانت لها مطبعة خاصة بها ومكتبة لها، وهي تعد أول صحيفة عربية في تاريخ الجزائر والمغرب العربي فاتحة بذلك المجال فيما بعد لميلاد الكثير من الصحف العربية في الجزائر وقسنطينة، للمزيد ينظر: إحسان تليلاني: **جريدة النجاح حقيقتها ودورها**، دار الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص 27.

[5]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج01**، المصدر السابق، ص، ص، 161، 162.

[6]/ **المصدر نفسه**، ص 163.

المبحث الرابع: نضاله في الجزائر

أولا: إسهامات الفكرية

1) نشاطه الصحفي:

أ ـ دوره في البصائر: كانت الصحافة أحد أهم الوسائل التي استعملها الجزائريون في نشاطهم السياسي وحركاتهم الإصلاحية، ويقول الدكتور أبو قاسم سعد الله:((أن عبارة الصحافة الوطنية في العهد الاستعماري تعني الصحافة المعبرة عن الاتجاهات الوطنية، سواءً منها المتطرفة، أم المعتدلة وسواءً باللغة العربية، أم اللغة الفرنسية[1].

وتعتبر"**جريدة البصائر**"(*) من أهم الصحف التي كانت تنشر بالجزائر نظرًا للمكانة التي يحظى بها سواءً مسئوليها لدى الشعب الجزائري وكذلك المقالات السياسية والدينية التي يحررها الصحفيين ومدى أهميتها، لأنها تتناول القضايا الراهنة سواءً داخل الوطن أو خارجه، ولقد عمرت البصائر من سنة خمسة وثلاثين إلى تسعة وثلاثين من القرن الماضي[2]، تعاقب على رئاسة تحريرها كل من "**الطيب القبي**"(**) ومبارك الميلي، "**البشير الإبراهيمي**"(***). وتعتبر أهم صحيفة عرفتها الجزائر خلال الفترة الاستعمارية كما كانت توزع في كل من تونس والمغرب أيضا بالرغم من رفض الاحتلال لذلك، دام إصدار سلسلتها الأولى إلى غاية الحرب العالمية الثانية1939م، حيث توقفت بسبب رفضها لطلب فرنسا بكتابة دعاية ضد دول المحور[3]، وعليه فالمدّني بدأ تحريره في البصائـر بعد الحـرب العالمية الثانيـة، ويشرف علـى تحرير الركن الشهير" منبر السياسة العالمية"

---

[1]/ سعد الله أبو قاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج03**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص 87.

(*) جريدة البصائر: كانت تصدر في الجزائر في عام 1936– 1939م، وقد عادت للظهور عام 1947م، وتوقفت نهائيا في سنة 1956م، وهي الصحيفة الرسمية لجمعية العلماء المسلمين للمزيد ينظر: عواطف عبد الرحمان، **الصحافة العربية في الجزائر ــ دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954_1962م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص38.

[2]/ عبد الغفور شريف، **موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر(1954_1956م)**، دراسة وصفية تحليلية، تحت إشراف أحسن بومالي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، قسم علوم والإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية والإعلام، جامعة الجزائر3، 2010 _2011 م، ص 70.

(**) الطيب العقبي: وُلد بمدينة سيدي عقبة سنة 1889 م، أسس سنة 1927م جريدة الإصلاح وأصبح خطيب بنادي الترقي، عضوا مؤسسا لجمعية العلماء ورئسا للجمعية الخيرية الإسلامية للمزيد ينظر: الرفاعي أحمد شرفي: **مقالات علماء جمعية العلماء المسلمين، الشيخ الطيب العقبي، ج2** دار الهدى، الجزائر، 2011 م، ص ،ص16– 21.

(***) البشير الإبراهيمي: وُلد في قصر الطير في قبيلة ريفة الشهيرة بأولاد إبراهيم بدائرة سطيف سنة1899م، رئيس جمعية العلماء المسلمين شارك في تأسيس المجمع العلمي العربي سنة 1921م، وفي سنة 1940م، نفاه الفرنسيون إلى آفلو، ومات ابن باديس فأنتخب لرئاسة الجمعية وهو في منفاه وتولى مسؤولية جريدة البصائر، وفي سنة 1952م رحل إلى المشرق وتوفى سنة 1956م، للمزيد ينظر: نويهض عادل، **الأعمال الخاصة بالجزائر ــ معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلامي حتى العصر الحاضر**، ج1، دار الأبحاث، الجزائر، 2013م، ص 18.

[3]/ دليو فضيل، **تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة (1830_2012 م)**، دار هومة، الجزائر، 2014م، ص 97.

أمينا عاما للجمعية[1].

ومن جهته يذهب الدكتور " أبو قاسم سعد الله" إلى أن الخطاب السياسي الذي جسده " توفيق المدني" بالبصائر قد جاوز في طرحه رواد الحركة الإصلاحية" **كعبد الحميد بن باديس**"(*)، و"البشير الإبراهيمي" فالمدّني ومن خلال كتاباته بالبصائر في سلسلتها الثانية قد عالج قضايا العصر بقلم سياسي وهو في ذلك كان معاكسًا للإبراهيمي الذي ركن إلى الأسلوب الأدبي[2]، فيما يتعلق بأركان البصائر نفسها، فقد طورها المدّني خصوصًا بعد التحاقه رسميًا بالجمعية وتولى الأمانة العامة سنة 1951م[3].

ب _دوره في مجلة الشهاب: الشهاب عبارة عن مجلة إصلاحية أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس في 12 ديسمبر 1925م، وتعتبر ثاني أهم صحيفة له وأطولها عمرا بعد صحيفة " **المنتقد**"(**) كانت تطبع بالطبعة الإسلامية بقسنطينة التي أنشأها ابن باديس وكان يديرها ويشرف عليها كل من أحمد بوشمال الزواوي بن القشي، صدرت في البداية في شكل جريدة أسبوعية وفي01 فيفري 1929م تحولت إلى مجلة[4].

لقد كانت الشهاب قبلته فكان المحرر السياسي لها، باعتباره من رجال السياسة الذين تربوا في أحضان الحزب الدستوري التونسي[5]، وعن بدايات مشاركته في الشهاب ذكر المدني قائلًا:((تعهدت لابن باديس وأصحابه، أن أحرر لهم مقالًا لكل عدد من الشهاب الأسبوعي يتناول السياسة الخارجية، كما اتفقنا على أن يكون مقالي خلوا من كل إمضاء حتى لا تتخذ الإدارة من ذلك ذريعة لإلحاق الأذى بالشهاب، يدعوا أنني من رجال اللجنة التنفيذية بالحزب الدستوري التونسي))[6]. ويقول المدّني عن نشاطه بالشهاب قائلًا: ((صلت وجلت

---

[1]/ سعد الله أبو قاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي، (1930_1954م)**، ج7، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 418.

(*) عبد الحميد بن باديس: وُلِدَ بقسنطينة في ديسمبر 1889م، هو من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ قيامها سنة 1931م إلى وفاته، أصدر سنة 1926م جريدة المنتقد وأصدر بعدها مجلة الشهاب وأصدر أيضا صحف أخرى كالشريعة والسنة المحمدية والصراط، توفي بن باديس في قسنطينة سنة1940م للمزيد ينظر: محمد بهي الدين سالم، **ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير**، دار الشروق، القاهرة، 1999م، ص31.

[2]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر(1899 _1983م)**، تحت إشراف عبد الكريم بو الصفصاف، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2006_2007م، ص 113.

[3]/ **نفسه**، ص 113.

(**) المنتقد: كانت تصدر بالعاصمة خلال الفترة ما بعد الحرب (1924_1925م)، وهي جريدة أسبوعية سياسية، وتعد الجريدة الأولى في الجزائر التي جمعت بن الأقدام الإصلاحية والمعاهد الشام، وكانت تطبع وتوزيع بسرية في الجزائر وكانت تقرأ أو توزع سراً. للمزيد ينظر: يزلي عمار: **الثقافة في مواجهة الاحتلال**، دراسة دار السهل، الجزائر، 2009م، ص ،ص، 115، 116.

[4]/ دليو فضيل، **المرجع السابق**، ص 86.

[5]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 110.

[6]/ المدني أحمد توفيق، **عبد الحميد بن باديس العظيم**، الأصالة، العدد44، الجزائر، أفريل1977م، ص 67.

في الشهاب صولات عميقة، وجولات عريقة، ما يزيد عن عشر أعوام منذ الشهاب الأسبوعي إلى نهاية الشهاب الشهري، وما كنت أكتب في الشهاب إخباريًا، إنما كنت توجيهيًا... كنت أفكر في الجزائر وأقول لها من طرف خفي إياك عني فأسمعني بإجارة، وفي السياسة الداخلية كنت أكثر الناس صراحة وأشدها جرأة.....))[1]، وتفاديًا لمضايقات الإدارة الاستعمارية الفرنسية فقد كان يكتب مقالاته باسم مستعار وهو المنصور[2]، والظاهر أن جريدة الشهاب قد تميزت بمرونة سياسية وهو ما ساعدها على الاستمرار في الصدور إلى غاية عام 1939م، وكان من كتابها" توفيق المدني" الذي اختص بالكتابة عن المجتمع الجزائري، والشهر السياسي[3]، وهو ما يؤكده أحد المعاصرين الذي قال بأن المدّني كان يحرر بالشهاب فصلًا بعنوان" في المجتمع الجزائري" غالبًا ويحرر فصل "الشهر السياسي" دائما في حين" عبد الحميد بن باديس" يحرر القسم الديني والقسم العلمي"[4].

والحق أن ركن الشهر السياسي كان ركنًا سياسيًا محضًا، يجعل قراء الشهاب على إطلاع بمجريات الأحداث العالمية خلال الشهر، وقد انقسم هذا الركن فيما بعد إلى عنوانين هما: " في الشمال الإفريقي" و" الشهر السياسي في عالمي الشرق الغرب"[5].

فالمدّني لم يكن يكتب الأخبار وإنما يكتب من أجل توجيه الأمة نحو الطريق الصحيح، وإظهار واقعها والمشاكل التي تتخبط فيها بفعل الوجود الأجنبي على أراضيها، ويحث الأمة على عدم الانسياق وراء السياسة الاغرائية التي تعتمدها فرنسا لجذب الشعب الجزائري من أجل كسب تأييده، فقد كانت كل الجرائد التي تصدرها جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسها جريدة الشهاب والبصائر تعمل على نشر مبادئ الجمعية وأهدافها وكان لهذه الصحف دوراً رئيساً في مجال التعليم والتثقيف والتنوير[6]، كما تنوعت مقالاته بالشهاب منها من كانت موجهة للشعب الجزائري مثل مقال**"الجزائر البائسة**" والذي تطرق فيه إلى وضعية الشعب الجزائري، وعمل على حثه وتشجعيه على الثورة ضد السياسة الفرنسية والعمل على تغيير الأوضاع التي آلت إليها الجزائر[7]، ومنه ما

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 397.

[2]/Guechi Fatima Zohra: **la presse Algérienne de langue arabe (1946_1954)**, [enjeux politiques EN jeux de plumes] Algérie, bahaeddine, éditions, 2009, p139.

[3]/ بو صفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية(1931_1954م)**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1981م، ص 140.

[4]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 110.

[5]/ محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية (من1847 إلى 1939م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص 59.

[6]/ بن شعبان السبتي، **الحركة الوطنية في منطقة قالمة (1919_1954م)**، تحت إشراف عبد الرحيم سكفالي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009_2010م ص 32.

[7]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 339.

كان موجها للإدارة الاستعمارية مثل مقال بعنوان" كلمة مرة لأنها صريح الحق ولباب الواقع" وكان هدف المدني من كتابة هذا المقال الرد على الأطروحات القائلة أن الجزائر فرنسية، حيث بين لنا موقفه المعارض لسياسة الإدماج التي نادت بها الإدارة الاستعمارية، كما تميز أسلوبه في المقالات التي كتبها بالشهاب بالشدة والنقد اللاذع للاستعمار[1]، وتعليق على توقف الشهاب عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية(1939_1654م) كتب المدّني في مذكراته يقول: "وهكذا فقدت الآلة الصالحة التي كنت أستعملها في حقل الوطنية والسياسية، فقدت أبواب الشهاب التي كانت وسلتي للاتصال المباشر مع الشعب، ومع الطبقة الواعية فيه[2].

وكما كتب المدّني في العديد من الجرائد والمجلات الصادرة بالجزائر خلال فترة الدراسة ومن ذلك "**جريدة الإصلاح**"(*)" للطيب العقبي" التي كان يحرر بها ركن" أسبوع في العالم" تحت إمضاء " أتم" وجريدة " النجاح" لعبد الحفيظ بن الهاشمي"، ومجلة "**إفريقيا الشمالية**"(**)التي أصدرها" إسماعيل العربي" سنة 1948م، وعن الأقلام التي كانت على أعمدتها فقد وصفها " عبد المالك مرتاض" بالقول:" أما كتّاب هذه المجلة فقد كانوا كتّاب البصائر أنفسهم وهم يمثلون الصفوة الصافية من كتّاب الجزائر يومئذ، وناهيك بالمدّني وابن نبي كاتبين[3]. وبالإضافة إما ما سبق ذكره، فقد حرر المدّني بمجلة " التلميذ" التي أصدرت في عام 1931م، وهي مجلة شهرية تصدر بالعربية والفرنسية، واهتمت بقضايا الإصلاح، وهي تابعة للجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية[4].

2) دوره في الجمعيات الأدبية:

أ_ دوره في المسرح (الفن المسرحي): ترجع علاقة المدّني بها إلى المرحلة التي عاشها في تونس من خلال مشاركته في المهرجانات الفكرية والمسرحية والتي كانت تمثل من طرف التونسيين[5]. وعندما استقر أحمد

---

[1]/ المنصور، **كلمة مرة لأنها صريح الحق ولباب الواقع**، مجلة الشهاب، م13، ج09، المطبعة العربية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، نوفمبر 1937م، ص 303.

[2]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص112.

(*) الإصلاح: جريدة أسبوعية أصدرها الطيب العقبي في إطار الحملة الإصلاحية والبدع والخرافات، ظهرت في 08 سبتمبر 1927م، ببسكرة وطبع العدد الأول منها في تونس وظهر العدد الثاني من الإصلاح بعد سنتين في 5 سبتمبر 1929م، وكانت تنتشر مقالات راقية في أفكارها، للمزيد ينظر: صادق بلحاج، **الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاح والتقليدي(1919_1939م) دراسة مقارنيه**، مذكرة لنيل ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2011_2012م، ص 54.

(**) إفريقيا الشمالية: هي مجلة شهرية أصدر العدد الأول منها إسماعيل العربي في شهر مايو من عام 1948م بالجزائر، وأما تاريخ توقفها نجهله بالتدقيق بالقياس يلي الشهر ولكننا نعرفه بالقياس إلى السنة وهي سنة1949م للمزيد ينظر: عبد المالك مرتاض، **معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين**، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص 606.

[3]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 115.

[4]/ سعد الله أبو قاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية (1930_1945م)، ج03**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 106.

[5]/ بوطيبي محمد، **المرجع السابق**، ص 174.

توفيق المدّني بالجزائر عبر عن حالة المسرح بالجزائر، حيث وصف الحالة بالقول: " لعل قطر الجزائر _ بعد جزيرة العرب_ هو القطر الإسلامي الوحيد الذي لم يدرك بعد أهمية التمثيل ولم ينشأ به المسرح العربي، ولم يشعر شعبه حتى الساعة بوجود ذلك النقص العظيم فيه، وتسفر عن تكوين التمثيل بقطر الجزائر بصفة جدية مفيدة[1]، ومن خلال استعراض لبعض التجارب التمثيلية كانت له الرغبة في بعث النشاط المسرحي وقد أفصح عنه بقوله: " إلا أخي أعتقد أنه لا بد أن ينشأ عما قريب المسرح العربي بالجزائر، لأنه هذه الجهود المتشتتة لا بد أن تجتمع"[2]، ومن خلال انتاجات أنشأت بقسنطينة فرقة "**ناصر الدين ديني**" و بعنابة فرقة " **المزهر البوني**" ومثل كذلك نادي السعادة بتلمسان رواية" **فتح الأندلس**" بإتقان كبير[3]، بإضافة إلى إنشاء مسرحية حنبعل التي صدرت سنة1950م، وقد أهدها المدّني للشباب المغربي بهدف الإطلاع على جهاد الأجداد الأولين[4].

وكان الهدف من المسرحية هو أن تكون بمثابة رواية تمثيلية وطنية صادقة تعرض على الشعب في قالب فني، وتلقى عليه أثناء حوار هام يجب أن يقال من أجل التغلب على المحن والصعاب، والصبر والثبات وذلك لتحريك روح المقاومة الوطنية فيه[5]، وقد قام بتمثيل مسرحية رائد المسرح الجزائري "محي الدين باش تارزي" رائد المسرح العربي بالقطر الجزائري على تمثيلها بمسرح الأوبرا، كما تجاسر بعض الإخوان الفضلاء على تمثيلها في نفس إذاعة الجزائر، وقد تناولتها إذاعة لندن العربية ومثلها بإتقان مرارا فسمعها العرب في كل أصقاعهم، ثم طبعتها بعد ذلك فانتشرت وذاعت ومثلت بالجزائر وبتونس أكثر من مائتي مرة[6]، وقد جاءت فصول هذه المسرحية مملوءة بالوطنية والنداء للمقاومة بمضمونها، ولغتها الخطابية وقوة أسلوبها، وإن الأفكار المعروضة تدعو إلى تحطيم قيود العبودية والاستغلال وتحرضه على الكفاح ضد المستعمر[7]، والحقيقة أن المدني استطاع أن يضمن المسرحية مقولات مؤثرة جدا، عقب كل فصل لإنزال الستار، ومن ذلك قوله على لسان حنبعل: "نحن قوم نعيش أحراراً أو نموت شرفاء" أو" إن طغيان روما سيمضي، من بعده كل طغيان أخر، ولا حياة إلا للأمم الشاعرة بوجودها، المجاهدة في سبيل حريتها، المحافظة على كيانها ووحدتها"[8]، فمن خلال هذه المسرحية نلاحظ أن الأدب الجزائري لا يبتعد عن مخاض الأحداث التي يعيشها المجتمع، بل إن روحه لا تحيا إلا

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر**، دار المطبعة العربية، الجزائر، (ب، س، ن)، ص 36.

[2]/ **المصدر نفسه**، ص 367.

[3]/ **نفسه**، ص 367.

[4]/ المدني أحمد توفيق، **حنبعل (رواية تاريخية)**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص17.

[5]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 544.

[6]/ **نفسه**، ص 544.

[7]/ سعد الله أبو قاسم، **دراسات في الأدب الجزائري الحديث**، دار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ب، س، ن)، ص 66.

[8]/ خليفي عبد القادر، **المرجع سابق**، ص136.

بالاحتكاك بالواقع وقضاياه[1].

تأسست الجمعية الخيرية الإسلامية بالجزائر العاصمة في أواخر سنة 1933م، والخيرية الإسلامية جمعية بر وإحسان، من ثمرات جهود بعض المصلحين والأعيان العاملين بنادي الترقي يتقدمهم"الطيب العقبي"و"محمود بن ونيش" و"عباس تركي" و"محمد شريف الزهار"و"ابن شلحة محمد"و"محمد بن الباي"و"أحمد توفيق المدني" وغيرهم[2]، وبعد انتخاب الهيئة الإدارية للجمعية الخيرية أسندت رئاستها إلى " الطيب العقبي" بالإجماع وكانت الخيرية تعقد دورة عادية في السنة كما تعقد دورة استثنائية إذا تطلب الأمر ذلك، وبطلب من ثلثي أعضاء المجلس الإداري المنتخب، وكان هدف دوراتها تقييم نشاطاتها السنوية وجمع التبرعات، مع دراسة إمكانية توسيع فروع الخيرية كما حدث في السنوات الأولى من تأسيسها[3]، وشغل الشيخ أحمد توفيق المدّني في هذه الجمعية نائب رئيس الجمعية وهو السيد الطيب العقبي، وكانت تقيم الجمعية العديد من النشاطات كان أبرزها احتفالات تقام كل يوم اثنين هذا اليوم المصادق لعيد الفصح المسيحي، وهذه الاحتفالات تقام في قاعة الماجتسيك الكبيرة التي تتوسع إلى حوالي ثلاثة آلاف من الجماهير، كما كانت تقوم بجمع الأموال من الحضور وكانت مدخراتها ضخمة جدا، تُدّم لفائدة مطعم الجمعية التي يستفيد منه مئات المساكين والمعوزين وكذلك مختلف شرائح المجتمع الضعيفة الدخل[4].

وكان الشيخ أحمد توفيق المدّني يقوم بإلقاء مختلف الخطابات والتصريحات في هذه الجمعية وكانت جل خطاباته تُنادي بضرورة التخلص من الاستعمار، والعمل من أجل الاستغلال ونيل الحرية وأنه يجب الاتحاد والتآزر والسير نحو هذا الهدف[5]، وكذلك من أهم نشاطات الجمعية أنها كانت تقيم الاحتفالات بالمناسبات الدينية وغيرها، فمن هذه الحافلات الحفل الذي أقيم يوم الثاني من أفريل على الساعة التاسعة صباحاً، والذي عرف حضوراً جماهيريا كبيراً، واعتبر هذا الحفل أعظم إنجازات الجمعية واعتبره نصراً وإنجازاً ضخماني مدى اليقظة الإسلامية[6].

وقد قامت الجمعية الخيرية الإسلامية جلستها العامة السنوية يوم السبت عشرة فيفري عام 1936م،

---

[1]/ بومعزة نوال، **الثورة الجزائرية في الرواية العربية الجزائرية من الواقع إلى المتخيل _دراسة موضوعاتية_**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، (د_س ن)، ص 01.

[2]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 141.

[3]/ مريوش أحمد، **الشيخ الطيب العقبي ودوره في القضية الوطنية**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1992م، ص 334.

[4]/ المدّني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 372.

[5]/ **نفسه**، ص 372.

[6]/ أبو محمد ، **اليوم الأعز**، الشهاب، م10، ج5، محرم 1352، ص 222.

ببعض التعديلات على بعض فصول القانون الأساسي[1]، كما أشارت الجمعية إلى أنه يحق إلى كافة المشتركين الحضور، إذا أرسل أوراق الاستدعاء الشخصي إلى جميع المشتركين والذي لم تصله ورقته عن طريق البريد يطلبها من مركز الجمعية، وذلك يوم السبت الأول من فيفري على الساعة الثانية عشرة إلى الساعة الخامسة مساءاً[2]. والظاهر أن الخلافات دبت في السنوات الأخيرة بين الشيخ " الطيب العقبي" والشيخ" توفيق المدني" بسبب ترأس السيد المدّني مجلس الجمعية واقترح تقديم يد المساعدة للأشقاء التونسيين بعد نكبة طبيعية تمثلت هذه المساعدة في عشرة آلاف فرنك[3]، وألح المدّني بضرورة تقديمها بأقصى سرعة، فوافق الجميع، لكن الطيب العقبي استاء من هذا الأمر، ورفضه رفضا قاطعا وأكد على ضرورة الرجوع عن هذا القرار، ولقد انتهى هذا الخلاف بخيبة أمل كبيرة لدى السيد أحمد توفيق المدّني وقدم على إثرها استقالته من الجمعية الخيرية[4].

ب ــ دوره في نادي الترقي: لقد شهدت الجزائر تأسيس الكثير من النوادي الثقافية والتي ظهرت في كل من العاصمة وقسنطينة، ابتداءً من سنة 1893م[5]، ولقد ترك الشيخ أحمد توفيق المدّني بصمة أيضا في المجال الثقافي تجسدت هذه البصمة في مساهمته في تأسيس نادي الترقي الذي يعتبر من أهم النوادي وأنشطها خلال الحقبة الاستعمارية[6]، ويعبر أحمد توفيق المدّني أول من دعا إلى فكرة بناء هذا النادي حيث يقول في هذا الشأن: << أثناء حفل عشاء أقيم لي بمنزل السيد محمد بن المرابط، من أكبر التجار الجزائريين أثناء صيف 1926م وكان يضم اثنان وثلاثين رجلا من أعيان الجزائر وفضلائها، تداولنا الحديث حول وضعية الجزائر وحول حاضرها ومستقبلها.... ثم يضيف هلاّ فكرتم في تكوين نادٍ كبير ضخم ممتاز يقع في أحسن حي ويؤثث أحسن تأثيث يلم شملكم ويجمع شعبكم...>>[7].

ولقد تم تأسيس بالفعل هذا النادي في سنة 1927م وكان مقر تأسيسه في الجزائر العاصمة، ولقد طبع تأسيسه العديد من الظروف كان أهمها: تحضيرات فرنسا للاحتفال بمرور مائة سنة عن احتلالها الجزائر[8] وهذا بعد فضح الفكرة وإنهاء جميع الترتيبات، افتتح النادي يوم الثالث من شهر جويلية1927م، وكان يوما مشهوداً حيث اجتمعت ولأول مرة النخبة والقاعدة في محل واحد، وحول مائدة واحدة، تحتل أفكارهم وعقولهم آمال واحدة

---

[1]/ الكاتب مجهول، **الجمعية الخيرية الإسلامية**، البصائر، السنة الأولى، العدد 04، الجمعة 29 شوال، 1354، ص 07.

[2]/ **نفسه**، ص 07.

[3]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج2**، المصدر السابق، ص 374.

[4]/ المصدر نفسه، ص 375.

[5]/ الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة في الجزائر، ج1**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 28.

[6]/ سعد الله أبو قاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج7**، المرجع السابق، ص 418.

[7]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج2**، المصدر السابق، ص، ص 165، 166.

[8]/ بكار العايش، **حزب الشعب ودوره في الحركة الوطنية (1937_1939م)**، دار شطايبي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص، ص 75_77.

وامتنعت من أن أكون ضمن المجلس الإداري لكيلا يقال أن الحزب الدستوري التونسي هو الساعي وهو المنفذ لهذا التأسيس، إنما كانت باتفاق الجميع دون شذوذ خطيب النادي المتكلم باسمه مع رئيسه المنتخب السيد محمود ابن ونيش[1]، وعقب ميلاد النادي راسل المدّني الإمام "عبد الحميد بن باديس" وطلبي إليه أن يفتح سلسلة المحاضرات العامة بالنادي، فلبي_خلّد الله ذكره_ الطلب بسرور واعتزاز، وكان يوم 25 جويلية موعداً لإلقاء أول محاضرة، وكان عنوانها "**الاجتماع والنوادي عند العرب**"[2].

وهكذا نجد المدّني لا يترك مناسبة أو فرصة إلا واعتلى منبر الخطابة ناصحاً موجهاً واعيا إلى تغير الأوضاع، حيث وصف العاصي خطاب المدني بالمناسبة قائلا: << فأطلق نابغتنا المحبوب لذلاقته وروحه الفياضة العنان لسحره.... فأثار خطابه المفرغ في بوقته إسلامية، وقالب حكمي عواطف الحضور، كما أثار لهيب الشوق في نفوسهم بعد ركودها، وقد استطاع صديقنا الخطيب أن يظهر الإسلام لها في حلة بديعة، وبزة جديدة بذلك التمثيل الفني، حتى جعل عيونهم في حالتي مد وجزر... أحرز على ثقة المحتفلين وإعجابهم به أيما إعجاب.... لأنه يرمى إلى مدى بعيد في أسلوبه المحكم في الخطابة والتأثير>>[3].

وفي يوم 25 جويلية 1928م أقيم احتفال بالنادي تكريما لعودة الحجاج من البقاع المقدسة، كان في مقدمة مخاطبيهم، حيث لعب دور الخطيب الإسلامي والوطني في آن واحد، أما كونه إسلاميا فان الرجل قد عدد فضائل الحج، ذكر منافعه فقد ذكر الناس بواجباتهم نحو وطنهم، وأخذ يجتث تلك الفروق التي بقيت من بقايا الجاهلية الأولى، فأنس الناس بكلامه وصفقوا له المرات العديدة[4]، وقد ركز النادي منذ تأسيسه في نهاية الاحتلال على دعم التعليم العربي وإلقاء المحاضرات العلمية باللغة العربية، وإحياء المناسبات الدينية التاريخية[5]، ومن أهم المشاريع التي برزت من اجتماعات نادي الترقي المختلفة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تأسيس جمعية الفلاح، تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية الكبرى مساعدة الكفاح الفلسطيني، جمعية الزكاة محاولة لتكوين البنك الإسلامي الجزائري[6].

ولقد لخص أحمد توفيق المدني أهمية نادي الشرق ودوره فيه قائلا:<<ربما كانت الخدمة التي قدمتها به لوطني أَجَلْ وأنفع خدمة قدَمها مناضل لأمته ولبلاده، ولقد كان نادي الترقي صفحة بيضاء في تاريخ الجزائر،لا

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج2**، المصدر السابق، ص169.

[2]/ **المصدر نفسه**، ص 170.

[3]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 139.

[4]/ بن باديس عبد الحميد، **الشهاب**، المجلد04، السنة04، العدد 17،160 أوت 1928م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، ص، ص 203، 204.

[5]/ بلال بشير، **تاريخ الجزائر المعاصر من (1830_1989م)، ج01**، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص 333.

[6]/العسلي بسام، **جهاد الشعب الجزائري_قادة الجزائر التاريخيون، ج03**، دار النفائس، بيروت، 2009م، ص 679.

الجزائر العاصمة وحدها بل الجزائر الوطن المترامي الحدود. وإني لأعجب العجب كله لهؤلاء المؤرخين الجدد الذين يضربون بسهم في إنشاء تاريخ الجزائر الحديث، ويغفلون أو يتغافلون عن ذكر نادي الترقي، وعن ذكر آثاره، وعن ذكر ما ولده من حركات بناءه صميمة كانت للجزائر بعثا، وكانت للقومية الجزائرية نشوراً[1].

ثانيا: الإسهامات السياسية

1. نشاطه في جمعية العلماء المسلمين:

عرفت الجزائر في الفترة الواقعة ما بين (1920_1931م) يقظة عامة في بلاد، شملت كل مظهر من مظاهر الحياة الجزائري، وقد جاءت هذه النهضة عامة كما يقول الإبراهيمي:" بعد شعور الأمة بسوء الحال....، والشعور بالفساد وهو أول مراحل الإصلاح"[2]، وفي ظل هذه التطورات والأحداث بدأ الشيخ عبد الحميد بن باديس في 1924م اتصالاته وتحركاته ودعوته إلى إنشاء " أخوة ثقافية" يكون هدفها العمل على جعل جهودهم في مجال التعليم العربي منسجمة وتوحيد مذهبهم الديني، حيث وجه بن باديس في نوفمبر1925م، نداءه على صفحات مجلة الشهاب إلى المثقفين الإصلاحيين الذي يهدف في أعماقه إلى تأسيس"جمعية العلماء"[3].

فرغم أن فكرة إنشاء جمعية تكون تحت أي اسم من الأسماء تعود إلى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، إذ دعا كل من العلامة عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، وكذلك دعت إليها مجلة الشهاب عام 1925م، إلا أن الأستاذ أحمد توفيق المدّني يؤكد بأن التفكير في إنشاء هذه الجمعية هو وَلِيْدْ 1930م فقط فحسب روايته يقول: << فإن جماعة من ذوي الاتجاه الإصلاحي العربي الإسلامي كانوا يترددون على نادي الترقي لمناقشة الأوضاع التي آلت إليها البلاد خاصة بعد احتفال فرنسا بذكرى مرور مائة سنة عن تواجدها بالجزائر كان هذا الاحتفال مجالاً فسيحا للمتعصبين الفرنسيين الذين هاجموا الإسلام والمسلمين بشدة، يصف المدّني أنه اجتمع هو مع ثلاث من المُصلحين في شهر تموز"جويلية" سنة 1930م ونقشوا بإسهاب في الآثار المؤلمة التي تركتها تلك الاحتفالات >>[4]. واتفق هؤلاء في نهاية المطاف على ضرورة إنشاء جمعية أو هيئة تجمع شمل العلماء الجزائريين ككل يُوحِد صفوفهم وترسم لهم الطريق الصحيح للوقوف في وجه الاستعمار[5].

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 165.

[2]/ بوصفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى _دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة_**، دار مداد يونيفارسيتي براس، الجزائر، 2009م، ص 131.

[3]/ كافي علي، **مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946_1962م)**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999م، ص 47.

[4]/ بوصفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتهما بالحركات الجزائرية الأخرى**، المرجع السابق، ص، ص، 100، 101.

[5]/ **المرجع نفسه**: ص 100.

ولقد تم ذلك من خلال اجتماع عقد على ساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ذي الحجة الحرام1349هـ، الموافق للخامس من شهر ماي _أيار_ من سنة 1931م[1].

وقد اجتمع بنادي الترقي لعاصمة الجزائر اثنان وسبعون من علماء القطر الجزائري وطلبة العلم فيه إجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية متآلفة من جماعة من فضلاء العاصمة عميدها السيد إسماعيل أحسن الله جزاء الجميع، وغرض الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكر فيها علماء القطر فرادى وهي تأسيس "جمعية العلماء المسلمين". وقد لبّى الدعوة كتابة بالقبول والاعتذار نحو الخمسين عالماً[2]، ويعد أحمد توفيق المدّني من بين المؤيدين لهذه الفكرة، ومن أبرز مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م[3]، بالإضافة إلى ذلك فقد تولى أحمد توفيق المدني تحرير رسائل الدعوة لعقد الاجتماع حيث تم إرسال مئة وعشرين دعوة، فجاءتهم خلال نصف شهر التاسع والعاشر من رسائل التجنيد والاستعداد لربما كانت الباقية لم تصل لأصحابها[4].

ولقد تم انتخاب عبد الحميد بن باديس رئيسا، ونائبه محمد البشير الإبراهيمي وللكتابة العامة الأستاذ "**العمودي**"(*)، والأستاذ الطيب العقبي نائبه، ولأمانة المال الأستاذ "**مبارك الميلي**"(**) نائبه إبراهيم بيوض[5].

ولقد استمر نشاط أحمد توفيق المدّني في الجمعية حتى بعد تولىّ رئاستها الشيخ البشير الإبراهيمي بعد وفاة الشيخ ابن باديس، وكان الشيخ ملما بالعلوم الشرعية، كما كان من أشد المدافعين عن اللغة العربية. ولم يدعه ذلك من الانغلاق بل آمن بضرورة تعلم اللغات ومنها الفرنسية لتكون بمثابة باب مفتوح للعلوم التقنية والعصرية[6].

---

[1]/ عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى (1920_1936م)، ج01، ط03**، منشورات السانجي، الجزائر، 2010م، ص 211.

[2]/ أحمد طالب الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي(1929_1940م)، ج01**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص71.

[3]/ بلقاسمي بوعلام، **موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر، 2007م، ص 134.

[4]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 267.

(*) العمودي: ولد في سنة 1892م بمدينة الوادي، بدأ نشاطه الإسلامي في مدينة بسكرة، وأصبح بمثابة الأمين العام لجمعية العلماء، وكاتبها السري، أسس سنة 1934م، صفيحة " الدفاع" وبالإضافة إلى النشاط الإصلاحي الكبير والكتابة الصفيحة في جرائد الجمعية اغتيل وعثر على جثمانه يوم 10 أكتوبر1957م قرب السكة الحديدية للمزيد ينظر: بشير بلاح ولونيسي رابح: **تاريخ الجزائر المعاصر،1830_1989م، ج02**، دار المعرفة، الجزائر، 2010م ص 106.

(**) مبارك الميلي: ولد سنة 1898م في دوار أولاد مبارك، يعد من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين 1931م، وكان أيضا محاضرا في العلوم الفقهية والآداب، ووطنياً متحمساً، ومؤرخاً ضلعياً، وتوفي يوم9 فيفري 1954م، للمزيد ينظر: بلخوجة عمار: **الحركة الوطنية الجزائرية أبطال ومعالم**، ترجمة، مسعود حاج مسعود: منشورات ألف، الجزائر، 2015م، ص 99.

[5]/ عبد الرحمان بن إبراهيم بن عقون: **المصدر السابق**، ص 213.

[6]/ بكار العياش، **المرجع السابق**، ص 97.

ولقد احتك المدّني بالبشير الإبراهيمي وبكل شيوخ الجمعية وتدريجيا يصبح من الشخصيات المسئولة في الجمعية، ويشرف على تحرير جريدة البصائر، ثم أمين عام لجمعية العلماء سنة1952م في عهد البشير الإبراهيمي[1].

ولقد تضاعفت وتعددت أسباب كثيرة، مهدت لتأسيس جمعية تضم العلماء وتجمع شملهم المتفرق وتوحد منهج عملهم منها:

أ_ جهود العلماء والمصلحين: من قبل أمثال حمدان لونيسي، عبد القادر المجاوي، عبد الحليم بن سامية وكل حسب طاقته وقدراته، مهدت الطريق للقيام بدعوة إصلاحية جهادية.

ب_ الثورة الفكرية: التي أحدثتها الصحف والمجالات في الأوساط المثقفة خاصة، وجهود الشعب الجزائري عامة، والتي من بينها: الجزائر، الإسلام، الشهاب، "**المنار**"(*) وغيرهم.

ج_ اهتمام بعض الجزائريين بالحركات الإصلاحية في المشرق العربي: من خلال مجلة المنار ومطالعتهم لكتب المصلحين ككتب ابن تيمة.

د_ يضاف إليها " الأحاديث المتناقلة في الأوساط العلمية عن الإمام عبده ولوم خصومه المعنيين في التشنيع عليه، وسبه ولعنه".

هـ_ ما حققه الإمام ابن باديس من نتائج عظيمة من جهده التعليمي والتربوي الفردي للصغار والكبار معاً[2].

ولقد هيأت هذه الجمعية الشعب الجزائري للاستقلال لما لقنته من معاني الحياة الشريفة وبما ثبتت فيه من معاني العروبة والإسلام والوطنية والحرية، وكانت القاعدة الاجتماعية للجمعية تتمثل بعلماء الكبار والصغار والمثقفين والعمال والفلاحين، وهذه الجمعية ساعدت على تطوير الوعي الوطني عند الجزائريين من خلال تعاليمها التحريرية والتقدمية ورفضها لكل سياسة تنادي بإدماج الجزائر بفرنسا[3]، والحقيقة أن الشيخ أحمد توفيق المدّني كانت له مساهمة فعالة في تأسيس الجمعية كما سبق ذكره، وهو ما يؤكده أيضا "حمزة بوكوشة" في مقالين منفصلين نشرها بمجلتي" المعرفة"و "حضارة الإسلام" خلال سنة 1964م[4].

---

[1]/ بن أيوب رشيد، **دليل الجزائر السياسي**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعة، الجزائر، 1999م، ص 108.

(*) المنار: وهي جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة، أصدرها محمود يوزوزره مابين 29 مارس 1951م (العدد الأول)، ويناير1954م (العدد الواحد والخمسون)، ومجموع أعداها الواحد والخمسين،للمزيد ينظر: بشير كاشة الفرحي: **صفحات مشرقة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1951_1953م) جريدة المنار نموذجا، ج01**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، الجزائر، 2010م، ص11.

[2]/ زروقة عبد الرشيد، **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913_1940م)**، دار الشهاب، بيروت، 1999م، ص، ص،121، 122.

[3]/ داهش محمد علي، **دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي**، اتحاد كتاب العرب، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2004م، ص16.

[4]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 172.

ومن بين شهادات التي أقرت بدور المدّني في جمعية العلماء المسلمين، كما سبق ذكره هو حمزة بوكوشة حيث يقول:<< وكانت رسائل الدعوة قد كتبها الأستاذ أحمد توفيق المدّني... كما تلىّ المدّني القانون الأساسي للجمعية والذي حرره بنفسه...>>[1]، ويرى الدكتور أبو قاسم سعد الله بأنه ليس غريبا أن يكون المدّني وراء احتضان فكرة التأسيس، فهذه الفكرة قد تماشت مع تكوينه، والأفكار التي ينادي بها فالرجل كانت علاقاته قوية بالرواد، فهو على صلات بإبن بأديس والبشير الإبراهيمي وكان يترجم لمبارك الميلي[2].

وقد كان أحمد توفيق المدني قد أشار في مقال له بجريدة البصائر سنة 1948م، إلى مشاركته في تأسيس جمعية العلماء ولم توجه إليه أية انتقادات حينها، لكون معاصريه من رجال الجمعية كانوا على دراية بذلك[3] وما نخلص إليه في مسألة التأسيس أن دور المدّني كان رائداً، وظهرت مساهمته في كونه أحد أعضاء اللجنة التحضيرية (اللجنة الرباعية)، والتي تدعى اللجنة التأسيسية، وأنه هو الذي أرسل الدعوات لحضور اجتماع التأسيس العام، وأنه المحرر لقانونها الأساسي الأول، الذي أرسله مع رسائل الدعوة، وأقره المجلس بالإجماع وترجمه الأمين العمودي للفرنسية[4].

2. مشاركته في بيان الشعب الجزائري:

لقد تم نزول الجزائر سنة1942م على يد الحلفاء الإنجليز والأمريكان ومعهم أنصار فرنسا الحرة لجماعة ديغول، وقد بدأت الجزائر منذ 08 نوفمبر 1942م (تاريخ نزول الحلفاء) عهداً جديداً من الحياة السياسية الوطنية رغم أن الأوضاع الاقتصادية قد زادت سوءا وتميزت الساحة السياسية الجزائرية خلال هذه الفترة بنشاط الحركة الوطنية بمختلف تياراتها[5]، وفي شهر ديسمبر 1942م طلبت فرنسا من الجزائر إمدادها بحبوب لمساندتها في الحرب العالمية الثانية، وعلى اثر ذلك وقعت اتصالات بين الجانبين ويذكر المدّني بأن الجنرال جيرو دعاني لمكتبه بقصر الشتاء الذي أصبح بعد الاستقلال مقر الوزارة الأوقاف، وخلال مقابلة مع هذا الأخير قدم له مطالب التونسيين والجزائريين وعبر عن معاناة الشعبيين لكن هذه المقابلة لم تؤدي إلى أي نتيجة مما أدى بالمدني إلى وصف الجنرال "جيرو" بأنه "بغل مصفح" وليس قائد حاكم[6]، وعلى اثر ذلك دعا "فرحات

---

[1]/ بوكوشة حمزة، **جمعية العلماء تستقبل سنتها الخامسة والعشرون**، البصائر، ع317، 06 ماي 1955م، ص05.

[2]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 172.

[3]/ المدّني أحمد توفيق، **مبارك ألميلي مؤرخ الجزائر**، البصائر، العدد 26، الجزائر، 08 مارس، 1948م، ص 04.

[4]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 173.

[5]/ سعد الله أبو قاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية (1930_1945م)، ج03، ط04**، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 190.

[6]/ المدّني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص، ص، 511، 512.

عباس" إلى عقد مؤتمر وكان الهدف من ذلك دراسة الأوضاع والعمل من أجل وضع نظام سياسي واقتصادي[1].

ولقد عقد فرحات عباس اجتماع في مكتب المحامي بومنجل بالعاصمة وحضره كل من "تامزالي" و"غرسي أحمد"،"آمين دباغين"،"حسن علسنة"،"**العربي التبسي**"(*) و"محمد خير الدين"،"أحمد توفيق المدني" و"ابن جلول" وغيرهم واتفقوا كلهم على إصدار ميثاق جديد خاص بالجزائر، وحسب "المدني" فإن هذا الاجتماع حضر حوالي خمسين شخصية، ترأسه الدكتور"ابن جلول"، وقد طرح مترجما مطالب تمثل رغبة الشعب الجزائري في عشر نقاط أهمها[2]:

- إنشاء مجلس تأسيس لتحرير دستور لدولة الجزائر.
- تكوين حكومة جزائرية مستقلة، تتشارك مع فرنسا ومع المتحالفين في الجهود العربي إنما بصفة جزائرية معترف بها.
- إلغاء تبعية الجزائر لفرنسا، وإبرام معاهدة لتنظيم العلاقات بينهما.
- الكف عن سياسية وحدة العلم البحري التي تجعل الجزائر أسيرة خاضعة لشركات النقل البحرية الفرنسية وتخسير بذلك أموال طائلة.
- إنشاء النقد الجزائري الخاص بالدولة الجزائرية على قاعدة: الدينار يساوي1000 فرنك_الدرهم يساوي 100 فرنك، الفلس يساوي فرنك.
- إعلان وجود " الجنسية الجزائرية" على أن تشمل كل المسلمين، مع من يريد من الفرنسية واليهود وغيرهم من رغبات الشعب الجزائري[3].

ولقد وصف أحمد توفيق هذا البيان في قوله: << إنه لوثيقة تاريخية من الطراز الأول، أول ما يظهر للناظر منها هو الإقلاع عن سياسية التفرنس، وفضح الاستعمار شر فضيحة، والتنويه بالمقاومة الشعبية البطولية التي جابهتها فرنسا خلال قرن وربع قرن، وتصوير حالة الحرمان والفقر وفقد الأرض والرضوخ المطلق للغالبين

---

[1]/ داهش محمد علي، **المرجع السابق**، ص 17.

(*) العربي التبسي: وُلِدَ سنة 1895م في بلدة أسطح ناحية تبسه، وهو عالم مصلح جزائري جمع بين الوطنية الإصلاحية التجديدية والوطنية الثورية الانفصالية، ناضل بقوة لاسترجاع الأخلاق الإسلامية ونشر المبادئ الوطنية للمزيد ينظر: بوصفصاف عبد الكريم، **رواد النهضة والتجديد في الجزائر (1889_1965م)**، دار الهدى، الجزائر، 2007م، ص 70.

[2]/ فرحات عباس، **حزب الجزائر وثورتها ليل الاستعمار**، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فطالة، المحمدية، المغرب، (ب، س, ن)، ص 140.

[3]/ المدّني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص، ص، 511، 512.

وللمستعمرين التي يعيشها عليها أهل البلاد حتى صار المسلم الجزائري يعيش فوق أرضه وفي تراب آبائه وأجداده كأنه أجنبي دخيل، فالواجب هو إلغاء النظام الاستعماري>>[1].

وهكذا جاء تكليف فرحات عباس بتحرير نص البيان الذي وقع بتاريخ 10 فيفري 1943م، وكان معنونا: "بالجزائر أمام الصراع الدولي، بيان الشعب الجزائري"[2].

وهذا البيان يطالب في خلاصته بالتحقيقات التالية:

- إلغاء النظام الاستعماري الذي هو في حقيقة أمره استعمار طبقة لطبقة أخرى.
- إعلان النظام دستور جزائري يضمن كل الحرية وكل التساوي لجميع السكان مهما اختلفت أجناسهم وديانتهم.
- حرية الصحافة والمؤسسات.
- التعليم العمومي إجباري على جميع السكان.
- فصل الدين الإسلامي عن كل تدخل حكومي.
- مشاركة الجزائريين في الحكومة حالاً وتكون هذه الحكومة وليدة رغائب الشعب لا تراعي إلا مصالح الشعب[3].

ولقد جمع هذا البيان بين أفكار الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين وفئات عريضة من الجزائريين فالتصدي للاستعمار مهمة تتطلب تآزر الجميع، وقد عبر عنه المحامي" أحمد بومنجل" بأنه نضال سياسي سيؤدي إلى إحداث قطيعة نهائية، ويقوي الروح الوطنية عند الجزائريين[4].

والحق أن الشيخ أحمد توفيق المدني شارك بفعالية في البيان التاريخي، وعبر إلى جانب زملائه عن آمال الجزائريين، وجسد خطه السياسي الذي يهدف إلى توحيد الجهود الوطنية لمقاربة المستعمر، الذي كان يعتقد دوما أنه لا يرجو منه الخير للشعب[5]، وهو ما تأكد من خلال الرد الفرنسي الذي كان على لسان ديغول بمدينة قسنطينة خلال خطابه يوم 12 ديسمبر 1943م، والذي وعد فيه ببعض الحقوق جسدها في أمر 07 مارس 1944م، الذي لم يرضى أحداً من المسلمين، وأغضب الأغلبية الساحقة من الفرنسيين ويرى توفيق أن الرد الفرنسي، أدى إلى انتشار الوعي السياسي في كل طبقات الشعب الجزائري التي أجمعت على اليأس من استماع

---

[1]/ **المصدر نفسه**، ص، ص، 515، 516.

[2]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 149.

[3]/ المدّني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 516.

[4]/ عبد القادر حميد، **فرحات عباس رجل الجمهورية**، دار المعرفة، الجزائر، 2011م، ص 88.

[5]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 150.

فرنسا لصوت الحق[1].

3. مشاركته في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها:

مع بداية سنة 1951م سعت بعض الأحزاب السياسية إلى توجيه دعوات صريحة لإنشاء جبهة موحدة وكان الحزب الشيوعي أول من دعا إلى ذلك من خلال نداء عبر صحيفة الناطق باللغة العربية "الجزائر الجديدة" وذلك في شهر جانفي 1951م جاء فيها "لا مجال لتضييع الوقت لنكون جبهة متحدة ضد الاستعمار خلال الانتخابات القادمة"[2]، ومع الكفاح السياسي المكثف على جميع الجبهات بدأ عهد جديد، ففي 1952م اجتمعت مختلف الأحزاب: حركة انتصار الحريات الديمقراطية، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، والحزب الشيوعي الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين، في مكتب الأستاذ توفيق المدني، وكان بهدف تشكيل اتحاد يقوم بحماية حقوق الإنسان والحرية، ومن خلال هذا الاجتماع انتخب الأستاذ بإجماع الحاضرين أمينا دائما لهذه الجبهة الجزائرية لحماية واحترام الحرية[3].

ولقد توحدت الجهود فعلا وظهرت باسم جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها" وقد مهدت لظهورها عدة لجان وهي لجنة إغاثة ضحايا القمع التي أنشئت سنة 1948م ولجنة الدفاع عن حرية التعبير التي أنشئت سنة 1950م، وكانت تلك اللجان تدافع عن الحرية والتعبير[4].

كما كانت للجبهة عدة مطالب تمثل فيما يلي:

- إلغاء الانتخابات التشريعية التي تم إجراؤها في 17 جوان 1951م، التي قامت فيها فرنسا بتعين أشخاص من إرادتها لم يكونوا من اختيار الجهود الجزائري[5].
- احترام حرية الانتخابات في القسم الثاني الخاص بالجزائريين[6].
- احترام الحريات الأساسية أي حرية الضمير، حرية الفكر، حرية الصحافة وحرية الاجتماع.

---

[1]/ أحمد توفيق المدّني، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 523.

[2]/ أم الخير قسوم، **تطور حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (1946_1954م)**، مذكرة مكلمة لنيل شهادة الماستر في تخصص في التاريخ المعاصر تحت إشراف: الأمير بوغدادة، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة (2012_ 2013م)، ص 47.

[3]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 12.

[4]/ لهلالي أسعد، **الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر (1902_1993م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة 2005_2006م، ص 128.

[5]/ الزبير العربي، **تاريخ الجزائر المعاصر، ج01**، دراسة من منشورات، اتحاد الكتاب العرب، (ب، ب, ن) ,(ب, س, ن), ص201.

[6]/ كافي علي، **المصدر السابق**، ص 55.

- محاربة القمع بجميع أنواعه والعمل على تحرير المثقفين السياسيين وإلغاء الإجراءات التعسفية المتخذة ضد الحاج مصالي[1].
- إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية[2].

والواقع أن اهتمام الجبهة المذكورة، جاوز الإطار المحلي، ليشمل البلدان المغاربية، حيث شارك أحمد توفيق المدني في إرسال برقيات الاحتجاج والتضامن مع الشعب التونسي، أثناء الأحداث الرامية التي تسببت فيها السلطات الفرنسية في مطلع سنة 1952م، حين اعتقلت عددا كبيرا من الزعماء السياسيين وعلى رأسهم "الحبيب بورقيبة"، و"سليم المنجي" فقامت بتوجيه رسائل إلى الهيئات الفرنسية، وهيئة الأمم المتحدة، وتَصَدَرَ توفيق المدّني اجتماعا بالعاصمة في 08 جانفي 1952م تأكيداً لهذا التضامن[3].

كما كان الشيخ أحمد توفيق على رأس موقعي بيان التنديد والمساندة، الذي أصدرته جمعية العلماء وكان حينها أمينها العام في شهر نوفمبر 1951م، اثر حوادث الدار البيضاء المغربية حيث أذان الاستعمار وأبرز تضامن الشعب الجزائري مع الأشقاء المغاربة، إلا أنه تم رصد المجهودات الكبيرة التي بذلها أحمد توفيق وعلى اثر النتيجة لتوقف نشاط الجبهة[4].

4. دوره في الثورة التحريرية:

أ_ **موقفه من اندلاع الثورة:** لقد كان أحمد توفيق المدني من الذين هيآوا للثورة بأقلامهم الصحفية وخطبهم ومؤلفاتهم ومن الذين أدركوا حقيقة المستعمر، بل ونلمس من خلال مقالاته بالبصائر في نهاية الأربعينات قناعته بأن نهاية الاستعمار قد قربت[5]، ولقد كان موقف أحمد توفيق المدني من اندلاع الثورة وشرح ذلك من خلال قوله: << إنني وإن كنت هيأت للثورة منذ أمد بعيد، لم أكن قائداً من قادتها، ولا بطلاً من أبطالها، بل كنت خادما لها، مطيعا لأوامرها منذ يومها الأول، منفذا لإرادتها بكل ما أوتيت من قوة ومن إيمان، سواء كان ذلك في أرض الوطن، أو في مختلف السفارات[6].

ولقد ذكر أحمد توفيق المدّني بأنه كان على علم باندلاع الثورة وذلك من خلال زيارته لباتنة في أكتوبر 1954م يوم قيامه بافتتاح مدرسة هناك وأن الذي أوحى له هذه الفكرة، أي اقتراب قيام الثورة المناضل" عمر

---

[1]/ الزبير العربي، **المرجع السابق**، ص 209.

[2]/ كافي علي، **المصدر السابق**، ص 55.

[3]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 154.

[4]/ **نفسه**، ص 154.

[5]/ **المرجع نفسه**، ص 196.

[6]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج03**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 13.

دردور" الذي استقبل أحمد توفيق المدّني خلال زيارته لمدينة باتنة[1]، وذلك في قوله: << وعلمت منه في سرية تامة أن نبوءني فيما يتعلق بالثورة المدوية ستتحقق عما قريب، وأنه سيمدني أولا بأول بكل المعلومات المتعلقة بالحدث العظيم، حتى أسعى جاهداً مع أخواني الأبرار، وبكل ما في أنفسنا من قوة وإيمان، لربط جمعية العلماء بموكب الثورة كي تعمل في دائرتها الخاصة وبواسطة نظامها المحكم، على نشر دعوة الثورة وإمدادها بالرجال بالأموال[2].

وقوله أيضا:<< كما تسلمت منه أخيرا قبيل غزة نوفمبر بتقرير، منشور الثورة السري، وعلمت بميقاتها المعلوم، فبادر المدّني باتفاق مع الشيخ محمد خير الدين بإرسال الدعوة المستعجلة لجمع المجلس الإداري لجماعة العلماء المسلمين على أن ينعقد في معهد عبد الحميد ابن بأديس، يوم عزة نوفمبر 1954م، على الساعة العاشرة صباحاً من أجل انجاز مذاكرتهم حول قرارات سبتمبر[3]، وقد استجاب البشير الإبراهيمي لهذا النداء وقام في القاهرة بمشاركة "**الفُضَيْل الورتلاني**"(*) بإصدار بيان الشعب الجزائري حث فيه على المشاركة في الجهاد[4]، أما بخصوص مهامه للمدني فقد انضم للثورة الجزائرية وأصبح عضو في المجلس الوطني للثورة الجزائرية[5].

ب_ مهامه عند اندلاع الثورة: عندما اندلعت الثورة التحريرية شارك فيها بقلمه، فكانت يوميات " الأزمة الجزائرية" التي يوقعها في البصائر تثير حفيظة الإدارة الفرنسية باستمرار[6]، وفي سنة 1965م الحق بالوفد الخارجي لجبهة التحرير بالقاهرة، وانتخب عضو في المجلس في مؤتمر الصومام بالجزائر سنة 1956م[7] وبعدها أصبح المدّني بعد ذلك وزير للشؤون الثقافية والسياسية في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية[8]، وفي

---

[1]/ بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 275.

[2]/ أحمد توفيق المدّني، **حياة كفاح، ج03**، المصدر السابق، ص 19.

[3]/ **المصدر نفسه**، ص، ص، 19، 20.

(*) الفُضَيْل الورتلاني، نشأ تنشأ الصب والحداثة، وكان معروف بصفاء العقيدة والصلابة في الدين، ولقد لازم الإمام ابن باديس سنوات فتأثر به، حصل على شهادة العالمية من كلية أصول الدين التي التحق بها عام 1939م، وتولى منصب الكاتب العام لجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية يوم 18 فيفري 1914م، فتح خمس عشر نادياً، وفي أواخر حياته ألف كتاب الجزائر الثائرة، للمزيد ينظر: بوعزيز يحي، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج01**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص، ص، 180_184.

[4]/ بوحوش عمار، **المرجع السابق**، ص 275.

[5]/ابن أيوب رشيد، **المرجع السابق**، ص 108.

[6]/ مقلاتي عبد الله، **موسوعة أعلام وأبطال الثورة الجزائرية**، الكتاب الخامس، وزارة الثقافة، الجزائر، (ب، س، ن)، ص 339.

[7]/ علي زغدودة، **ذاكرة ثورة التحرير الجزائرية**، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والإشهار، الرويبة aned، (ب، ب، ن)، 2004م، ص 84.

[8]/ صادق بلحاج، **الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي (1919_1939م)**، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي إشراف بوشيخي شيخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، وهران، 2011_2012م، ص 123.

عام 1960م عين ممثلاً لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة، ولدى جامعة الدول العربية[1]، حيث يقول الدكتور محمد مصياف بقوله:" إنه معروف بآثاره العديدة في التاريخ والسياسية، ومواقفه الوطنية المشرفة من قبل الثورة وأثناءها[2].

[1]/ مقلاني عبد الله، **قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية**، منشورات بلونو، الجزائر، 2009م، ص 469.

[2]/ بوزواوي محمد، **معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من(1798_2009م)**، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر،(ب، س، ن)، ص 580.

المبحث الخامس: نماذج من إسهاماته في بعث الذاكرة التاريخية الوطنية

إن أعمال المدني كثيرة ومتنوعة تتراوح بين المصنف التاريخي والجغرافي والمصنف الثقافي العام والرواية وتنم عن ثقافة واسعة وكذا عن موهبة أدبية ذات تميز استثنائي[1]، ولقد ترك المدني مكتبة عامرة بالدراسات التاريخية والأدبية التي نال فيها حق السبق على أقرانه وعبرت عن جهد جبار ومتميز قام به خدمة لوطنه ومن مؤلفاته[2]:

1. **تونس وجمعية الأمم:** نشر هذا الكتاب في 1923م، وهو أول كتاب نشر للمدني، يصنف ضمن كتاب الدعاية للقضية الجزائرية التونسية، نادى فيه بوجوب انسحاب المحتل الفرنسي من تونس[3].
2. **الحرية ثمرة الجهاد:** تحدث فيه المدني عن نضال أيرلندا ضد الإنجليز[4]، ولقد صدر المدني هذا الكتاب سنة 1923م في تونس في خضم نضاله الدستوري، وهو كتاب موجه للشعب ليفتح عينه على أن تقبله للاحتلال الأجنبي هو وصمة عار، وأن من الضروري اعتماد مبدأ الكفاح المسلح الذي هو السبيل الذي لا سيل سواه نحو نيل الاستقلال الوطني[5].

وعند وصوله إلى الجزائر وفي الظروف التي سبق الإشارة إليها، تأثر تأثيراً بالغاً بحالة إخوانه من أبناء الوطن الخاضعين لنظام الانديجينا، ذلك النظام الذي جعل منهم أيادي عاملة رخيصة لدى الأوربيين الذين أصبحوا سادة الجزائر، فلم يحتمل الشيخ المدني هذا وضاق به ذرعاً، وهو الأمر الذي دفعه دفعاً إلى أن يقرر إصدار نشره سنوية ستهدف استدراك الوقت الضائع، يبتغي من خلالها مواجهة المحاولات التي تريد طمس الشخصية المسلمة بمحو ثقافتها وتدمير كرامة الدين الإسلامي، وقيمه التي كانت تتعرض لهجمة شرسة من التبشير والتنصير على يد من يسمون بالأدباء البيض[6].

3. **تقويم المنصور:** حيث صدر هذا الكتاب في 1925م في شكل حولية تحتوي على فصول عدة يراد منها بعث الضمائر، ولفت الانتباه إلى ما تزخر به الجزائر من جمال سياحي وقدرات في مختلف مجالات التنمية إلى جانب بحوث عن جغرافيتها والمراحل الكبرى للحضارة العربية الإسلامية[7].

---

[1]/ علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925م إلى 1940م**، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص 138.

[2]/ شترة خير الدين، **معجم أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 535.

[3]/ بسكر محمد، **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج02**، دار كردادة، الجزائر، (د، س، ن)، ص 163.

[4]/ حمادو عبد الرحمان، **مرجعيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ج01**، ذاكرة الناس للنشر ،الجزائر ،2016، ص 233.

[5]/ المدني أحمد توفيق، **محضارات في اللغة والفكر والتاريخ**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 13.

[6]/ **المصدر نفسه**، ص 14.

[7]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص14.

حيث يذكر المدني في هذا الكتاب في قوله: << إلا أنني عزمت على اقتحام باب التأليف بعد ذلك بصفة منظمة متوالية، هادفة فأخرجت سنة 1932م كتابي الأول " تقويم المنصور" في ثلاث مئة وعشرين صفحة>>[1]، وتقويم المنصور عبارة عن موسوعة للعلوم والجغرافية والآداب والتاريخ والسياسة، شهرته مجله الشهاب "على صفحاتها في أفريل من سنة 1929م[2].

يقولها: << تقويم المنصور، وهو السفر السنوي الحافل، الذي يدبجه صديقنا أحمد توفيق المدني كل سنة هجرية... يشتمل ما لذَ وطاب من مختلف المواضيع العلمية والأدبية والتاريخية والاجتماعية وغيرها، فنحث كل قارئ يهمه رقي العربية والعلم والأدب أن يسارع إلى توجيه اشتراكه>>[3].

ولقد كان تقويم المنصور في شكل مجلة، شمل خمسة أجزاء حيث أصدر الثلاثة الأولى بتونس بداية من العام 1922م، وأصدر الجزئيين الرابع والخامس في الجزائر سنوات 1926_1929م[4]، ويحتوي تقويم المنصور على العديد من الأبواب، وقد لخصتها " الشهاب" حين كتبت: " تقويم المنصور، علم حي وأدب غض وتاريخ قومي، ومختارات نفيسة، وقطع فائقة في ستة عشر بابا: المباحث الفلكية، المباحث العلمية، المباحث التاريخية، ثمرات من بساتين العلوم، مرآة العالم، طبيب الدار، أكبر الحوادث وأشهر الرجال، قطرنا المغربي العالم الإسلامي.....وكفى بهذه الصورة المصغرة منه باعثاً لرغبة الأديب فيه وموجباً لتقدير عمل هذا الكتاب البارع والإعجاب به[5].

ولقد برز تقويم المنصور كعروس تختال في حلل البهاء والجمال، وصادق من الأمة قلباً خالياً فتمكنا وبعد نحو شهر من صدوره لم يبقى في سوق الكتب منه شيء، وكان مزيناً بأربع وثلاثين صورة[6].

4. <u>قرطاجة في أربعة عصور أو تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي</u>: حيث صدر هذا الكتاب في تونس سنة 1927م[7]، ويبرز لنا هذا الكتاب مرة أخرى زيف طروحات حربي وأمثاله التي تقول بأن الاتجاه الإصلاحي قد أهمل تاريخ البربر قبل الإسلام فقد كان هذا الكتاب نموذجاً حيا لتاريخ المقاومات البربرية ضد الاحتلال الأجنبي، مما يجعله يترك تأثيراً كبيراً على بعض أصحاب النزعة البربرية[8].

---

[1]/ كواتي مسعود، **<u>شخصيات جزائرية موافق وآثار ونصوص</u>**، دار طليطلة، الجزائر، 2011م، ص 223.

[2]/ شترة خير الدين، **<u>معجم أعلام الجزائر</u>**، المرجع السابق، ص 535.

[3]/ الشهاب، **<u>تصدى تقويم المنصور لسنة (1926م/ 1345م)</u>**، العدد 29، 03 جوان، 1926م، ص17.

[4]/ خليفي عبد القادر، **<u>المرجع السابق</u>**، ص 119.

[5]/ الشهاب، **<u>" تقويم المنصور وشعره الصادق"</u>**، العدد 51، 03 أوت، 1926، ص ص09، 10.

[6]/ كواتي مسعود، **<u>المرجع السابق</u>**، ص ص 223، 224.

[7]/ سعد الله أبو قاسم، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي، ج01</u>**، المرجع السابق، ص 420.

[8]/ لونيسي رابح، **<u>التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920_1954م)</u>**، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009، ص 366.

وهو على ما يبد عالج فيه الوجود الفينيقي بالمغرب العربي والصراع المرير مع روما ويقول أحمد توفيق المدّني عن هذا الكتاب في مذكراته ما يلي: "أنجزت تحرير الكتاب وتنقيحه وتبيضه واخترت له أبدع الصور الأثرية التي لم يسبق نشرها إطلاقا في اللغة العربية، وطبعت له مصوراً جغرافياً لكامل المغرب العربي كبير الحجم واضح الشكل كتب بخط الأخ عمر راسم الجميل[1]، وقدمته للطبع بتونس في دار المطبعة الأهلية، ثم أعلنت عنه في الصحف بالشمال الإفريقي عامة وفتحت فيه باب الاشتراك على مصراعيه، فتسابق الخاص والعام على ذلك إقبال غريب، وما انتهى الشهران الأولان حتى كان عدد المشتركين يكاد يغطي عدد النسخ المطبوعة[2].

ويلاحظ في كتاب قرطاجنة محاولة من صاحبه لقراءة الحاضر الاستعماري الفرنسي بعيون الماضي ونجد لديه تعاطفاً كبيراً مع القرطاجيين، فهم يشبهون العرب الفاتحين حيث أخرجوا البربر من الظلم إلى النور مثل هؤلاء الأخيرين، أما الرومان فيشبهون الاستعمار الفرنسي حتى ناحية الملكية الزراعية حيث أصبح البربري " تحت سلطة روما لا يملك شبراً من الأرض، فالأرض برمتها.... كانت ملكاً للرومان حيث أنهم اغتصبوها رسمياً من أصحابها.... وكان البربر عمله ليس إلا، والنير ينزل عليهم ثقيلاً[3].

وقد احتوى هذا الكتاب على مقدمة وأربعة أجزاء حيث استعملة مقدمة في هذا الكتاب واستعرض فيها وصف جغرافية تونس والجزائر والمغرب، وعن أصل البربر وأنواعها وعن حالة البلاد قبل عصر التاريخ[4].

وخص القسم الأول لدولة قرطاجنة فتحدث عن نظامها السياسي وعلاقتها مع البربر، والحياة العلمية والأدبية على أيامها، ودخولها في صراع مع روما، وما ميّز ذلك من حروب وتطورات إلى أن تم تخريب قرطاجنة، اما القسم الثاني فقد خصصه للحديث عن قرطاجنة على عهد الروماني, وما وقع من حروب بين البربر والرومان، وعن حياة السياسية والنظم الرومانية ثم أبرز نتائج الاحتلال الروماني[5].

أما القسم الثالث خصصه لقرطاجنة تحت الاحتلال الوندالي، ذكر كيف تم الاستيلاء على قرطاجنة من طرف الوندل وكذا سياسة هذه الأخيرة التخريبية في البلاد، بالإضافة إلى الصراعات والحروب التي كانت قائمة خلال تلك الفترة وأختتم في هذا القسم بتقييم لاحتلال الوندالي، أما القسم الرابع والأخير خصصه للاحتلال البيزنطي لقرطاجنة تناول فيه النظم الإدارية والسياسية والعسكرية كما عرج إلى الفتح الإسلامي لقرطاجنة وهزيمة الكاهنة[1]، وفي الختام ذكر فيها الفتح العربي، والأسباب التي تم لأجلها نجاح الإسلام بهذه الديار واستقراره فيها

---

[1]/ كواتي مسعود، **المرجع السابق**، ص 226.

[2]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص ص 161_162.

[3]/ لونيسي رابح، **المرجع السابق**، ص ص 366، 367.

[4]/ المدّني أحمد توفيق، **قرطاجنة في أربعة عصور تاريخ شمال إفريقيا إلى الفتح الإسلامي**، الشهاب، العدد 92، 14 أفريل 1927م، قسنطينة ص 19.

[5]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 121.

قراراً متيناً[2].

وعن دوافع تأليف هذا الكتاب ذكر المدّني أنها جاءت استجابة لإرادة بعض أقطاب الحركة الإصلاحية أمثال " مبارك الميلي" حيث طلب منه الميلي في إحدى جلساته الرد على الذين قاموا بدعاية مشوهة لهوية المنطقة المغاربية، وخاصة ما قام به " لوي برتران" عضو المجمع العلمي أنداك الذي أراد تشويه بلاد المغرب[3]، وقد استعمل فيه المدّني الخرائط والصور، ووضع رسومه عمر راسم، وتأثر به الشيخ الميلي حسب رواية سعد الدين بن شنب[4].

5. <u>كتاب الجزائر :</u> لقد نشر هذا الكتاب سنة 1931م واشتمل على جغرافية الجزائر وتاريخها ومجتمعها واحتوى على فصل واحد مركز وشامل للفترة العثمانية[5]، وتحدث الشيخ المدني عن هذا الكتاب الهام والسبب في تأليفه ومحتواه قائلا: ((وأخيراً دقت الساعة الحاسمة، جاء الوقت الذي رأيت فيه من واجبي أن أقدم للشعب الجزائري حالته الشخصية غير مدلسة، غير مشوهة، غير خاضعة للدعايات المغرضة ولا للزيف الاستعماري العظيم. وأزيح أكاذيبه الفاضحة وأكتب الحقيقة كما يجب أن تكتب وهكذا بعد مجهود سنة في تحرير وأربع سنوات في الجمع والترتيب قدمت للشعب الجزائري الأبي المجاهد "كتاب الجزائر" في 382صفحة، مصحوباً بالمصور الجغرافي[6].

ولقد جاء هذا الكتاب أيضاً كرد فعل على الاحتفالات المئوية باختلال الجزائر، ويقول المؤلف إن هدف من وضعه هو كشف الزيف الاستعماري حول تاريخ الجزائر، ويضيف لاحقاً " إنكم ترون كما رأيت أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائر كل شيء"، ولهذا جمعت لكم بين دفتيه ما يجب على كل جزائري مسلم أن يعرفه على بلاده[7].

والحق أن المدّني رفع شعارات الهوية الوطنية بوضعه على غلاف الكتاب ثلاثية "الإسلام ديننا العربية لغتنا الجزائر وطننا" وعالج مشكلة الفراغ الذهني التاريخي لدى الشباب الجزائري، من مثقفين بالفرنسية بعضهم تمزق

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **<u>قرطاجنة في أربعة عصور تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي</u>**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص24.

[2]/ المدني أحمد توفيق، **<u>قرطاجنة في أربعة عصور تاريخ شمال إفريقيا إلى الفتح الإسلامي</u>**، الشهاب، المرجع السابق، ص 19.

[3]/ المدّني أحمد توفيق، مبارك الميلي، **<u>مؤرخ الجزائر</u>**، المصدر السابق، ص04.

[4]/ سعد الله أبو قاسم، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي،ج03</u>**، المرجع السابق، ص 420.

[5]/ كواتي مسعود، **<u>تاريخ الجزائر المعاصر وقائع ورؤى</u>**، دار هومة، الجزائر، 2011، ص 212.

[6]/ المدّني أحمد توفيق، **<u>حياة كفاح، ج02</u>**، المصدر السابق، ص، ص 287، 288.

[7]/ لونيسي رابح، **<u>المرجع السابق</u>**، ص 367.

ذهنه إلى انجذاب نحو التاريخ الدخيل، ونفور من التاريخ الجزائري المشوه، ومن مثقفين بالعربية خانتهم المراجع الرابطة للماضي بالأصالة والنزاهة[1]، ويتوزع الكتاب على أربعة عشر قسماً بين التاريخ والجغرافية والحالة الراهنة 1930م[2].

أما التاريخ فيضم أقسام من واحد إلى ستة وهي تؤرخ للجزائر من أقدم العصور إلى سنة 1930م، وقدم خلاصة عن العنصر البربري من حيث أصوله وعوائده ونظمه وقبائله، ثم العنصر البربري بنفس الكيفية، أما أقسام الجغرافيا فيضم السابع والثامن, بحيث قدم بطاقة تعريف للطبيعة الجغرافية من حيث الموقع والحدود والمساحة في حين خصص الأقسام المتبقية وهي من تسعة إلى أربعة عشر للوضعية والقضائية والتعليمية والحالة الاقتصادية العامة[3]، أما الحالة الراهنة بالبلاد الجزائرية سنة 1930م فأطنبت في ذكر النظام الإداري والسياسي والمالي والاقتصادي والقضائي، وبينت خلو كامل ذلك النظام من العنصر الجزائري، وأخيراً كان فصل الختام حالة المسلمين العامة، فذكر المدّني بإطناب وضعيتهم القانونية الحائرة المذبذبة وقضية التجنس الفرنسي والحالة الصحية والعمال والمرأة والموسيقي، والتمثيل والصحافة وحالة الدين الإسلامي، وختم بذكر الحالة الاقتصادية العامة[4].

ولقد كان لهذا الكتاب آراء والأصداء ما يلي: إذا صرح أحد المؤلفين أن ابن بأديس هو الذي حثه سنة 1925 م على كتابة تاريخ الجزائر بقوله: ((سواءً أطال مقامك في الجزائر أو قصر وسواءً اهتديت إلى كفاح سياسي أو أخفقت فهذا واجب عيني وضعه القدر فوق عاتقك فأبدا كفاحك بهذا ريثما ييسر الله لك أسباب كفاح آخر))[5].

وقال عنه شارل روبير أجيرون: ((منذ أبار 1931م تأسست جمعية العلماء المصلحين جمعت ثلاثة عشر عالماً من بينهم مبارك الميلي وأحمد توفيق المدّني، وهما أول من ألف في التاريخ الجزائري باللغة العربية.... فكتاب التاريخ الوطني الذي ألفه الشيخ المدّني، وهو كتاب الجزائر 1931م .... كان كتاب يحمل فوق غلافه شعار جمعية العلماء: الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا....))[6]، ووصفه مؤلفه المدني بالقول: ((هذا

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 123.

[2]/ خليفي عبد القادر، **الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية (دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدّني خلال الفترة 1931_1951م)**، قسم التاريخ، جامعة المسلة، (ب، س، ن)، ص10.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899_1983م)**، المرجع السابق، ص 124.

[4]/ المدّني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 290.

[5]/ عمري الطاهر، **النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بدايات القرن العشرين إلى ما بين الحربين العالميتين**، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر 2009م ص، ص، 184، 185.

[6]/ شارل روبير آجيرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة: عيس عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 142.

الكتاب صورة حقيقية لقطر الجزائر، لم ترسمها ريشة مصورة إنما رسمها قلم باحث جعل همّه ذكر الحقائق كما هي))[1].

6. <u>محمد عثمان باشا داي الجزائر</u>: صدر هذا الكتاب في سنة 1938م، وتناول فيه المدّني حياة محمد عثمان باشا أحد أطول الدايات عهداً وحكماً، وربما أصلحهم، وقد عالج هذا الكتاب خلاصة تاريخ الأتراك بالجزائر[2]، ولقد وصف المدّني نفسه هذا الكتاب قائلاً ((فكان هذا أول كتاب أماط اللثام عن حقيقة الوجود العثماني التركي بهذه البلاد، نسف تلك الخرافات والأكاذيب التي اختلقها الاستعمار من تشويه هذا الوجود وبينت فكري بكل صراحة وجلاء عن ذلك العهد المظلوم فكان ذلك الكتاب مفاجأة للناس ومنار للباحثين ولطمه قاسية في وجه الاستعمار))[3].

وما يخص ذكر الباشا الكبير محمد عثمان وقد كان والياً مثالياً، ورجلاً مسلماً حميماً ومتواضعاً، أعاد إلى الأذهان سيرة عمر بن عبد العزيز، وكان إلى زهده وورعه داهية في السياسة، بطلاً في الحروب قهر إسبانيا ودحرها مرتين وألحق بها الخسائر البشرية ومن الخسائر المادية ما أدهش العالم يومئذ، وأرفع مكان الجزائر إلى رفع مقام، ناهيك أنه بقي على رأس الجزائر مدة خمسة وعشرون سنة مستمرة[4]، ولقد قسم المدّني كتابه إلى تمهيد وأربعة أقسام، فتناول في التمهيد تاريخ العهد العثماني في الجزائر الذي اعتبر أنه وضع الشخصية الدولية للجزائر ودافع عنها ووحدها وأسس دولتها، كما ركز على المذابح التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في الجزائر وقارنها مع قمع الأتراك لمختلف الثورات ليبرز فظاعة الفرنسيين مقارنة بالأتراك[5].

أما القسم الأول للكتاب بعنوان "خلاصة عن الولاة في العصر التركي من عام 1515_1830م" عرج فيه إلى أسباب زوال الدولة الإسلامية بالشمال الإفريقي بالإضافة إلى تطرقه للدخول العثماني للجزائر وفترات حكمهم التي دامت قرابة ثلاث قرون[6]، وتناول في القسم الثاني سيرة الداي عثمان باشا مستنداً في صياغتها على مذكرات نقيب أشراف الجزائر محمد شريف الزهار، وكذلك كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية" ودفتر التشريفات أي السجل الرسمي للدولة آنذاك، وعلى ما كتبه فونتان دوبا راديس عن الداي عثمان باشا[7].

---

[1]/ المدني أحمد توفيق، **<u>كتاب الجزائر</u>**، المصدر السابق، ص 399.

[2]/ سعد الله أبو قاسم، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي، ج07</u>**، المرجع السابق، ص 420.

[3]/ كواتي مسعود، **<u>شخصيات جزائرية مواقف وآثار ونصوص</u>**، المرجع السابق، ص 229.

[4]/ المدني أحمد توفيق، **<u>حياة كفاح، ج02</u>**، المصدر السابق، ص، ص، 382، 383.

[5]/ لونيسي رابح، **<u>المرجع السابق</u>**، ص 369.

[6]/ المدّني أحمد توفيق، **<u>محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766 _1791) سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده</u>**، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2010، ص 17.

[7]/ لونيسي رابح، **<u>المرجع السابق</u>**، ص 370.

أما القسم الثالث فتناول سيرة الداي محمد عثمان باشا، أما القسم الرابع تعريب ما يتعلق بهذا العصر من (دفتر تشريعات)[1]، يتميز الكتاب بمنهج علمي صارم ومع ذلك فقد حقق الهدف المنبغي منه، وهو الأمر الذي جعل ابن باديس يعلق على الكتاب ويطالب كل مسلم جزائري بقراءته بهدف جعله أكثر بغضاً وكرهاً للاستعمار الفرنسي وبالتالي يغرس فيه الرغبة والاستعداد للثورة عليه ما دام أن الحب والبغض سلاحان لازمان في الحياة ولا بقاء لأمة بدونهما إذا استعملتهما في محلهما[2].

7. <u>المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا:</u> صدر "المدني" هذا الكتاب سنة 1946م ولعله أول كتاب عن صقلية باللغة العربية[3]، اعتبره الشيخ أحمد توفيق المدني تمهيداً لدراسة تاريخ المسلمين في صقلية، وقدم في هذا الكتاب بعض الآراء والأفكار حتى تعرض على مجال البحث والمناظرة للوصول إلى الحقائق التاريخية[4]، وقد ذكر المدني تأليفه فقال: ((صفحة التاريخ الإسلامي بصقلية لم تكتب بعد ولم يقيض الله لها من يفردها بدراسة قيمة....فيكاد يخَّيل إليك وأنت تتلو كتب التاريخ القديمة، أن مقام المسلمين بصقلية ما كان إلا سلسلة حروب وفتن واضطرابات...وتلك لعمري هفوة من مؤرخينا علينا أن نتداركها، وعلينا أن نسد هذه الثلمة في هيكل تاريخينا القومي العربي))[5].

ولقد أراد المدني من خلال مؤلفه هذا إبعاد الشبهة والشكوك الاستعمارية تجاهه، كما أنه عملية تمويهية منه وبخاصة بعد التهديدات التي تلقاها مباشرة عقب الحرب العالمية الثانية، وبالضبط بعد مجازر 08 ماي 1945م، مما جعله يلازم بيته، وأخذ يفكر في تمضية الوقت بتأليف كتاب لا يمس الحالة الحاضرة ولا يمت للجزائر بسبب[6]، وقدم المدني في هذا الكتاب دراسة مستفيضة عن جزيرة صقلية وتاريخيها القديم، والفتح الإسلامي لها، وازدهارها في عهد الحضارة الإسلامية، ومن حكمها وسقوطها بيد النرمان ثم الجرمانيين[7].

أما عن محتوى الكتاب فقد قسمه إلى تسعة أقسام، عالج فيها وصف جزيرة صقلية وموجز لتاريخيها وآثارها والحكم الإسلامي في العهد ألأغلبي والفاطمي، وعصر الاستقلال الذاتي والحكم الروماني، وفي الأخير العلوم والآداب[8] وختم الكتاب بالترجمة لنحو الثلاثين من علمائها وأدبائها[1] وبعد ما صدر هذا الكتاب كتبت البصائر

---

[1]/ شترة خير الدين، **<u>معجم أعلام الجزائر</u>**، المرجع السابق، ص، ص 535، 536.

[2]/ لونيسي رابح، **<u>المرجع السابق</u>**، ص 370.

[3]/ كواتي مسعود، **<u>شخصيات جزائرية مواقف وآثار ونصوص</u>**، المرجع السابق، ص231.

[4]/ المدّني أحمد توفيق، **<u>المسلمون في جزيرة صقلية</u>**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 07.

[5]/ خليفي عبد القادر، **<u>أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899_ 1983م)</u>**، المرجع السابق، ص 128.

[6]/ لونيسي رابح، **<u>المرجع السابق</u>**، ص 370.

[7]/ شترة خير الدين، **<u>معجم أعلام الجزائر</u>**، المرجع السابق، ص 536.

[8]/ كواتي مسعود، **<u>شخصيات جزائرية مواقف وآثار ونصوص</u>**، المرجع السابق، ص 231.

حوله في قولها: {{ وهو كتاب جلا فيه مؤلفه صحيفة من صحائف الفتح الإسلامي لأطراف أوروبا و جزائرها وسد به نقصاً طلما شعر به الباحثون في تاريخ الإسلام، كما انتهى بهم البحث إلى تلك الحقبة من الزمن، في تلك القطعة من الأرض، فأعوزتهم الوثائق والمستندات لأن الموجود منها في تواريخنا العامة مشتت غير منظم ومضاف غير مستقل}}[2] .

وقد وصف محمد قنانش هذا الكتاب في قوله: {{ إنَّ هذا الكتاب تحفة نادرة، ودرة نفيسة في جبين التاريخ الإسلامي فهو معلمة تاريخية وأدبية عن جزيرة صقلية}}[3].

8. <u>جغرافية القطر الجزائري:</u> لقد طبع هذا الكتاب في الجزائر سنة 1948م، وهو يعتبر الأول من نوعه بالعربية، وكان هذا الكتاب موجهاً إلى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء ولقد سدّ فراغاً كبيراً وربط فيه بين التاريخ والجغرافية وملأه بالمشاعر السياسية الوطنية[4]، وقد خطب المدّني هذا الكتاب المجتمع الجزائري في قوله: {{ أيها الشباب المسلم الجزائري: على حب الوطن ينشأ شبان الدنيا قاطبة، في سبيل أوطانهم يعيشون وهم فداء أوطانهم يموتون}}[5].

ولقد جاء في تقديم المدّني لكتابه قوله:{{ فهذا أوَّل كتاب جغرافي، وضع عن القطر الجزائري المحبوب}}[6] وفي قوله أيضاً:" ولقد وهبك الله من خير ما وهب للأمم من أوطان طيب في المناخ، وجمال في المنظر، وثروة في الأرض، وشرف في الأصل، ومجد تالد وطريف فلتكن به أيها الشباب المسلم الجزائري بوطنك فخوراً، ولتكن به مغرماً، فإنه لجدير بحبك وإنه لفي حاجة إلى علمك وسعيك وانه هو القطر العربي الصميم يرجو أن ترفع بعلمك علمه، وبعملك وجهودك رأسه بين الأمم، وإنه هو القطر المتين الإسلام يريد منك أن تجعله نموذجاً لرقي ومدنية وعظمة المسلمين[7].

ولقد شمل هذا الكتاب ثلاث أقسام، حيث خصص القسم الأول للجغرافيا الطبيعة، فتحدّث عن موقع القطر وحدوده، ووصف تضاريسه ومناخه، أما القسم الثاني فعالج فيه الناحية الاقتصادية مبرزاً الثروات المتنوعة من فلاحيه وحيوانية ومعدنية، وطاقوية معرجاً على حركة التصنيع التقليدية والعصرية وكذا النشاط التجاري، وطرق

---

[1]/ شترة خير الدين، **<u>معجم أعلام الجزائر</u>**، المرجع السابق، ص 536.

[2]/ البصائر، **<u>المسلمون في جزيرة صقلية</u>**، العدد02، 01، أوت، 1947، ص 05.

[3]/ خليفي عبد القادر، **<u>أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899 _1983م)</u>**، المرجع السابق، ص 129.

[4]/ سعد الله أبو قاسم، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي، ج7</u>**، المرجع السابق، ص،ص، 420، 421.

[5]/ المدّني أحمد توفيق، **<u>حياة كفاح، ج02</u>**، المصدر السابق، ص 548.

[6]/ المدّني أحمد توفيق، **<u>جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية</u>**، (ب، د، ن)، الجزائر، 1948م، ص 34.

[7]/ المدّني أحمد توفيق، **<u>حياة كفاح، ج02</u>**، المصدر السابق، ص، ص، 548_549.

المواصلات بأنواعها، أما القسم الأخير فعالج فيه الحالة السياسية فقدّم إحصائيات لعدد السكان، وأنواع الأنظمة القضائية، وحالة التعليم العام والحر والمهني، ووصف التقسيم الإداري وأعطى ترجمة لمجموعة من المدن بالعملات الثلاث[1].

ولقد تميز أسلوب الكتاب بالوضوح، وبالعرض الممتاز الذي يدفع إلى القراءة والمطالعة، تضمن معلومات مركزة وإحصائيات، وجداول حديثة على شاكلة الكتب العصرية، وقد رسم المؤلف على صفحة الغلاف الشعار الثلاثي" الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"[2]، ولقد نظم الشاعر أحمد سحنون أبياتا شعرية تقدير لهذا الانجاز الذي وصفه بأنه قطع الرياض وكانت الأبيات بعنوان " توفيق أعطيت توفيقاً" من هذه الأبيات نذكر:

توفيق أعطيت توفيقاً وتسديداً فاكتب وجدد عهود الضاد تجديداً

منحت موهبة التاريخ فأحب به أمجد قومك أحياء وتخليداً

منذ أن اعتقلت يراعاً لم تزل كلفا به طرفك بالمجهول ممقوداً[3].

ولقد نال هذا الكتاب رواجاً واسعاً، وأعيد طبعه ثلاث مرات[4].

9. <u>حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا:</u> لقد طبع هذا الكتاب في الجزائر سنة 1968م وأعيد طبعه عدة مرات[5]، ولقد تحدث المدّني عن دوافعه لاختيار هذا الموضوع بالذات، ويرجع أولاً إلى ميلاد الدولة الجزائرية الحقيقية،لأول مرة في تاريخينا، دولة ذات معالم معينة، أما السبب الثاني لأن هذه الدولة الجزائرية الأولى قد برزت إلى الوجود, وشبت وشابت, نتيجة لحملة صليبية استعمارية هوجاء، أما اختياره الأخير لكي يصحح الكثير من الأوضاع، فيما يتعلق بتدخل الأتراك في هذه المعركة الحاسمة[6].

ولقد جاء محتوى هذا الكتاب بداية بتمهيد طويل عن الثلاثة قرون التي سبقت صلة الجزائر بالعثمانيين يقسم بقية الكتاب إلى تسعة عشر فصلاً تناول فيه أسباب وصيغة العدوان الإسباني، وحالة هذا العدوان قبل ظهور العثمانيين ثم بعد ظهورهم، ورد الفعل للعدوان، وشخصية خير الدين، وعلاقة الإسبان بدولة بني زيانة ، وحملة

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **<u>أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر</u>**، المرجع السابق، ص 115.

[2]/ خليفي عبد القادر، **<u>الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية</u>**، المرجع السابق، ص 15.

[3]/ سحنون أحمد، **<u>توفيق أعطيت توفيقاً</u>**، البصائر، العدد 61، 27، ديسمبر، 1948م، ص 07.

[4]/ المدّني أحمد توفيق، **<u>حياة كفاح، ج02</u>**، المصدر السابق، ص 549.

[5]/ سعد الله أبو قاسم، **<u>تاريخ الجزائر الثقافي، ج07</u>**، المرجع السابق، ص 421.

[6]/ المدني أحمد توفيق، **<u>حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492_1792)</u>**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دار البعث, الجزائر, (ب، س، ن) ص، ص 6 _8.

شارل الخامس (شارلكان)، ضد الجزائر.... وتحت كل فصل عناوين فرعية نظمت بطريقة مدرسية تساعد القارئ المتسرع على العثور على ما يريد[1]، كما يبين المدّني في هذا الكتاب حقيقة الوجود العثماني في الجزائر وخلاصة أنها فترة طويلة امتزجت فيها دماء العثمانيين بالجزائريين ضد الأطماع الصليبية[2].

كما تحدث أيضاً التقديم عن المنهج المعتمد غير المنحاز لطرف على حساب طرف آخر فيقول:{{ أقول الحق ما اعتقدت أنه الحق، وأمجد البطولة في شخص الأبطال، سواءً أكانوا من شيعتي أم من عدويّ، واسمي الأشياء بأسمائها المحددة، فأقول عن الخائن بأنه الخائن، وأصف النذل بأنه نذل}} ويؤكد في المقدمة بأنه ليس معتصب للأتراك ولا متحاملاً على الأسبان وإنما حاول أن يكتب التاريخ الحق لهذه المرحلة من التاريخ الوطني دون تجن أو محاباة[3].

10- مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار (1754- 1830): صدر هذا الكتاب سنة 1974م، وهو عبارة عن تحقيق لمذكرات نقيب اشراف الجزائر والزهار من عائلة نقيب الأشراف في بداية الاحتلال[4]. ولقد ذكر المدني في المقدمة أسباب تأليفه هذا الكتاب في قوله: {{ إنني حين أقدم هذا الكتاب للشعب الجزائري، إنما أقوم بأداء واجبين أكيدين: أولهما أنني أضع وثيقة جديدة، صادقة، في سجل تاريخ العهد العثماني الطويل، بهذه البلاد الجزائرية،... وثانيها أنني أفيّ بعهدي قطعته لسيد فاضل من رجال الجزائر القدماء، هو الشيخ سيدي محمود الشريف الزهار...}}[5].

كما يقول المدّني أن المذكرات مقسمة إلى قسمين: قسم يبدأ من سنة 910 أي بداية العهد العثماني ويحتمل أن يكون هذا القسم من الكتاب قد ضاع، أما القسم الثاني فيبدأ من سنة 1168م وينتهي بالاحتلال الفرنسي وهذا القسم هو الذي قدمه الشيخ المدني بعد أن عثر على النسخة الوحيدة منه لدّى الشيخ محمود الشريف حفيد المؤلف[6].

11-هذه هي الجزائر: لقد تم نشر هذا الكتاب في سنة 1956 بعد وصوله إلى القاهرة[7] وهو عبارة عن تعريف بتاريخ الجزائر وثورتها، وهو من كتب الدعاية السياسية والإعلامية في وقته[8].

---

[1]/ سعد الله أبو قاسم، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج01**، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص، 348، 349.

[2]/ شترة خير الدين، **معجم أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 536.

[3]/ كواتي مسعود، **شخصيات جزائرية مواقف وآثار ونصوص**، المرجع السابق، ص 237.

[4]/ المدّني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص 16.

[5]/ المدّني أحمد توفيق، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1754 _1830م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974م، ص 05.

[6]/ سعد الله أبو قاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج07**، المرجع السابق، ص 458.

[7]/ المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح ج02**، المصدر السابق، ص 16.

[8]/ سعد الله أبو قاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج07**، المرجع السابق، ص 421.

وقد كان الغرض الأساسي من إصداره لهذا الكتاب هو التعريف بتاريخ وكفاح الشعب الجزائري لدى الشعوب العربية[1]، وقد قام المّدني بإهداء هذا الكتاب وذلك في قوله:

" إلى ضحايا معركة الحرية الحاسمة في قطر الجزائر النيل.

إلى أرواح الشهداء، ودماء الأبرياء، ودموع اليتامى.

إلى الذين ماتوا لتحمي مقدساتهم.

إلى الذين كسروا بأيديهم الجبارة أغلال الاستبعاد.

إلى الذين تحطمت فوق صخرة إيمانهم موجة الاستعمار.

إلى الذين بنوا بعزائمهم الصادقة، بين آكام من الجثث وتجرس الدماء وطوفان من ألسنة اللهيب، صرح الجزائر الحرة، السعيدة المستقلة.

أقدم هذه الدراسة، المتواضعة اعترافاً بفضلهم، وتخليدا لذكراهم، وشهادة لهم أمام الله والناس أجمعين، بأنهم استحقوا تقدير الوطن والتاريخ وتمجيد العروبة والإسلام[2].

[1]/ المدّني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المصدر السابق، ص16.

[2]/ المدّني أحمد توفيق، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (ب، س، ن)، ص، 04.

الفصل الثاني:

إسهامات أحمد توفيق المدني في الجزائر المستقلة (1962_1983م)

1. **المبحث الأول:** وظائفه الرسمية في أجهزة الدولة
2. **المبحث الثاني:** موقفه من القضايا الكبرى
3. **المبحث الثالث:** مذكرات حياة كفاح وردود الفعل
4. **المبحث الرابع:** ردود على الانتقادات الموجهة إليه

المبحث الأول: وظائفه الرسمية في أجهزة الدولة

1)دوره في الأوقاف:

في 05 يوليو 1962م استقلت الجزائر رسماً. ورحل جيش الاحتلال الفرنسي من الجزائر[1]، واستعادت الجزائر سيادتها بعد تضحيات جسام دفع خلالها الشعب الجزائري مليون ونصف مليون من الشهداء ثمناً للحرية. وأخذ السياسيون والعسكريون في العمل معاً من أجل تجهيز الدولة بمؤسسات سياسية وإدارية، وهذا وسط حقل ملغم من الصراعات والمؤتمرات وتباين الأيدلوجيات، مع التركة الثقيلة التي خلفها سنوات حرب التحرير على كافة الجبهات[2].

لكن يقظة القادة الجزائريين دفعتهم إلى تدارك الأمر وإتخاذ الإجراءات الفورية اللازمة لتفادي الكارثة، ومن بين الخيارات التي اتخاذها القادة تكوين المجلس الوطني التأسيسي[3]، فبعد وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962م تكونت هيئة تنفيذية التي نصت عليها معاهدة إيفيان، وهذه الهيئة، تسهر على تسير البلاد إلى غاية يوم الإستفتاء، وخلال هذه الفترة عقد المجلس الوطني للثورة الجزائرية دورة في طرابلس خلال شهر جوان 1962م[4].

ولكن الظروف التي مرت بها الجزائر بعد إعلان الاستقلال، حالت دون إجراءات عملية إنتخاب المجلس التأسيسي في أجله المحدد[5]، وبعد دخول قوات الحدود إلى الوطن وحسم الخلافات لصالح المكتب السياسي تقرر تنظيم الانتخابات يوم 20 سبتمبر 1962م[6]، ولقد بلغ عددهم آنذاك حوالي مئة وستة وتسعون عضواً وكان معظمهم ممن وقف مع المكتب السياسي[7].

ولقد كان الشيخ أحمد توفيق المدني من الشخصيات التي أصبحت عضوة في المجلس التأسيسي الذي

---

[1]/ مورو محمد، **المرجع السابق**، ص 111.

[2]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية والجزائر**، المرجع السابق، ص 219.

[3]/ حليم ميشال حداد، عاطف عيد، **قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم، تونس، الجزائر، EDITO CREPS INTERNATIO NAL، (1998 _ 1992)**، ص 166.

[4]/ إسعيداني سلامي، **المسار الثوري الجزائري من خلال وصف سياسي وقانوني، الملتقى الدولي حول الثورة التحريرية الكبرى (1954 _1962م)** دراسة قانونية وسياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة 08 ماي، 1945م، قالمة، 02 و03 ماي 2012، ص 178.

[5]/ بلعباس محمد، **الوجيز في تاريخ الجزائر**، دار المعاصر للنشر والتوزيع، الجزائر, 2009، ص 252.

[6]/ **نفسه**، ص 252.

[7]/ مصطفى عتيقة، **المجاهد مولاي إبراهيم _ الرائد عبد الوهاب حياته ومسيرته النضالية بين (1925 _ 1969)، قائد المنطقة الثالثة، الولاية الخامسة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ الثورة الجزائرية (1954_1962م)، تحت إشراف: موفق محمد، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009 _2010، ص 215.

عُيْنَ لرئاسته فرحات عباس وضم شخصيات عديدة منها:

"ابن يوسف بن خدة"، "بشير بومعزة"، "**لخضر بن طوبال**" (*)،"محمد خميستي"،"سعد دحلب", محمد مدغري"،" **الطاهر الزبيري**" (*)(*)، "أحمد بومنجل"،"رابح بيطاط"،"**أحمد فرانسيس**"(*)(*)(*). والواقع أن المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني، هو الذي اختار المرشحين لعضوية المجلس علاوة على الرئيس.[1]

ولقد جرت الإنتخابات في الموعد المقرر، وقدمت الحكومة المؤقتة استقلالها وعُيِنَ أحمد توفيق المدّني مندوباً دائماً للجزائر لدى جامعة الدول العربية[2]، وتم إنتخاب فرحات عباس يوم 25 سبتمبر 1962م رئيساً للمجلس الوطني التأسيسي، وفي نفس اليوم وخلال الجلسة الأولى للمجلس أعلن عن قيام الجمهورية الجزائرية وطلب منه النواب إضافة الديمقراطية، ثم بعد كذلك الشعبية وأصبح اسم الجزائر حاملاً لثلاث خصوصيات، جمهورية ديمقراطية شعبية، هذا الاسم مستمد من برنامج طرابلس الذي إتفق عليه المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالإجماع. وفي 26 تشرين الأول 1962م شكل "أحمد بن بلة" الوزارة الأولى، وتسلم فرحات عباس رئاسة الجمهورية، ووضع الدستور وأقره المجلس، وبموجبه أنتخب أحمد بن بلة رئيساً للدولة[3]، ولقد صوت لصالحه مئة وواحد وأربعون نائباً مع رفض ثلاثة عشر نائباً[4].

وفي مساء يوم 28 سبتمبر 1962م، وعلى الساعة الثامنة وخمسة وثلاثون دقيقة عقد المجلس الوطني التأسيسي دورته الثالثة للإستماع إلى خطاب رئيس الحكومة، وبعد هذا الخطاب تم الإعلان عن التشكيلة الحكومية الجديدة المتكونة من ثمانية عشر وزيراً[5]، والتي عُيْنَ فيها الأستاذ أحمد توفيق المدّني أول وزارة للأوقاف في الجزائر المستقلة بين سنة 1962م[6]، ونستطيع أن نقول بأن أول مجلس التأسيسي لتكوين حكومة

(*) لخضر بن طوبال، ولد بالميلة عام 1923م التحق بعد الحرب العالمية الثانية بحزب الشعب، ثم بالمنظمة الخاصة، وكان عضو في مجموعة ال22 قاد أول العملية العسكرية بمناطق جيجل وميلة، شارك في مؤتمر الصومام... مازال على قيد الحياة للمزيد ينظر: محمد الشريف ولد الحسين، **من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال (1962 _ 1830م)**، دار القصبة للنشر، (ب، ب، ن)، (ب، س، ن)، ص 75.

(*)(*) الطاهر الزبير، ولد سنة 1929م بدوار واد الكياريت (سدارته) بدأ النضال في الحزب الشعب بتبسة في 1946م، التحق بالقاعدة الشرقية وتقلد بها مسؤوليات، وفي1960م عين عضواً في مجلس الولاية وأصبح قائداً لها لغاية الاستقلال للمزيد ينظر: محمد عباس، **ثوار.. عظماء شهادات سبعة عشر شخصية وطنية**، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 269.

(*)(*)(*) أحمد فرانسيس، ولد سنة 1912م بغليزان، كان عضواً باللجنة المركزية للأحباب البيان، وكان من مؤسسي حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، دافع عن ثورة أول نوفمبر 1954م، بمنصة المجلس وانخراط في جبهة التحرير الوطني، للمزيد ينظر: فافرود شارل أنري، **الثورة الجزائرية** ترجمة: سالم محمد، وكاوية عبد الرحمان، منشورات دحلب، (ب، ب، ن)، 2010م، ص 20.

[1]/خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 219.

[2]/ شاكر محمود، **التاريخ الإسلامي _14_ التاريخ المعاصر بلاد المغرب، ط02**، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 297.

[3]/ شاكر محمود، **المرجع السابق**، ص، ص، 297، 298.

[4]/ العمامرة سعد بن البشير: **هواري بومدين الرئيس القائد(1932 _ 1878م)**، قصر الكتاب، البليدة، 1997، ص 52.

[5]/ يحي أبو زكريا، **الجزائر من أحمد بن بلة إلى عبد العزيز بوتفليقة**، دار ناشري، (ب، ب، ن)، 2003، ص، ص، 20، 21.

[6]/ فضلاء أحمد الحسن، **من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج01**، (ب، د، ن)، (ب، ب، ن)، 2000، ص 98.

الاستقرار في 26 سبتمبر 1962م، ويعتبر تتويجاً لتضحيات سبع سنوات ونصف انتهت بتطبيق مؤتمر الصومام، الذي وضع الأسس الأولى لانبعاث الدولة الجزائرية منذ 1953م[1].

وعندما تم تشكيل أول حكومة استقلال يترأسها أحمد بن بلة المشكلة في 27 أيلول/ سبتمبر 1962م[2] وأصبح من خلالها أحمد توفيق المدّني وزيراً للحبوس "**الأوقاف الإسلامية**"(*)[3]، وعن كيفية التحاقه بالطاقم الحكومي عكس باقي أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يذكر أحمد توفيق المدني بأنه لم يكن على علم وأنه كان موجود في القاهرة يستعد لإنجاز مهمته بين جدران جامعة الدول العربية، إذ تلقى برقية مستعجلة تدعه للقدوم إلى الجزائر بإمضاء الأمين العام للحزب محمد خيضر وكان نصها الحرفي" خذ أول طائرة وأقدم للجزائر بكل سرعة"[4].

ويواصل الشيخ أحمد توفيق المدّني ويقول: " وكنت أعتقد والله أن الأمر يتعلق بالجامعة ودولييها وما نريده منها، فإذا بمحمد خيضر وابن بلة يرحبان بي ترحيبًا حاراً بليغاً ويقول لي ابن بلة: تقديراً لجهادك وإعترافًا بماضيك وتضحياتك، واستثماراً لعلمك وجهودك الصادقة في سبيل الحرية، فقد قرر الحزب أن تضطلع معناً بالحكم وأن تتولى وزارة المعارف بيننا، وأردت أن أحتج وأن أنجو بنفسي، فقال: هذا أمر الحزب، وعليك الطاعة"[5].

وهكذا إنقلب أحمد توفيق المدّني من مناضل مجاهد حر إلى وزير، وبدأت حياته الجديدة يوم 28 سبتمبر 1962م تعيينه وزيراً للأوقاف والشؤون الدينية بدلاً من وزارة المعارف[6].

ويقول في الموضوع المحامي والمناضل السيد" محمد مهري": لقد تم تشكيل أول حكومة إستقلال يترأسها الرئيس أحمد بن بلة في أول أكتوبر سنة 1962م. وكان ضمن هذه التشكيلة وزارة الأوقاف التي أسندت إلى

---

[1]/ ملاح عمار، **المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس إلى سبتمبر 1962م**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005، ص 25.

[2]/ جورج الراسي، **الإسلام الجزائري من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات**، دار الجديد، بيروت، 1997م، ص 190.

(*) الأوقاف الإسلامية: هي من الأموال العامة التي لا يحق لأحد أن يتصرف فيها لأغراضه الخاصة، وأن تؤول إلى ملكية أحد، فالوقف مال موضوع لفائدة الجميع (الأمة)، لا يقبل الاستئثار الخاص، ومن هنا تضمن الوقف فكرة العمومية، من حيث أن عموم الناس يستغلونه على أساس أنه منفعة جارية، ووضع في سبيل المنفعة العامة،للمزيد ينظر: ثنيو نور الدين، **إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، الناشر مركز العربي للأبحاث ودراسته السياسات، بيروت 2015، ص 370.

[3]/ جورج الراسي، **الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008، ص 198.

[4]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 70.

[5]/ **المرجع نفسه**، ص71.

[6]/ **نفسه**، ص 71.

الشيخ أحمد توفيق المدّني، هو جزائري من مواليد تونس، عاش حياة عامرة بالنشاط السياسي والفكري، شارك في النضال السياسي أثناء تواجده بتونس، ثم إنتقل إلى الجزائر وإستقر في العاصمة[1].

وساهم في الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان من محرري جريدة البصائر إذ كان يتولى فيها تحرير منبر السياسة العالمية. كان خطيباً بارعاً ومؤثراً، وقد التحق بجبهة التحرير وأوفدته إلى القاهرة ممثلاً فيها، وما لبث أن أصبح وزيراً في الحكومة الجزائرية المؤقتة. وكان خلال الثورة أحد الوجوه المشرقة التي شرفت الجزائر وأكسبها تقدير المشرق العربي وإحترامه[2].

وعندما جمعتني ظروف العمل معه في وزارة الأوقاف كمدير للشؤون الدينية كنت سعيداً في عشرتي له: فهو رجل لطيف ومهذب ومثقف، وقد التقيت معه في نفس اليوم الذي أعلنت فيه التشكيلة الحكومية. وقد قرر أن يتخذ من قصر السناء مقراً للوزارة[3]، ويواصل محمد المهدي قائلا: خلال أسبوع التحق بنا المشايخ " حفناوي هالي" مديراً للأوقاف و"محمد الصالح رمضان" مديراً للتعليم الديني، و" موساوي زروق" مفتشاً عاماً، و"إسلام مدني" مديراً للمالية والشؤون الإدارية، ثم التحق السيد الطاهر تيحنى كأمين عام للوزارة. وقد شرعت هذه المجموعة في تأسيس الوزارة، مركزياً تم إنشاء مفتشاتها ومصالحها ونظارات للأوقاف[4].

ولقد جاء إنشاء وزارة الأوقاف بالجزائر مثلما كان متعباً في بلدان عربية أخرى، حيث كان المغرب الأقصى أول من أسس وزارة الشؤون الإسلامية، واقتفت أثره مصر والكويت ثم الجزائر، وكان كذلك أول من أسس وزارة التعليم الأصلي ومنذ سنة أصبحت وزارة الأوقاف في الجزائر تحمل اسم وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ولقد كان الهدف المباشر من إنشاء وزارة الأوقاف لا يتجاوز مدلول التسمية أي الإشراف على أملاك الوقف، وأعطها المدني أبعاداً أخرى[5].

ولقد إجتهد المدني كثيراً في عصر وزارته، حيث قام بإجراء العديد من التعديلات على الهيكلة الإدارية وأعطاها صبغة تنظيمية، فكانت هذه الوزارة نموذجاً في التسيير الإداري لباقي الوزارات الأخرى فيما يتعلق بالانضباط والنظام[6].

والملاحظ أيضاً أن الشيخ أحمد توفيق المدّني نشط في عدة اتجاهات، فقد تم في عهده إصلاح المساجد التي

---

[1]/ مهري محمد، **ومضات من دروب الحياة**، منشورات السانجي، الجزائر، 2013، ص 181.

[2]/ **نفسه**، ص 181.

[3]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 71.

[4]/ مهري محمد، **المرجع السابق**، ص 182.

[5]/ الفاسي علال، **نهضة التعليم الأصلي في الجزائر**، مجلة الأصالة، العدد 07، الجزائر، مارس، أفريل، 1972م، ص 89.

[6]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 220.

دُمِرّت من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي[1]، وإستعادت المساجد المغتصبة المحَوّلة إلى كنائس، وترميم وبناء المساجد وتأثيثها[2]، والانطلاق في تشييد مساجد جديدة وذلك ضمن خطة الوزارة الهادفة إلى بعث النهضة الدينية في البلاد، والعناية بالقيم الروحية للشعب الجزائري، انطلاقاً من أن المساجد لا تنحصر مهمتها في إقامة شعائر الصلاة وطقوس الوعظ والإرشاد فحسب، وإنما هي قبل كل شيء مدارس لتربية الشعب وتوجيهه إلى سبيل الخير والتعاون في شتى ميادين الحياة والعمران[3].

حيث قام الشيخ أحمد توفيق المدّني في 18 أكتوبر 1962م، قام بفتح جامع كتشاوة وإنزال الصليب منه[4] وأُدِيَتْ في مسجد كتشاوة أول صلاة الجمعة بالجزائر العاصمة، وألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة 05 جمادى الثانية 1382م هجرية الموافق للثاني من نوفمبر 1962م بإمامة الشيخ الإبراهيمي للناس فكانت صلاة جمعة تاريخية بحضور أركان الدولة ووفود إسلامية[5].

حيث خطب فيه الإبراهيمي المسلمين في هذه الخطبة في قوله: {{ أيها المسلمون إن الله ذم قوماً فقال: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيْهَا اِسْمُهُ" ومدح قوماً فقال: "إِنَّمَا يُعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرْ وَآَتَى الزَكَاةَ، وَلَمَ يَخَشَى إِلاَّ اللهْ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُوْنُوْا مِنَ المَهْتَدِيْنْ" وغيرها من الخطابات[6]، وهكذا تم تحرير المساجد عبر أنحاء القطر الجزائري، وكانت لعملية الاسترجاع هذه دلالاتها الخاصة[7].

كما قامت الوزارة بوضع مشروع قانون الأوقاف وتنظيمها، والتصرف في مواردها، وعملت على حصر وتسجيل جانب هام من الأوقاف الإسلامية، مستعينة في ذلك بالمفتشيات التي أنشأتها في مناطق الوطن[8]. كما قامت الوزارة أيضاً بحصر ممتلكات الأوقاف وتسيرها، وتوظيف السلك الديني، وتزويد الأئمة بالمنشورات التي تدعم معارفهم وتسهل لهم تأدية مهامهم، وإنشاء مجلة للبحوث العلمية, والاشتراك في البرامج الإذاعية والإشراف على الحصص الدينية فيها[9]، وإحياء المناسبات الدينية وتنظيم الدروس الوعظية والتربوية التي تلقى في

---

[1]/ خلفي عبد القادر: **نفسه**، ص 220.

[2]/ مهري محمد، **المرجع السابق**، ص 182.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 221.

[4]/ **نفسه** ، ص 221.

[5]/ الإبراهيمي البشير، **آثار الإمام البشير الإبراهيمي (1954 _1964م)، ج05**، تحقيق الطالب الإبراهيمي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 305.

[6]/ **المرجع نفسه**، ص 308.

[7]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 221

[8]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية (1899 _1983م)**، دار المجابر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 221.

[9]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 72.

المساجد، وإنشاء المعاهد الإسلامية لتكوين إطارات متخصصة، وقد كان الرأي السائد في الوزارة في بداية الأمر هو إنشاء بعض المعاهد دون الإكثار، مع الحرص الكامل على البرامج وعلى المستوى الثقافي[1].

حيث تميز عهد الوزير أحمد توفيق المدّني بإنشائه للمعاهد الإسلامية، أو ما عرف بمعاهد التعليم الأصلي لأول مرة بالجزائر، وهو يقول عن ذلك: " إن هذه المعاهد ابتكر فكرتها أحمد توفيق المدّني في شيخوخته، لكنه لم ينشئها بنفسه وما استقل بها بل هي أصبحت فكرة الدولة الجزائرية[2]. ولقد بلغ عدد المعاهد الإسلامية التي أنشئها الشيخ أحمد توفيق المدّني سبعة عشر معهداً للتعليم العربي بالجزائر، حيث اتجه المدّني إلى مصر واستقدم منها نخبة من العلماء المختصين في العلوم الإسلامية واللغة العربية من الأزهر[3].

وقد اعتبر محمد الميلي أن تطوير هذا التعليم الأصلي كان في حد ذاته معقولاً، فهو رد على الاستعمار وتأصيل للشخصية الجزائرية، كما أتاح الفرصة لعدد من التلاميذ والطلبة الذين لم يكن بوسعهم ولوج إطار التعليم العام، إلاّ أنه أشار إلى نقطة هامة ربما مثلث إحدى السلبيات وتتعلق ببعض الأفكار التي نشرها الأساتذة الأجانب حين قال: " وإذا كان من بينهم أساتذة أجلاء، فقد كان من بينهم أيضاً من يشعر بفشله في حل إشكالية الأصالة والمعاصرة ببلاده، فحمل معه عقداً ومركبات حرمان عملت بعض عملها في شباب بكر "[4].

ويعترف الشيخ أحمد توفيق المدني بأن الجزائر كانت تعيش صراعات حقيقية بين الغربيين والوطنيين المحافظين على الشخصية الجزائرية، وصرح بمدينة بوسعادة في اليوم 27 من جويلية سنة 1964م بمناسبة اختتام السنة الدراسية بمعهد الوزارة قائلا: ((عندنا في الجزائر رجال يحاربون الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، يقولون أوروبا هي الإيمان، والغرب هو القبلة، علم الغرب هو الهدى واليقين... فإذا تقدمنا اليوم بطريقة غير علمية وغير فنية_ أقولها وأعترف بها أمامكم_ وأنشأت وزارة الأوقاف هذه المعاهد الحاضرة فإننا قد فرضناها فرضاً وغلبنا فيها الإدارة الإسلامية الوطنية))[5].

ولقد كان رجال هذه الوزارة مقتنعين بأنهم لا يمارسون وظائفهم الإدارية فحسب، ولكنهم يقومون برسالة بعث القيم الإسلامية وحمايتها من التدجيل والتزييف، وإدخالها في السلوك العام والخاص، وضبط مسار المجتمع الجزائري وفقاً لمعاييرها وتوجيهاتها، لذلك كانت قناعتهم بأنهم يقومون بخدمة رسالة حضارية كان الاستعمار

---

[1]/ مهري محمد، **المرجع السابق**، ص 182.

[2]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 221.

[3]/ بوغابة يوسف، **معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دراسة تحليلية**، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 33.

[4]/ الميلي محمد، **مواقف جزائرية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص، ص، 264، 265.

[5]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 222.

الفرنسي مارس المسخ عليها وعمل الكثير على إخراج الشعب الجزائري من إطارها[1].

ولقد كان للمدّني دورًا كبيرًا في عملية تأصيل التربية الوطنية، ولقد واجهته صعوبات عديدة في طريقه وتحديات أكبر، ولقد ذكر أحمد توفيق المدّني، ذلك في إحدى ملتقيات التعرف على الفكر الإسلامي وذلك في قوله: " من أعز هذه الأمنيات الغالية التي شاهدت تحقيقها، هذه المعاهد الإسلامية العربية النادرة المثال المنبثقة فوق أديم الأرض الجزائرية والتي وإن كنت أعتز في حياتي بشيء فإنني اعتز بشرف إبتكارها وتأسيسها وإخراجها من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة الوضاءة منذ عشرة أعوام، أيام كنت وزيراً لأوقاف الجمهورية الجزائرية ويا لله كم قاسيت يومئذٍ في سبيل إنشائها من عنت ومن إرهاق، وكم تحملت من أذى ذوي القربى الذين وحدت بيني وبينهم الأوطان وفرقت بيني وبينهم الأهداف"[2].

وفي سياق النشاط الوزاري دائماً فقد قامت وزارته بإنشاء لجنة الإفتاء المركزية، التي كانت مهمتها الرد على المسائل والاستفسارات المرفوعة من المواطنين والهيئات[3]، ولنشر الثقافة الإسلامية قررت مديرية الشؤون الدينية إنشاء مجلة وإصدارها شهرياً للدراسات الإسلامية والثقافية العامة وقررت أن تسمّيها مجلة المعرفة، وعندها أعدت العدد الأول تكلف بطبعه السيد الحاج ناصر، ثم تولى بعد ذلك رئاسة تحريرها السيد محمد أبو عروج ويساعده السادة الأخضر وزاني، وعبد الرحمان غريب[4].

وقد انطلقت هذه المجلة وسط صعوبات لا يعرفها إلا من واجهها، فلم يكن سهلاً أن نجد في تلك الأيام من يحررها بكفاءة ونضج، فالثقافة كانت نادرة وما نتلقاه من كتابات يبعث إلينا أصحابها لا يمكن أن ترقى إلى مستوى المقالة المطلوبة أو البحث العلمي الذي كنا ننشده، غير أن الإدارة ورئاسة التحرير عملوا على الاستعانة المثقفة في بلادنا، والتي كانت لها مساهماتها القيمة، فاستطاعت بذلك أن تزود المجلة بمادة ضمنت لها المستوى الذي كانت تصدر به[5]، وكانت هذه المجلة توزع على الدوائر الحكومية والهيئات الرسمية، وتمنح الآلاف كتب: " هذه المجلة التي تُسعد وزارة الأوقاف أن تقدم عددها الأوّل إلى جمهور الشعب العربي المسلم في الجزائر، ستكون بحول الله وقوته رابطة روحية قوية...وإننا لنرجو أن تسد هذه المجلة ثلمة في بناء وطننا ونقصا ملموسا في مجتمعنا[6].

---

[1]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 72.

[2]/ المدّني أحمد توفيق، **كلمة جلسة افتتاح الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي**، مجلة الأصالة، العدد 16، الجزائر، سبتمبر، أكتوبر 1973، ص، ص، 168، 169.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 222.

[4]/ مهري محمد، **المرجع السابق**، ص 186.

[5]/ **المرجع نفسه** ، ص، ص، 186، 187.

[6]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص، ص، 222، 223.

ولقد بقيت هذه المجلة تصدر شهرياً إلى العدد الأخير منها الصادر في جمادى الأولى وجمادى الثانية 1385هـ الموافق لأوت وسبتمبر 1965م وبلغ بذلك مجموع ما صدر منها 20 عدداً، وفي نهاية 1965م رأت وزارة الأوقاف تعويض مجلة المعرفة بمجلة القبس على أن تكون مجلة جزائرية تعبر عن أهداف الثورة الجزائرية تعبيراً صادقاً وتعالج مختلف قضايا الفكر بروح ثورية كسائر ظروف البلاد وتترجم آلام وآمال هذا الشعب الذي أعطى كل مالديه في سبيل عزته وكرامته، وحسب مساعد رئيس تحرير المجلة الأستاذ محمد الصغير بلعلام فقد تم تحويل المعرفة إلى القبس بهدف التغيير في الشكل وأيضاً المضمون وهو ما يعني إيجاد كتاب جزائريين ملتزمين حتى يمكن للمجلة أن تضمن لنفسها إطاراً جزائرياً قادراً تستغني **به** عن أسلوب سد الفراغ ونقل المواضيع من مختلف المجالات[1].

وقد صدر العدد الأول من القبس في شهر ذي القعدة **1385**هـ الموافق لمارس 1966م، أوضح أنها مجلة شهرية ثقافية تصدرها وزارة الأوقاف. كما نجد في افتتاحية هذا العدد أيضاً أهداف المجلة، حيث نقرأ ... وإيماناً من وزارة الأوقاف بأهمية دور الإعلام وحشد الجهود لإعطاء الثورة الجزائرية وجهها الحقيقي في إعادة الثقافة القومية إلى وضعها الحقيقي والعودة إلى منبع الروح العربية الإسلامية أصدرت مجلة القبس لتحتل مكانها بين أجهزة الإعلام وتقوم بالدور الذي يفرضه عليها الواجب الوطني في النوعية الاجتماعية توعية تستمد كل خصائصها ومقاوماتها من تراثنا وثقافتنا العربية الإسلامية[2].

ومن أبرز النشاطات التي قام بها المدّني في عهدته مشاركته في ملتقى " التعريب بين الأديان" الذي عقد بألمانيا الفدرالية في شهر جوان 1964م بحضور عدد كبير من رجال الفكر، وقادة الرأي في العالم الإسلامي والغربي، لبحث موقف الأديان المختلفة فيما يخص محاربة خطر الإلحاد والإباحة، واستغل المناسبة لإثارة قضية فلسطين، وأوضح باسم رجال الإسلام: " أنه إذا كان جدار برلين يفصل بين شطري ألمانيا، فإنه يوجد بالنسبة للعالم الإسلامي جدار أشد وأخطر وهو وجود إسرائيل التي تفصل العالم الإسلامي[3].

2) عضوية بمجمع اللغة العربية:

إنّ مَجْمَعْ اللغة العربية يمثل أعلى هيئة علمية في العالم الإسلامي ولا ينسب إليه الاكبار العلماء[4] وفي 10 ماي 1967م يمضي الرئيس " **جمال عبد الناصر**"(*) مرسوماً رئاسياً يتم بمقتضاه تعيين السيد أحمد توفيق

---

[1]/ تاحي إسماعيل، **المرجع السابق**، ص 103.

[2]/ **نفسه**، ص 103.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 223.

[4]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الباحثين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 223.

(*) جمال عبد الناصر، ولد بالإسكندرية قبيل أحداث ثورة 1919م التي هزت مصر كان له الدور القيادي والأساسي في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في 1964م، وحركة عدم الانحياز الدولية، كان مدرساً في كلية أركان الحرب ساهم في تأسيس منظمة التعاون الإسلامي، كما ساهم في إنشاء التليفزيون المصري توفى في 28 سبتمبر 1970م. للمزيد ينظر: مجهول اسم، **جمال عبد الناصر الاسم المحفور على قلب إفريقيا** " مجلة إفريقيا قارتنا العدد السادس يونيو، 2013م، ص، ص، 01 _04.

المدّني عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة[1].

ولقد اختير أحمد توفيق المدّني لعضويته خلفاً للمرحوم العلامة البشير الإبراهيمي فلا غرابة أن يقترن المجمع اللغة العربية باسم أحمد توفيق المدّني الذي كان يرى ضرورة إعادة الاعتبار اللغة العربية والثقافة الإسلامية بكل مكوناتها العقدية والحضارية واللغوية وهذا ما يمثل تطبيق الشعار العزيز على نخبة من العلماء والذي رافقهم طيلة نضالهم للمحافظة على مقومات الأمة والمجتمع والمتمثل في الإسلام ديننا والعربية لغتنا، والجزائر وطننا[2].

ولقد عمل أحمد توفيق المدّني على تقوية مكانة اللغة العربية ونشرها على أوسع نطاق[3]، حيث ساهم أحمد توفيق المدّني في إثراء المعاجم التي يصدرها المجمع، ومنها معجم المتوسط والكبير، كما كان يكتب في مجلة مجمع اللغة العربية[4]، ويقول أحمد توفيق المدّني أنه قدم بحوثاً خاصة بحرف الجيم عن الجزائر كدولة، وعن مدينة الجزائر من الناحية الجغرافية والتاريخية والأدبية، وبحوث أخرى خاصة بحرف "التاء" عن تلمسان[5].

ولتفعيل مساهمة ممثلي بلدان المغرب العربي في الهيئة العلمية للمجمع، اقترح أحمد توفيق المدّني أن تكون اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة الإنجليزية عند تقديم الكلمات المراد تعريبها، وهذا على اعتبار أن المغاربة يجيدون اللغة الفرنسية، ولا يملكون ناصية اللغة الإنجليزية [6]. والواقع أن الشيخ أحمد توفيق المدّني ظل نشطاً حتى آخر أيامه، فقد حضر المؤتمر التاسع والأربعين للمجمع في أواخر فيفري وبداية مارس لسنة 1983م وبذلك أشتهر قبل وفاته، وتناول الكلمة باسم المجمعين العرب من خارج مصر فكانت كلمة مؤثرة علقت عليها مجلة "المصور المصرية"، فأوردت بأنّ ممثل حركة تحرير الجزائر في الستينات لم يستطع إلا أن يثور لعروبته ويندد بالهوان العربي[7].

3)تعيينه بالهيئة الدبلوماسية:

لقد اكتسب أحمد توفيق المدّني "**التجربة الدبلوماسية**"[(*)] من خلال نشاطه ضمن الوفد الخارجي لجبهة

---

[1]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 74.

[2]/ تاحي إسماعيل، **المرجع السابق**، ص 89.

[3]/ **المرجع**، **نفسه**، ص 90.

[4]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 223.

[5]/ **نفسه**، ص 223.

[6]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص، ص، 223، 224.

[7]/ **نفسه**، ص 224.

(*) الدبلوماسية: هي أداة تنفيذ السياسة الخارجية لأي بلد من البلدان، وأداة من أدوات تصورها ورسمها، فهي فن تمثيل الدولة ورعاية مصالحها وحماية رعاياها وتجنيد أعدائها وكسب الأصدقاء لها للمزيد ينظر: عميمور محي الدين، **سفيرا زاده الخيال**، دار موقع للنشر، 2008م، ص، ص 248، 249. وينظر أيضاً: السامي علي حسين، **الدبلوماسية نشأتها وتطورها وقواعدها ونظام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية، ط05**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2011م، ص37.

التحرير الوطني، أو في ظل الحكومة المؤقتة وهذا ما جعلته يحتك بالكثير من القادة السياسيين والعسكريين في دول عديدة بالعالم العربي وآسيا، ولذلك فعندما أسندت له مهام تمثيل الجزائر دبلوماسياً في مرحلة الاستقلال عمل على استثمار هذا الرصيد[1]، وهكذا تم تعيين أحمد توفيق المدّني "**سفيراً**"(*) للجزائر في عدة بلدان المشرق[2].

وفي أكتوبر من سنة 1966م، عينته الدولة الجزائرية سفيراً فوق العادة لدى حكومات كل من العراق تركيا وإيران مع جعل مقره الرئيسي بالعراق[3]، وفي 26 جويلية 1971م صدر القرار الذي وقعه الرئيس هواري بومدين، بتعينه سفيراً مفوضاً فوق العادة بدول الباكستان[4]، وعند تأديته سفاراته، فكان من القلائل الذين حالوا دون الصورة السوداء الكاملة التي كان (يُحَمِضُها) بعض ممثلي الخارجية الجزائرية ببعثهم واستهتارهم، وقلة جديتهم وانعدام إخلاصهم لوطنهم[5].

4)نشاطه بالمركز الوطني للدراسات التاريخية:

عندما تم تأسيس المركز الوطني للدراسات التاريخية وذلك في سنة 1973م، من طرف الرئيس الجمهورية هواري بومدين والذي أوتي بالمدني وقربه إليه وتم تعينه على رأس المركز الوطني للدراسات التاريخية عند تأسيسه ليبقى بالمنصب لغاية وفاته[6] وبذلك أصبح أحمد توفيق المدّني أول رئيس للمركز الأبحاث والدراسات التاريخية الجزائرية حيث تميز الأستاذ أحمد توفيق المدّني بنشاطه الدءوب طول فترة رئاسته فيها[7].

وتقول الدكتورة "**أنيسة بركات**"(**)(*) التي عاملة إلى جانب الشيخ أحمد توفيق المدّني عشر سنوات بالمركز بأنه كان المشرف الرئيسي على نشاطات المركز، وعلى تحرير مجلة التاريخ، وكان يتصدّر الملتقيات الوطنية

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 224.

(*) سفيراً، إن أصل كلمة سفير باللغة العربية تعني سفر وسفريين القوم أي أصلح ومصدرها سفر وسفارة بكسر السين وفتحها، وقيل للوكيل ونحوه سفير وسفر الشيء أي أوضحه وكشفه وكلمة سفير ليست من السفر بمعنى سفراً بمعنى قطع المسافة والخروج للترحال فيقال سفر الرجل فهو سافر مثل راكب وصاحب... للتوسع ينظر: لأقداحي هشام محمود، **علم التفاوض الدولي والاتصال الدبلوماسي**، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2010م، ص ص، 37، 38.

[2]/ فضلاًء محمد الحسن، **المصدر السابق**، ص 98.

[3]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 74.

[4]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 224.

[5]/ قينة بن عمر، **الموقع السابق**، ص 01.

[6]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 74.

[7]/ بصفصاف عبد الكريم، **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج02**، دار مداد، يونيفارستي براس، الجزائر، 2015م، ص 537.

(**) أنيسة بركات: ولدت بندرومة، التحق بالثورة سنة 1956م، وعملت بالمنطقة الثانية من الولاية الخامسة، عملت في التمريض والاتصالات بعد الاستقلال واصلة دارستها في الأدب العربي، وعملة أستاذة بجامعة الجزائر، للمزيد ينظر: مقلاتي عبد الله، **قاموس إعلام شهداء و أبطال الثورة الجزائرية** منشورات بلوتو، الجزائر، 2009، ص، ص، 66، 67.

والدولية وهي تعد بالعشرات، حيث ينشط المحاضرات والتعقيبات، مؤكدة بأن روح المبادرة والتحفيز وتطوير الأداء تعد إحدى سمات عمله اليومي بالمركز[1].

ومن جهة أخرى أكدت فكرى طونا "تلك المميزات" وذلك من خلال قوله: {{ كان الشيخ أحمد توفيق المدّني بمثابة الحقيقة الكلية في المركز، والأدب الروحي له، والمرشد الكامل، والمؤرخ الضليع الذي يستنار بآرائه وأفكاره ومواقفه والأديب الماهر الذي يستأنس بأدبه الرفيع، والمجاهد الذي يقتدي به ميادين العمل والنضال والجهاد}}[2].

ولقد انتدبته رئاسة الجمهورية إلى اسطنبول التركية للبحث عن الوثائق العثمانية الخاصة بتاريخ الجزائر، وعن هذه المهمة تحدث الشيخ أحمد توفيق المدّني في قوله:" لقد كنت سعيداً عندما انتدبتني رئاسة الدولة لقيام برحلة إلى اسطنبول بلد الذكريات الخالدة، لكي أضطلع بمهمة البحث عن الوثائق التاريخية، التي تنير صفحة العلاقات الوثيقة التي تربط بلدينا خلال ما يزيد عن الثلاثمائة سنة"[3].

والظاهر أن الشيخ أحمد توفيق المدّني كان أوّل جزائري توجه بصفة رسمية ليطرق أبواب مختلفة دور المحفوظات التركية، فقد زار مواقع أرشيفية خاصة جداً، وتمكن من ذلك لعلاقاته الممتازة بالسلطات التركية حيث استثمر سنوات سفارته هناك في تثمين العلاقات بين الشعبين الجزائري والتركي[4]، وقد أكد الشيخ أحمد توفيق المدّني من خلال اطلاعه على الأرشيف العثماني، أن الوثائق الجزائرية الموجودة في تركيا والتي تخدم التاريخ الجزائر نحو خمس آلاف وثيقة على أقل تقدير[5].

وقد تمكن أحمد توفيق المدّني بفضله نقل حوالي ثلاث آلاف وثيقة تاريخية خاصة بالعهد العثماني من اسطنبول بتركيا إلى مراكز الدراسات التاريخية بالجزائر العاصمة، وترجمتها إلى اللغة العربية، ووضعها تحت تصرف المركز الوطني للدراسات التاريخية وقيام بترتيبها وتنظيمها، ومن قوة جديته ونشاطه كان يقول وهو في العهد الثامن من حياته 1976م، أنا أعيش شبابي للمرة الرابعة[6].

ومن مظاهر إعجاب المدّني بالشعب التركي نظمه لقصيدة بعد زيارته لمدينة اسطنبول سنة 1967م عَبَّر من خلاله عن شعوره الفياض لرؤية توافد الناس عن مسجد السلطان أحمد لأداء الصلاة في كل الأوقات رغم

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 225.

[2]/ **نفسه**، ص 225.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 225.

[4]/ **المرجع نفسه**، ص 225.

[5]/ أحمد توفيق المدّني، **أحوار حول كتاب 80 سنة على الجزائر العثمانية**، مجلة الأصالة، العدد 20، الجزائر، ماي، جوان، 1974م، ص، ص 237 238.

[6]/ بوصفصاف عبدالكريم ، **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، المرجع السابق، ص 539.

أن الدولة علمانية ومما قاله[1]:

إن كان للدين قوم ينهضون به فالقوم في عصرنا هذا هم الترك
رأيتهم في بيوت الله خاشعة أبصارهم حيث لا رجس ولا شرك
ويقرؤون كتاب الله دامعة عيونهم يتجلى فيهموا النسك
يجاهدون جهاد الأكرمين وقد لانت لهم غاياته الدين والملك
فإن أتاك حديث دون ذاك فدع ولا تخوضن فيه إنه إفك.

بالإضافة إلى ذلك فقد كان الشيخ أحمد توفيق المدّني مثابراً بالمركز الوطني رغم كبر سنه، فكان لا يزال ميالاً إلى التأليف وخصوصاً في التاريخ الوطني فقد طرح خلال الجمعية العامة للباحثين بالمركز للدراسات التاريخية في 06 ديسمبر 1979م، أن تتظافر الجهود لتأليف كتاب ضخم يتناول" الجزائر خلال التاريخ العالمي" بحيث يمتد من أقدم العصور إلى السنة العشرين بعد الاستقلال الموافقة لعام 1982م. وأن تكون طريقة معالجته مختلفة عما صدر من قبل، فلا يجب أن يكون تكراراً للتاريخ[2].

وقد ظل أحمد توفيق المدّني على نشاطه بهذا المركز حتى آخر أيام حياته، فشعاره الدائم كان العمل ثم العمل، وحسب قول آنسة بركات فإنّ الرجل ومن شدة حبه للعلم تمنى أن يموت والقلم بيده[3]. ولقد ترك المدّني مكتبة عامرة بالدراسات التاريخية والأدبية التي نال فيها حق السبق على أقرانه وعبرت عن جهد جبار ومتميز قام به خدمة لوطنه[4].

يعتبر المركز الوطني للدراسات التاريخية في الجزائر ختام لمشوار الشيخ أحمد توفيق المدّني العلمي والفكري[5]، وإلى جانب عمله في المركز الوطني للدراسات التاريخية، أنجز الكثير من الدراسات الخاصة الموافقة لشخصيات توابع في تاريخ الجزائر، وفي النهضة الوطنية الجزائرية، في القرن الماضي، هذه الأعمال كانت موضوعات محاضرات ألقيت في كثير من ولايات الوطن كالجزائر العاصمة، قسنطينة بسكرة، سطيف، برج بوعريريج، تلمسان، المدية، مشرية ومعسكر وغيرها من الولايات الوطنية، أو خارج الوطن كما في القاهرة في مجمع اللغة العربية[6].

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 226.

[2]/ **المرجع نفسه**، ص، ص، 226، 227.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص226.

[4]/ شترة خير الدين، **معجم أعلام الجزائر خرجي الجامع الأعظم بتونس**، المرجع السابق، ص 535.

[5]/ بوغابة يوسف، **المرجع السابق**، ص 34.

[6]/ المدّني أحمد توفيق، **حياة كفاح، 02**، المصدر السابق، ص 18.

لقد جمعت مقالاته في كتاب بعنوان "أبطال ورجال" وسينشر هذا الكتاب لأول مرة في هذه السلسة الجديدة مع مجموعة كتبه التي لم تنشر من قبل، أما محاضراته التي ألقاها فكانت حول ابن باديس والبشير الإبراهيمي ومبارك الميلي وأبو اليقظان، والصحابي الجليل عقبة بن نافع، وعبد المؤمن بن علي وباي قسنطينة صالح زميرلي، عبد الرحمان الثعالبي، "**شكيب أرسلان**"(*)، وابن خلدون وقد كانت له مدخلات بخصوص هذا العلامة الأخيرة في مجمع القاهرة وعلى صفحات لبعض الجرائد[1].

(*) شكيب أرسلان: ولد في 1869م ناشر ورجل أدب من أصل لبنان بدأت رحلاته الاكتسابية في سنة 1879م حينما ذهب إلى مصر، وفي 1921م أصبح رئيس للوفد الدائم بجينيف للجنة السورية الفلسطينية، وسير جريدة الوطن العربي، كان له تأثير كبير على القادة الوطنين في شمال إفريقيا، لاسيما مصالي الحاج... للمزيد ينظر: الأمير شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، مراجعة: الشيخ حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، (ب، س، ن)، ص، ص، 13 _16.

[1]/ المدني احمد توفيق، **حياة كفاح، ج02**، المرجع السابق، ص 18.

المبحث الثاني: موقفه من القضايا الكبرى

لقد شهدت الجزائر في مرحلة الاستقلال العديد من التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأحداث السياسية وقد تفاعل معها الشيخ أحمد توفيق المدّني، وكان يمارس نشاطات مختلفة على مستوى أجهزة الدولة أو خارجها.

1. موقفه من مسألة التعريب:

عندما نالت دول المغرب العربي استقلالها كانت أمامها قضية من أخطر القضايا، وهي قضية التعريب وبدونها ستتعطل عملية التنمية المطلوبة لهذه المنطقة بعد فترة الاستعمار الطويل الذي يسطر عليها[1]. لذلك طرحت الجزائر التعريب بشكل سريع وعاجل ولا يخلو من خطورة، وهذا لثقل التركة التي ورثتها الجزائر عن استعمار استيطاني استغلالي رهيب، لذا وجدت الجزائر نفسها أمام الاختيار الصعب، إذ لم تكن الإطارات الجزائرية كافية لسد النقص الهائل الناجم عن رحيل الأجانب[2].

كما واجهت الجزائر فراغاً خطراً في تعليم اللغة العربية في المدارس الرسمية، وخطورة الأمر أن اللغة القومية لهذا الشعب حوربت بتعسف في فترة الاستعمار، ولقد قدمت الجزائر مثالاً: على إدخال اللغة العربية في التعليم كلغة قومية، ولكن دون أن تعطيها أهمية في الامتحانات وهذا الموقف المتردي الذي ليس له ما يبرره، أدى إلى تذبذب شخصية الطفل بين اللغتين الفرنسية والعربية[3].

إن ضعف اللغة العربية إلى جانب السبب الرئيسي، وهو الاستعمار ومحاربته لها، يرجع إلى عدم وجود المعلم المتمكن من اللغة العربية، وإلى النقص في عدد هؤلاء المعلمين، عدا مشكلة الازدواجية اللغوية العربية والفرنسية، فهذه الازدواجية التي كان يعيشها أطفال الجزائر في المدرسة لا تخدم قضية التعريب ولا قضية الاستغلال الوطني والتنمية، وهذا الأسلوب سيؤدي إلى تكوين أنصاف مثقفين وأنصاف فنيين إضافة إلى تردد الجيل بين ثقافيين، وما من حل غير الاعتماد على اللغة القومية في تربية النشء والقضاء على اللغة الفرنسية[4].

بحيث عملت الجزائر في هذا الإطار على تجنيد كل المثقفين باللغة الفرنسية لتسيير الإدارة، وجندت المثقفين بالعربية لتسيير التعليم، إلا أن هذا الحل كان بداية لمرحلة صراع حضاري بدأ بنمو بين الثقافة القومية والثقافة

---

[1]/ عبد المالك خلف التميمي، **المرجع السابق**، ص 214.

[2]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 228.

[3]/ عبد الملك خلف التميمي، **المرجع السابق**، ص 214.

[4]/ **نفسه**، ص 214.

الأجنبية[1]، وقد أدى هذا إلى اختلاف الآراء في قضية التعريب و إلى بروز الصراع بين العربية والفرنسية بوضوح عند ما ظهرت قضية التعريب سنة 1962م، برزت معها الصعوبات والعراقيل، حيث ظهر ثلاث اتجاهات متناقضة كل التناقض[2]، وهي:

الاتجاه المعادي للتعريب والمتمسك بالفرنسية[3]، ثم الاتجاه الثاني وهو الاتجاه الذي يدعو إلى التعريب بدون تردد وهو مؤمن بضرورته ويدرك أهمية استعادة الشخصية القومية للجزائر[4]، أما الاتجاه الأخير فهو الاتجاه الوسط الإزدواجي الذي يدعو إلى التعايش بين اللغتين وعدم التسرع في التعريب أي أنه يتظاهر بتأييد حركة التعريب، ولكنه يعمل في الخلف على عرقلته، وذلك بتحقيق تعريب سطحي لا يغير من الواقع شيئاً، ولا يمس جوهر القضية الحقيقي إذ في أذهان ممثليه العربية عاجزة أن تكون لغة مخبر وتطور[5].

وإن أخطر هذه الاتجاهات هو الاتجاه الإزدواجي، ويبدوا أن هذا الاتجاه يريد أن تقتسم العربية والفرنسية مواد المنهاج بالتساوي، ولكن في الحقيقة للاستمرار في سيادة اللغة الفرنسية وقصر اللغة العربية على المواد الاجتماعية والأدبية، ويبدوا أن هناك أساسين لدعوى الازدواج اللغوي، الأول يدعوا للاهتمام باللغتين العربية والفرنسية معا حتى تتمكن اللغة العربية وتنتشر كمرحلة أول مراعاة الظروف البلاد الموضوعية، وهذا التبرير ربما جاء عن حسن نية وبعد دراسة ودراية بالأوضاع الثقافية والتعليمية[6].

وبعد فهم عميق لظروف البلاد في الفترة الاستعمارية الطويلة، يبدوا أن هناك من يشكك في هذه الدعوى ويتهم هؤلاء بأنهم من أنصار اللغة الأجنبية، وأنهم عن طريق الإزدواج في تعلم اللغتين يهدفون إلى عرقلة عملية التعريب وتمنيها، حيث أنهم غير قادرين على المواجهة الصريحة الرافضة للتعريب[7]. إن وجود هذه الاتجاهات جعل حركة التعريب تتعرض لهزات كبيرة وتتأخر أكثر من اللازم[8]، والواقع أن الشيخ أحمد توفيق المدني كان من أبرز أنصار تيار العروبة والإسلام، فقد دافع بقوة عن المبدأ، وتصدى لمعارضيه، وفي هذا الصدد يقول المدني: " إننا نسير في طريق التعريب رغم أنف أعداء ثورتنا الانتهازيين في الداخل والخارج لا تسير إلا إلى

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 228.

[2]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 228.

[3]/ عبد الملك خلف التميمي، **المرجع السابق**، ص 215.

[4]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 228.

[5]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 288.

[6]/ عبد الملك خلف التميمي، **المرجع السابق**، ص 215.

[7]/ **نفسه**، ص 215.

[8]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس، والجزائر**، المرجع السابق، ص 229.

الأمام[1].

وتعتبر وزارة الأوقاف التي يترأسها المدّني أول من بدأ طريق التعريب في الجزائر، وذلك من خلال إنشاؤه المعاهد الإسلامية التي تكلفت بنشر التعليم الإسلامي العربي، وإعداد إطارات مكونة باللسان العربي في مواجهة التيار التغريبي[2]. كما ذهب كل من أحمد توفيق المدّني وخليفته على رأس وزارة الأوقاف "تيجاني هدام" إلى القول: " أن الأصالة الثقافية هي التي تمدنا بالقوة الذاتية، وتجعلنا ننطق دون عقدة وبدون استعارة وسائل الانطلاق... وهنا تأخذ رسالة التعريب في بلادنا معناها، وأنّ قدسيتها تتطلب ضرورة تضافر الجهود، من أجل تعزيزها وتحقيقها في أقرب وقت ممكن... وأن الوزارة تعتبر نفسها في طليعة العاملين لتحقيق هذا المبدأ الذي يعطي للشخصية الجزائرية محتواها الحقيقي"[3].

كما أن نظرة أحمد توفيق المدّني للمسألة تتفق كل الإتفاق على ما نصَّ عليه الميثاق الوطني لسنة 1976م الذي جاء فيه أن اللغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري ولا يمكن فصل شخصيتنا عن اللغة العربية التي تعبّر عنها، ولهذا فإن تعميم استعمال اللغة العربية وإتقانها كوسيلة عمل خلاقة، يشكلان إحدى المهام الأساسية للمجتمع الجزائري في مجال التعبير عن كل مظاهر الثقافة، كما أن الخيار بين اللغة الوطنية ولغة الأجنبية أمر غير وارد البتة ولا رجعة في ذلك، ولا يمكن أن يجري النقاش حول التعريب إلا فيما يتعلق بالمحتوى والوسائل والمناهج والمراحل وينبغي أن تصبح اللغة العربية أداة النهوض والإبداع والتطور والرقي، والبحث العلمي والتحول الاجتماعي[4].

ولقد حدد الرئيس هواري بومدين أهداف التعريب وذلك في قوله: "إن التعريب في بلدنا هو جزء من حركة التاريخ التي ترتبط بمراحل التطور التي تعيشها ثورتنا، وليس في إستطاعة أحد أن يوقف حركة التاريخ... إن طموحنا نحن الذين اضطهدت لغتنا في عقر دارها ليس هو فقط أن تسترجع لغتنا القومية مكانها في جامعتنا ومعاهدنا. ولكن تطور اللغة ونشرها ونجعل منها بحق لغة الفكر وعلم وعمل لغة ترقى إلى مستوى متطلبات العصر وتساهم في إثراء الحضارة الإنسانية[5].

وقوله أيضاً: {{ إن لغتنا هي أحد عناصر شخصيتنا لساننا الذي ينبغي أن نعبر به عنها هو من أهم مطالب شعبنا طول العهد الاستعماري وأحد الأهداف الأساسية لثورتنا ونضالنا الطويل، وأود أن أوكد بديهية من

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 229.

[2]/ **نفسه**، 229.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 229.

[4]/ **المرجع نفسه**، ص، ص، 229، 230.

[5]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 230.

البديهيات هي أن التربية مهما كانت راقية إذا لم تكن وطنية فليست بتربية، والتكوين مهما كان عاليا إذا لم يكن بلغة البلاد يبقى ناقصاً أبتر، بل ربما ترتبت عنهما أخطار على توازن الأمة وتكامل شخصيتها وتسبب عنها انحرافات تعوق توجيهها التوجيه الصحيح السليم[1].

والحق أن الشيخ أحمد توفيق المدّني كان متوافقاً مع الخط الرسمي فيما يتعلق بهذه المسألة، التي دافع عنها بقوة في أكثر من موقع إيماناً منه أن اللغة هي أحد أركان السيادة الوطنية[2]. ومن خلال هذه المواقف وخاصة موقف الشيخ أحمد توفيق المدّني ودفاعه عن قضية التعريب أصبح التعريب يمثل الثورة الثقافية بالمعنى الكامل لا ينحصر في تعريب المواد الدراسية، ولا في تلقين اللغة العربية لجيل الاستقلال وترك الحبل على الغارب بالنسبة للإدارة والجمهور فإن بهذا لا يعدو أن يكون لغة الكتاب، ولا يتجاوز رحاب المدرسة والجامعة، بل يجب أن ينطلق من ثورة عميقة جماهيرية تتطلع لبعث شخصيتها ولغتها، كما تطلعت قبل لاستعادة الأرض وثرواتها لأن الثورة لن تصبح قوة ملموسة إلا إذا تجندت لها الجماهير وإلا فإن التعريب يبقى هو قاصراً على طائفة محدودة، حبيس المدرسة والكتاب، وهو بهذا الوضع مدعاة للطبقية والمثال الحي يتجلى في الثورة الثقافية الصينية، فقد انطلقت هذه الثورة من اختيارات شعبية صميمة بقيادة حزبية حكيمة[3].

ونتيجة لتأييد الجماهير لمسألة التعريب خاصة من طرف الشيخ أحمد توفيق المدّني وأعضاء الوزارة الأوقاف احتلت اللغة العربية مكانتها كلغة في المدرسة الجزائرية على اختلاف مستوياتها، ونظراً لقلة الإطار كان التعريب تدريجياً ومرحلياً للتعليم الابتدائي. وعرفت في الستينات جهوداً جبارة للوزارة المختصة لتعريب مواد التاريخ والجغرافية والتربية وعلم النفس والفلسفة في المرحلة الثانوية، وما أن جاءت سنة 1971م حتى برزت المدرسة الجزائرية تحقق شطراً من الثورة الثقافية، وجاء دور الجامعة لتأخذ مسؤوليتها في إتمام مسيرة التعريب وبدأ العمل بتعريب الحقوق، ومن ثم انطلقت الجامعة لتعريب كليات الآداب تعريباً كاملاً وإجبارية اللغة العربية في بقية الكليات العلمية والتقنية، تأسيس كلية معربة للعلوم، ولم تحل سنة 1973م حتى ألغي التعليم الجامعي باللغة الأجنبية، وهذه الخطوة الجريئة خرجت من عزلتها لتندمج في المجتمع وتواكب مسيرة التعريب[4].

2. موقفه من النظام الاشتراكي:

اختارت الجزائر المستقلة النهج الاشتراكي الذي أقره مؤتمر طرابلس في الفترة ما بين 25 ماي إلى 07 جوان

---

[1]/ العمامرة سعد بن البشير، **المرجع السابق**، ص، 101.

[2]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 230.

[3]/ الأطرش أحمد الشريف، **تاريخ الجزائر في خمسة قرون، ج03**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 1357.

[4]/ **المرجع نفسه**، ص 1358.

1962م اختيار الاشتراكية كنظام اقتصادي واجتماعي للجزائر على أساس أنه الحل الأنجع لتحقيق العدالة الاجتماعية والنهوض بالجزائر ومناقض الليبرالية الاستعمارية المتوحشة، التي لم تحمل للشعب الجزائري سوى الاستغلال والحرمان والبؤس[1].

إن الاشتراكية في الجزائر قامت على عدة مبادئ أساسية تتمثل في القضاء على استغلال الإنسان للإنسان[2] وذلك من خلال تحقيق العدالة بين جميع أفراد الشعب، ومعناها توزيع ثروات البلاد بكيفية عادلة على جميع أبناء هذا الوطن فإنه لا يمكن أن يكون في الجزائر فرد لا يجد ما يأكله وشخص آخر يملك أراضي شاسعة وهذا لا يمكن أبدا لأن الاشتراكية بالنسبة إلينا العمل وهي المساواة[3].

ومن مبادئها أيضاً إيجاد تنمية شاملة ومنسجمة قائمة على أساس تخطيط علمي مفهوم، ديمقراطي التصميم حتمي التنفيذ، كما أنّ العمل يجب أن يأخذ مكانته ليس باعتباره حقا فحسب بل لكونه أيضاً واجب وشرف علاوة على أنّ تحرير الفرد وترقيته بصفته مواطنا مسؤولا، هو أحد أهداف الجمهورية التي تصبوا إليها الاشتراكية في الجزائر [4].

وجاء إعلان الميثاق في القاهرة ثم بدأت الجزائر برئاسة أحمد بن بلة في التطبيق الاشتراكي، عوامل تثبت تحول السلطة إلى طبقات كانت محرومة من قبل، وتدل بالتالي على انتقال السلطة من الملاك والتخلص بالتالي من عمليات الاستغلال التي يقوم بها الإقطاع وحتى الطبقة الوسطى[5]. ولقد تبنى بن بلة نظاماً اشتراكياً خاصاً بالجزائر يجمع بين الماركسية والإسلام، وأقام بن بلة أيضاً نظاماً شمولياً بوليسياً، على كل حال في هذه الفترة كانت فكرة الاشتراكية كموضة العصر فابن بلة ومعه بومدين فيما بعد تحدث عن اشتراكية إسلامية، أو كما وصفها فرحات عباس(التوفيق بين الله والشيطان), وتكلم بوضياف وآيت أحمد عن الاشتراكية العلمية، أما فرحات عباس فتكلم عن الاشتراكية الإنسانية[6].

وشرح فرحات عباس الإشتراكية التي سماها الاشتراكية الديمقراطية الإنسانية، معلنا رفضه لقبول الاشتراكية السوفيتية في الجزائر، وهنا نجده قد حاول هو الآخر كذلك إعطاء الاشتراكية مفهوماً إيديولوجيا جديداً مستمداً

---

[1]/ معزة عز الدين، **فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستغلال(1899 _ 1985م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف، عبد الكريم بصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004 _2005، ص 269.

[2]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 230.

[3]/ العمامرة سعد بن البشير، **المرجع السابق**، ص 97.

[4]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 230.

[5]/ يحي جلال، **المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال، ج03**، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1966م، ص 1263.

[6]/ معزة عز الدين، **المرجع السابق**، ص، ص 269، 270.

أسسها من الدين الإسلامي وعادات وتقاليد المجتمع الجزائر قائلا: " إن الجزائر الغنية بما نقلته لها كل مدنيات البحر المتوسط، ستكون غداً أرض التصالح والعمل الخصب بفضل تكاثف جميع الرجال ذوي العزيمة الصادقة وأن جمهوريتنا ستكون متجهة نحو اقتصاد اشتراكي لأن الطرف الجديدة هي وحدها التي تستطيع أن تساعدنا على إيجاد حلول عادلة لمشاكلنا الكثيرة[1].

وبالتالي تنوعت مفاهيم الاشتراكية في الجزائر فلم يعد بإمكان الشعب الجزائري فهم ماذا يقصد هؤلاء الأشخاص ولم يعد بإمكانهم استيعاب المفاهيم المطروحة مقاصد مروجيها[2]. أما الشيخ أحمد توفيق المدّني فلم يكن يرى في الاشتراكية التي انتهجها النظام السياسي في الجزائر بعد الاستقلال اشتراكية "كارل ماركس" Karl Marx"، أي ذلك النظام الإيديولوجي للفلسفة الإلحادية، التي كانت تناقض العقيدة الإيمانية لكافة الديانات تدعو صراحة إلى إزالتها والقضاء عليها، بل يراها اشتراكية إسلامية جزائرية حيث يقول: " فإن كانت الجزائر تقول اليوم أنها دولة اشتراكية دينها الإسلام، ولغتها العربية فإنها لا تأتي بهذه الاشتراكية، لا من موسكو، ولا من بكين، ولا من صوفيا، ولا من كوبا، ولا من أيه بقعة من بقاع الأرض، بل إننا نأتي بهذه الاشتراكية إلا من الواقع الجزائري، ومن رغبة الشعب الجزائري، وبما لا يتعارض مع آيات القرآن الكريم، ولا مع سنة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولا ما جاء في سيرة الصالحين المكرمين، ولا ما في كتب الفقهاء المبجلين"[3].

وعن تشبث أحمد توفيق المدّني بفكرة الاشتراكية فيرجعها إلى سنوات شبابه الأولى في تونس، عندما كان سجين حيث يقول: " وابتداء من ذلك اليوم، وإلى آخر نفس من حياتي، حقدت على المال، ورأس المال، وذيل المال، وسوء استعمال المال، وأخذت أدخل في تفكيري محاربة التفوق الطبقي، إلى أن أتيح لي يوماً أن أقرأ كتاب " رأس المال" لكارل ماركس، وما فهمته والحق يقال جيداً، إنما أفهمني عن رأس المال والإقطاع، وما إلى ذلك القبيل ما لم أكن أعرف ولا أفهم"[4].

ويواصل المدّني في قوله: " وابتدأً من ذلك اليوم عام 1917م أصبحت، ولربما كنت الأول من نوعي في العالم الإسلامي أدين بالماركسية منهجاً اقتصادياً، إنما كنت داخل إطار متين جداً من الإسلام، عقيدة وشريعة....، وهكذا بقيت مسلماً ديناً، وماركسياً مذهباً، ولا أرى أنه لا يمكن التوفيق بين الإسلام والماركسية

---

[1]/ معزة عز الدين، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية – مقارنة –(1899_2000)**، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: عبد الكريم بصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطنية، 2009_ 438،2010.

[2]/ معزة عز الدين، **فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال**، المرجع السابق، ص 270.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس، والجزائر**، المرجع السابق، ص 231.

[4]/ المدّني أحمد توفيق، **حياة كفاح، ج01**، المصدر السابق، 197.

كمذهب اقتصادي يلغي الطبقات ويقوض سلطان رأس المال الطاغي[1].

ولقد دعا أحمد توفيق المدّني صراحة إلى المذهب الاشتراكي وذلك في مجلة الأصالة إذ قال: كونوا_ وأقولها صراحة دون غموض أو التباس، كونوا اشتراكيين صادقين ضمن دائرة الإسلام، والعروبة والوطنية، هذه الاشتراكية الصالحة غير المستوردة، النابعة من صميم واقعنا، وفي حاجة شعبنا، هذه الاشتراكية التي جعلت كل مصادر الثروة في بلادنا ملكاً خاصاً للشعب العامل المكافح، هذه الاشتراكية التي تعيد لذلك الفلاح المنبوذ تحت حكم الاستعمار وشرفه وعزته ومكانته الاجتماعية[2].

وبالنسبة لأحمد توفيق المدّني فإن الاشتراكية المقصودة هي التي تحترم دائماً الملكية الخاصة، وتكون ثمرة عرق الجبين، وتكتسب بطريقة شريفة[3]، والظاهر أن فلسفة المدّني الاشتراكية تتقاطع مع مفهوم فرحات عباس والذي يرى أن: " مفهوم فلسفة الاشتراكية الديمقراطية الإنسانية بأنها هي التي تنبع من أعماق الشعب الجزائري يوجهها الدين الإسلامي وتمنح فيها حرية حق الملكية، وحق الميراث، وحق المساعدة الاجتماعية... وهي لا تتناقض مع أخلاقيات الإسلام، ولا تعتدي على أخلاقيات وتقاليد شعبنا وبذلك نستطيع إدخال وطننا في ثورة من أجل تحقيق الأهداف[4] التالية:

- التصنيع وإقامة اقتصاد موجه ومخطط .
- تأميم الوسائل الكبرى للإنتاج، وتوابعها وتطوير التعاونيات الإنتاجية، والاستهلاكية
- تحديد الثروات، ومراقبة رؤوس الأموال الوطنية الخاصة من أجل الضريبة المخصصة لها من أجل المشاركة في تنمية القطاع الاشتراكي.
- الدفاع عن الحالة الاجتماعية بواسطة المنح العائلية، الضمان الاجتماعي، الأجر الأدنى...[5].

وإذ كانت التجربة الاشتراكية قد أدت إلى ظهور الفوضى والشعب الجزائري لم يعد قادراً على التفاعل والتجارب مع متطلبات تلك الفترة، وهذا نظراً لأسباب كثيرة منها تسرب العناصر الانتهازية إلى بعض مناصب الحكم، وإبعاد العديد من الإطارات القادرة على دفع قوى للجزائر وإبعاد العديد من الإطارات ذات الكفاءة، وعدم قدرتها على تحقيق التطور الاقتصادي الاجتماعي المنشود، بالإضافة إلى الصراع الذي حدث بين القادة[6] فإنها

---

[1]/ المدني احمد توفيق، **حياة كفاح،ج01**، المصدر نفسه، ص 197.

[2]/ المدني أحمد توفيق، **كلمة الافتتاح في الملتقى السابع للفكر الإسلامي**، مجلة الأصالة، العدد 16، الجزائر، سبتمبر _أكتوبر، 1973م، ص 170.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 232.

[4]/ معزة عز الذين، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة**، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، المرجع السابق، ص 435.

[5]/ معزة عز الدين، **فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال**، المرجع السابق، ص 270.

[6]/ الزبيري محمد العربي، **المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة**، منتدى سور الأزبكية، الجزائر، 1989م، ص 103.

في المقابل قد أوجدت فرصاً متساوية للجميع، وحملت العديد من الخدمات للفلاحين والبسطاء، والفئات المحرومة، فهي من جانبها النظري فكرة رائدة، ولكن يتوقف نجاحها على حسن النوايا، ومدى ارتفاع درجة الوعي، وهو المبدأ الذي راهن عليه الشيخ أحمد توفيق المدّني[1].

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص232.

المبحث الثالث: مذكرات حياة كفاح وردود الفعل

تعد كتابة المذكرات عملاً جديداً في الحياة الفكرية والسياسية بالجزائر، وإن الرجوع بالإنسان إلى الوراء ومراجعة أعماله، وعلاقاته بنفسه، ورواية أخباره في صورة ذاتية تعتمد القص والتدخل الشخصي، كان ذلك عملاً جديداً، وهو ظاهرة ثقافية حضارية أيضاً تعتمد تقليد الكُتاب الغربيين الذين برعوا في هذا الميدان[1].

ولقد كتب الدكتور بشير التليلي عن تجربة المدّني في مذكراته حيث قال:" كنا نأمل منذ عدة سنيين أن الرواد والمنشطين والمسؤولين والمناضلين من الحركات المختلفة والمنظمات الاجتماعية والسياسية في المغرب المعاصر يمدونَنا بمذكراتهم ورواياتهم وذكرياتهم. كنا نتمنى- حقه وبحرارة- أن التقاليد المحمودة في حقل المذكرات والذكريات تشق أيضا طريقها في المغرب المعاصر ولا تدع المؤرخ المتعطش للأخبار والتفاصيل والمعطيات الواقعة، والتعليلات المعمقة والإيضاحات وعناصر الأوضاع، وتحديدات المواقف، والمشاعر والمطامح والتفسيرات والمبررات، أو التأويلات الرسمية أو الموجهة[2].

كما تحدث أيضا بشير التليلي على أهمية كتابته المذكرات وذلك في قوله: "إن فائدة وإسهام وأهمية مذكرات وذكريات الشخصيات السياسية المغربية بالنسبة إلى دراسة وثائق تاريخية تهم جوانب معينة من التاريخ، ولو اتسمت بالحماس والهوى والتحزب والتوجيه والذاتية النابضة بالحياة، ولو شحنت بالتفاصيل والمشاعر، فإنها تمد بتدقيق المؤرخ بأضواء أخرى وتأويلات أخرى، وكشوف أخرى، ومعطيات ووثائق مبتكرة أخرى لم تنشر من قبل وعناصر جواب أخرى، واعترافات وأبعاد أخرى غير التي تنقلها نصوص الأرشيفات"[3].

ومن الملاحظ في هذه السنين الأخيرة أن هناك العديد من الشخصيات المغاربية صارت تؤلف وتنشر ذكرياتها ومذكراتها_ الحين بعد الحين_ وتسهم بذلك من دون ما ريب في إثراء جوانب من التاريخ المعاصر ومثال على تلك المذكرات نجد مذكرات "حياة كفاح" للشيخ أحمد توفيق[4]، حيث أصدر المدّني مذكراته في آواخر حياته، أي في نهاية السبعينات من القرن العشرين، حيث تعتبر من المؤلفات الهامة والتي كان عنوانها حياة كفاح، وهذا المصطلح زيادة على رمزيته النضالية، فقد استعمله الرجل قبل الثورة التحريرية بمدة زمنية أثناء تحريره الركن" منبر السياسة العالمية بالبصائر"[5]، ومن خلالها قدم المؤلف الشيخ أحمد توفيق المدّني تعريفاً بقصة حياته وتجاربه، باعتباره شاهد عصره، حيث كتبها بأفكار واضحة وبأسلوب شيق، وعبارات منسجمة

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 233.

[2]/ التليلي بشير، **حول مذكرات كفاح، تعريب محمد يلقراد**، مجلة الأصالة، العدد54_55، فيفيري_ مارس، 1978م، ص 103.

[3]/ **المرجع نفسه**، ص 104.

[4]/ **المرجع نفسه**، ص، ص 104، 105.

[5]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 234.

أعطى خلالها نظرة عن الحقائق والأحداث التي عصرها. ومن خلال هذه المذكرات استطاع أن يجمع وثائق هامة تفيد الباحثين في التاريخ[1]. ولقد صدرت مذكرات حياة كفاح للشيخ المدّني في "**أربعة أجزاء**"[*] بتواريخ مختلفة، وهي: 1976م، 1977م 1982م[2].

يقول الدكتور عمر بن قتيبة عن الموضوع: {{ وكتابه هذا {حياة كفاح} زبدة المسيرة النظالية على مستوى الجسد والفكر سياسياً متنقلاً عبر أقطار المعمورة خصوصاً في البلدان العربية والإسلامية ومفكراً ومؤلفاً وكاتباً تورقه قضايا أمته الإسلامية الكبرى، كما يبتهج لانتصاراتها متطلعا في كل ذلك يومئذ إلى خلاص وطنه من الاحتلال الفرنسي أولاً، ونجاته من مخالب (الضباع) والوحوش الكاسرة وهي تنقض عليه بعد الاستقلال فريسة أنهكتها مسيرة الصراع، ليتفرغ لنهجها كل أولئك الذين كانوا في راحة ينعمون في الصالونات المخملية، أو في المنتزهات العالمية، والمنتجعات الخاصة، فتشبث بهم الصعاليك أنفسهم من أجل المشاركة في القيمة ونهش الضحية[3].

وفي هذه المذكرات حياة كفاح بصفحاتها التي تجاوزت الألف وثلاث مئة، بل هي بالضبط 1386 صفحة الموزعة على ثلاثة أجزاء يعطي صورة حية عن نضال رجل وعناده، وصمود أمة وغلبتها على مختلف الأعداء الخارجيين، حتى خذلها الخونة من الداخل، وفت في ساعدها المرتزقة والانتهازيين وأشياعهم من (الطلقاء) الجدد بعد النصر المبين في 1962م، الذي صدر من أمة منكوبة بأشباه رجال[4].

وقد أدركت الشيخ أحمد توفيق المدّني الوفاة دون إتمام الجزء الرابع المتعلق بمرحلة الاستقلال وهي فترة دقيقة خضعت فيها الجزائر لكثير من المسخ والاستغلال والتأمر المحبوك بإرادة استعمارية.

وبقدر ما في هذه المذكرات من الحقائق وانتصارات وانكسارات ففيها الكثير من نفس أحمد توفيق المدّني السياسي والمفكر والكاتب والأديب[5].

---

[1]/خلفي عبد القادر: **نفسه**، 234.

(*) أربعة أجزاء: نشر أحمد توفيق المدّني مذكراته في ثلاث أجزاء، وأشار إلى نيته في إصدار الجزء الرابع الذي خصصه لمرحلة الاستقلال، إلا أنّ هذا الجزء غير موجود وإذا كان أبو قاسم سعد الله قد أشار في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، ج07، ص 457 إلى أن الجزء الرابع قد صدر ولكن الرقابة رفضت نشره إلاّ أنّ محمد إسلام ابن محمد توفيق المدّني أكد لعبد القادر خليفي أنه لا وجود للجزء الرابع، وكل ما في الأمر أنّ والدهُ أخذ في جمع المادة الوثائقية لكنه انشغل بتحضير الردود على حملة الانتقادات وخاصة ما ورد في كتاب التحريف والتزييف فجهر كتابه رد أديب على حملة الأكاذيب، ينظر: خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 234.

[2]/ سعد الله أبو قاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج07**، المرجع السابق، ص 421.

[3]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 77.

[4]/ قتيبة بن عمر، **الموقع السابق**، ص 01.

[5]/ **نفسه**، ص01.

عالج الجزء الأول من مذكرات حياة كفاح الذي أصدر سنة 1973 عالج الفترة الممتدة ما بين 1905_ 1925م وهذا الجزء يشمل نشاطه الثقافي السياسي في تونس[1].

وحسب بشير التليلي فإن مذكرات المدّني لن تسهم فقط في الإجابة عن عدة علامات استفهام، بل شاركت أيضاً في سد فجوات في تاريخ تونس المتعلق بما بعد الحرب العالمية الأولى[2]. ومن المعروف أن المدّني عاش فترة شاهدت تطور تونس المعاصرة في سنوات ما بين 1905_1925م، بصفته من مؤسسي ومسؤولي الحزب الحر الدستوري التونسي، وبما أنه شارك بعمق في جميع أحداث المجتمع الجليلة وفي الإيديولوجيات الاجتماعية والسياسية حتى يوم طرده من البلاد سنة 1925م، إن القسم الأول من مذكرات أحمد توفيق المدّني يلقى أضواء على كوكبة من التساؤلات التونسية حول نقط خاصة في نشاطات الدستوريين والإصلاحيين وحول شخصيات العصر ويمدنا بوثائق استثنائية لم تنشر في الماضي، ولها ارتباط بالأهل الذي نبت منه تأسيس الدستور وبلجنة تأييد خلافة اسطنبول وبالوفود وبالخلافات بين الدستوريين والإصلاحيين وبذهاب الشيخ الثعالبي إلى الشرق وبوضع الناصر باي وبحملة الدستور ضد سياسة التجنس، وفي الملاحق تقريران خاصان بنشاطات المؤلف وجههما المقيم العام لفرنسا بتونس إلى وزارة الخارجية (12 _12 _1925/ 9_6_1925)[3].

ومن جهة أخرى تصحح لنا المذكرات المظاهر الرئيسية من الحياة الاجتماعية والأدبية والفنية في تونس في فترة ما بعد الحرب الكبرى، وكذا قبيلها فهي سخية بالمعلومات بالنسبة إلى المؤرخ، فهي تطلعنا على عدة مسائل إسلامية متوسطية، وعلى تأثيرها العميق على البلاد التونسية[4]:

الحرب الايطالية التركية في طرابلس الغرب، النشاطات الصهيونية في البلاد، المؤتمر العربي الأول في باريس، الدستور العثماني لسنة 1908م، العلاقات بين الإصلاحيين الجزائريين والتونسيين، ومسائل أخرى ويمدنا هذا القسم بشهادة حول حوادث الزلاج، وحول سياسة تجنس اليهود التونسيين وحول الوضع في الجنوب التونسي أثناء الحرب الكبرى وحول نشاطات الإصلاحيين السياسية[5].

إن القسم الأول من المذكرات هو بلا نزاع إسهام جد نفيس وفيه عبرة للمعتبر ويسهم في إعادة النظر في معلوماتنا التاريخية وفي تصحيحها على أقل تقدير.

وذلك فيما يخص ثلاث مسائل أسياسية في تاريخ تونس المعاصرة:

---

[1]/ فضلاء محمد الحسن، **المصدر السابق**، ص 99.

[2]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص، ص234، 235.

[3]/ التليلي بشير، **المرجع السابق**، ص 105.

[4]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 235.

[5]/ التليلي بشير، **المرجع السابق**، ص 105.

أولاً: ملف الصلاة بين القومية والنقابية في تونس في ما بعد الحرب الكبرى (1919_1925)، إن وثائق المذكرات تبين بحق وهن وأوهام طائفة من التفسيرات الحديثة العهد حول موقف الدستور من جامعة عموم العمال التونسيين، وتقيم الدليل أيضاً على خطر استخدام وثائق الأرشيفات الرسمية بدون بحث تاريخي (تقارير قنصلية وتقارير صحفية ومذكرات بوليسية)، وعلى كل حال هي تحمل البرهان على تعقد أحداث العصر وعلى مخاطر التعميم وتبسيط التخطيط، ثم ملف العلاقات بين الدستور وبين حزب الإصلاح التونسي لأعوام (1921_ 1925م)، وأخيراً ملف شروط تكوين وتطوير الحزب الدستوري التونسي (1919_1925م)[1].

كما يكشف أحمد توفيق المدّني في جزئه الأول عن الدواعي الحقيقية التي حدت بالشيخ الثعالبي إلى الذهاب إلى الشرق الذي لم يعد منه إلاّ في سنة 1937م، مع أن حضوره في تونس كان مستحباً مرغوبا فيه وغيرها من الأمور التي أطلقها المدّني في هذا الجزء[2].

أما الجزء الثاني من مذكرات حياة كفاح عالج الفترة الممتدة بين (1925_1954م)[3]، والذي يغطي مرحلة العهد الوطني، والنضال القومي بروحه الدينية كما جسده الفكر الإصلاحي[4].

وقد أعلن أحمد توفيق المدّني عن إصداره هذا الكتاب في محاضرة ألقاها في المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة حيث قال: "هذه فرصة لكي أقدم لحضرتكم الجزء الثاني من مذكراتي التي أطلقت عليها اسم حياة كفاح وكانت مصداقاً لقول شاعر:

هي مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان

فإنني اهتبل هذه الفرصة بجذل عظيم، لا لكي أقدم لكم روح الكتاب, وهو أمامكم, وفي متناول أيديكم, بل لكي أقدم لكم روح الكتاب وفكرة الكتاب، والارتسامات التي تمخضت عنها الذاكرة فأملت هذا الكتاب، وقد سبق لي أن قلت في مقدمة الجزء الأول منه، أن القلب يملى والقلم يسجل، ولا أكاد أتدخل بينهما، إذن فهذا الكتاب هو فيض الروح، وهو صورة الوجدان، كما هو مرآة الحوادث الصادقة، تسجل لك ما أمامها دون زيادة أو نقصان[5].

وقد عرض المدّني فيها صورة للواقع الجزائري اجتماعيا وألقى أضواء على نشأة الحركة الإصلاحية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين والصراعات المختلفة بينها وبين خصومها من طرقيين ومستعمرين، كما تتبع تطور

---

[1]/ **المرجع السابق**، ص 106.

[2]/ **نفسه**، ص 106.

[3]/ بوطيبي محمد، **المرجع السابق**، ص 152.

[4]/ عمر بن قتيبة، **الموقع السابق**، ص 01.

[5]/ أحمد توفيق المدّني، "**حياة كفاح**"، مجلة الأصالة، العدد (54_55)، الجزائر، فيفري، مارس، 1978م، ص 90.

الحركة الوطنية، مبرزاً بعمق أهم المبادرات التي طرحها الشعب الجزائري في كفاحه ضد الهيمنة الاستعمارية هذا علاوة على رسمه صورة لمختلف الشخصيات التي تفاعل معها، ودوّن مشاهداته خلال رحلاته الداخلية عبر مناطق الجزائر الشاسعة[1].

وقد أورد أحمد توفيق المدّني في هذا الجزء أيضاً أنه هو الراعي في سنة 1931م إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والساعي إلى تنفيذ فكرتها, وأنه هو الذي اقترح إشراك الطرقيين فيها، وهو استدعى علماء القطر بمن فيهم ابن بأديس والإبراهيمي وهو الذي رشح ابن باديس لرئاستها، وهو واضع قانونها الأساسي[2].

أما القسم الثالث وهو يشمل على الثورة التحريرية من سنة 1954م إلى سنة 1962م[3].

ويعطي هذا الجزء مرحلة هامة من تاريخنا الوطني والذي أبرز فيه مختلف الأنشطة السياسية والإعلامية التي شارك فيها أثناء تأدية مهامه الثورية، مسجلا تفاصيل دقيقة عن خلفيات بعض الصراعات ومبرزاً حقائق دقيقة عن وجه جبهة التحرير الوطني[4]، أما القسم الرابع، فقد عالج فيه المدّني مواضيع بعد الثورة المسلحة، من سنة 1962م إلى اليوم[5]، وهذا الجزء لم يطبع، وقيل إن فصوله كلها جاهزة وينوي الأستاذ شهاب الدين يلس زميله في مركز الدارسات التاريخية طبعه ونشره[6].

أما بخصوص المنهج الذي اتبعه في تدوين هذه المذكرات وإلى الغاية من تأليفها حيث كتب في مقدمة الجزء الأول يقول: {{ لست خلال كتابتي هذه مفتشاً عن جملة ناصعة، أو عبارة براقة، أو تعبير أدبي ثري، بل إنما هي الفكرة أطلقها سليقياً، الذاكرة تمليها، والقلم يرسمها، ولا أكاد أتدخل بينهما إلا نادراً ثم أني من خلال هذه الصورة الواضحة أتكلم بحرية تامة، دون تحيز أو تعصب عن كل ما مرّ من حوادث وعن كل من عرفت من الرجال، وعن جميع ما لاحظته عن الدول والنظم ومختلف الأقوام}}[7].

وقد كان المدّني يسعى دائما من خلال مذكراته إلى إبرازه لذاته في مجريات الأحداث، وقد أشار المدّني إلى ذلك في قوله:{{ فإن كنت خلال هذا الجزء من كتابي، أو خلال ما سبقه، وما سيتعبه بحول الله استعمل عبارات قلت، فعلت، رأيت، سمعت، فتلك هي العبارات التي يستعملها الشاهد وهو يدلي بشهادته، ويقول: ما شهدنا إلا

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 235.

[2]/ أبو عمران الشيخ وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، المرجع السابق، ص، ص 426، 427.

[3]/ بن مبارك نجيب، **المرجع السابق**، ص 78.

[4]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 236.

[5]/ أحمد توفيق المدّني، **حياة كفاح، ج01**، المصدر السابق، ص 28.

[6]/ فضلاء محمد الحسن، **المصدر السابق**، ص100

[7]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 236.

بما علمنا}}[1].

وقد أثارت هذه المذكرات ردود أفعال كثيرة لما ورد فيها من حقائق ومواقف إعترض على صحتها الكثير من المثقفين والمهتمين بالشأن الإصلاحي في الجزائر[2].

كما اختلفت التعاليق ما بين الإشادة والانتقاد لطريقة تقديم المؤلف لشخصيته، وعرض دوره، وكيفية تصويره لوقوع الأحداث، وتشكل الرؤى والمواقف[3]، ومن تلك المواقف والتعليقات على الجزء الأول من المذكرات نجد ما كتبه الدكتور بشير التليلي: " الذي رأى أن القسم الأول منها، هو نزاع إسهام نفيس جداً وفيه عبرة للمعتبر ويسهم على كل حال في إعادة النظر في معلوماتنا التاريخية وفي تصحيحها على أقل تقدير، وبالنسبة إليه فإن مطالعة ما قدّمه المدّني ممتعة جداً في القراءتين الأولى والثانية. وهي مشوقة ومثيرة للاهتمام في المعنى النبيل اللفظ، معتبرًا أن البحث المعروض يعد مرجعاً أساسياً للتاريخ الإسلامي المتوسطي المعاصر[4]. ويذهب الدكتور "**عبد الكريم بوصفصاف**"[*] إلى القول:" إن المدّني ومن خلال مذكراته حياة كفاح عمد إلى فتح حوار واسع بين تاريخ الجزائر وتاريخ تونس في ظل الاحتلال الفرنسي، مع ابراز كل الامتدادات المشتركة بين البلدين.

ومن هنا يمكن القول أن المؤرخ أحمد توفيق المدّني ما يزال حتى الآن يتصدر المرتبة الأولى في الانفتاح على تاريخ الأخريين، بمده جسراً وطيداً بين نضال الشعبين الجزائري والتونسي إبان الحركة الوطنية المغاربية طوال النصف الأول من القرن العشرين[5].

أما الجزء الثاني فقد أثار جدلاً حاداً على الساحة الثقافية الجزائرية[6]، وقد أسال الحبر الكثير، فهذا القسم الذي يمتد من منتصف العشرينات إلى منتصف الخمسينات، يتناول مرحلة حاسمة على كافة المستويات في مسيرة المقاومة الوطنية والتي قادت إلى تفجير الثورة[7].

---

[1]/ أحمد توفيق المدّني، **حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج03**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، **ص13**

[2]/ شترة خير الدين، **معجم أعلام الجزائر خرجي جامع الأعظم بتونس، ج03**، المرجع السابق، ص 536.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 236.

[4]/ التليلي بشير، **المرجع السابق**، ص 106.

(*) بوصفصاف عبد الكريم،ولد سنة 1914م بقرية العبيات, ولقد تعرض للحادث في سنة 1958م ففقد عينه وأجريت له سنة 1961م عمليتين متتاليتين لكن لما تنجحا، وفي سنة 1970م، شارك في مسابقة الدخول إلى الجامعة فكان النجاح حليفه، وفي سنة 1986م شارك في الدكتوراه بتونس وتحصل على شهادة دكتوراه في عام 1997م ومن أعماله التاريخية: جمعية العلماء المسلمين ودورها في تصوير الحركة الوطنية، جهاد المرأة الجزائر، للمزيد ينظر: بصفصاف عبد الكريم، **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ج01**، دار مداد يونيفارستي براس،الجزائر 2015م، ص، ص 496 _498.

[5]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 237.

[6]/ بلقاسمي بوعلام، **موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م، ص 136.

[7]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 237.

والمعروف أن المدّني قد نشر هذا الجزء سنة 1977م، حيث قام بعرضه ما تضمنه في يوم 07 ديسمبر من السنة نفسها بالمركز الوطني للدراسات التاريخية وهو ما أثار ردود أفعال مختلفة، وقد كتبت عن ذلك جريدة الشعب في عددها ليوم 24 جانفي 1978م، بإمضاء "الأسعد" ومما جاء في المقال: {{ يبدو أن الجزء الثاني من مذكرات توفيق المدّني أثار نقاشاً وجدالاً واسعاً وسط الذين عاشوا أحداث النصف الأول من هذا القرن ولا زالوا أحياءاً يرزقون، ومن الطبيعي أن يثير كل كتاب مناقشات، باعتباره يتضمن رؤية شخصية لحدث معين ليس من الضروري أن يتفق الجميع في تحليله بنفس الطريقة، ولكن أهمية كتاب توفيق المدّني تأتي من كونه يسلط الأضواء على جزء من تاريخنا القريب، ظل لحد الآن مجهولا في أدق تفاصيله، وأصبح مهدداً بالتلف... ولذلك فإن المناقشة التي تثيرها مثل هذه المذكرات، تعتبر في حد ذاتها إسهاماً في مجهود اعادة كتابة تاريخينا[1]. ولكن الخصومة اشتدت بعد ذلك وتشعبت، وفتحت لها الصحف الوطنية أعمدتها جريدة النصر بقسنطينة، جريدة الشعب بالعاصمة، جريدة الجمهورية في وهران، حيث نشرت تباعاً مقالات في الرد عى الشيخ أحمد توفيق المدّني بأقلام الأساتذة "**حمزة بوكوشة**"[(*)]، محمد الطاهر فضلاء، ومحمد الصالح رمضان[2].

وكان من تلك الردود ما كتبه "محمد الصالح رمضان"، أحد تلامذة الجمعية، وأحد المعاصرين للأحداث في عدة حلقات بجريدتي "الشعب" و"الجمهورية"، تحت عنوان "من غربل الناس نخلوه، نظرة عامة على كتاب حياة الكفاح لأستاذ" توفيق المدّني" ومما جاء في أحد مقالاته: " لو كانت مذكراته شخصية لا تتناول رجالنا وقضايانا القومية والوطنية كمذكرات " مالك بن نبي" مثلاً لما انتقدناها، ولما حلفنا بها إلا بمقدار معين ولكنها كما تتناول حياة صاحبها، تتناول حياتنا كذلك وبروح غريبة، فهي بقدر ما ترفع الأول تضع الثانية وبقدر ما تستهين بهذه أو تهينها، تشيد بتلك وتتباهى بها"[3].

ولعل من المآخذ التي وُجهت إلى المدّني إلى جانب التنويه والتقدير هي ذاتيته في الطرح وتصدره للوقائع وصناعة الحدث التاريخي، وهذا الأمر قد تجاوز الزمن في نظر الدكتور عبد الرزاق قسوم، الذي يعتقد " أن التاريخ ليس صناعة فردية بل هو إنتاج جماعي تشكل فيه الذات البشرية حلقة ضمن سلسلة متكاملة[4]، وحسب رأي الدكتور " التليلي بشير" فإنه مما قد يعاب على الشيخ المدّني هو ذكره باستمرار نشاطاته أثناء مذكراته

---

[1]/ **نفسه**، ص 237.

(*) حمزة بوكوشة: ولد سنة 1907م، شارك في تأسيس جمعية العلماء أصدر سنة 1937م جريدة الغرب في وهران، وفي سنة 1946م عُين نائب كاتب جمعية العلماء، انضم إلي وزارة الأوقاف، توفى سنة 1994م، للمزيد ينظر: فضلاء محمد الحسن، **من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج02**، (ب، د، ن)، (ب ب، ن)، 2000، ص ، ص 62_64.

[2]/ أحمد توفيق المدّني، **رد أديب على حملة الأكاذيب**، مخطوط، ص 45.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 238.

[4]/ **نفسه**، ص 238.

معتقداً أن ذلك يعد متطلباً من متطلبات فن المذكرات، يبرره في الغالب الدور الذي يقوم به المناضل المسؤول عن حركة في طور تكوينها، وعلاوة على ذلك لا يستطيع المؤرخ أن يناهض التقديرات، وشهادات مناضلي العصر، بل هو بخلاف ذلك يسعى إلى المطالبة بها والبحث عنها[1].

أما بخصوص رأي الدكتور عمر بن قينة أنّ صفة النرجسية مثل سمة المبالغة تعدان من خصائص التعبير لد الشيخ المدّني في كتاباته، حتى في حديثه لأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وهي أمور تتعلق بالمكونات النفسية للشخصية، تلك النزعة وغيرها من العيوب البشرية التي قد تكون في كل امرئ، وهي مما ألب عليه بعض معاصريه خاصة ممن كانوا في جمعية العلماء[2].

وإن هذه الآراء لا يشاطرها الدكتور "محمد الهادي الحسيني" الذي يعتقد أن سمة المبالغة التي وُصف بها الشيخ أحمد توفيق المدّني له من لدن البعض، هي أمر طبيعي جداً، إذ أن مسالة الاعتزاز بالأنا مطروحة لدى كل الناس، ولكن بدرجات متفاوتة مستشهداً بما قاله الزعيم البريطاني "تشرشل" عندما سئل: هل تقرأ التاريخ؟ فكانت إجابته بالنفي حيث قال: لا أقرا ذلك، بل أنا الذي يصنع التاريخ[3].

وتعليق على هذه المذكرات بأجزائها الثالثة، خلص أحد الكتاب إلى اعتبارها أهم ما كُتب من الكتابات التاريخية، وأن المؤرخ أو الدارس للتاريخ لا بد له أن يمتلك هذا المؤلف الشهير، خاصة ذلك الذي يعني بدراسة تاريخ شمال إفريقيا، وبالأخص تونس والجزائر[4]، وقد جمع هذه الردود الأستاذ محمد الظاهر فضلاء في كتابة التعريف والتزييف في الحياة كفاح[5]، الذي دفعه للهجوم بدون شهادات واقعية على حياة وأعمال أحمد توفيق المدّني وهي اتهامات خطيرة تمس الدور الذي أداه في تأسيس الجمعية، بل أخطر من ذلك اتهمه بالتعاون مع المخابرات الفرنسية حتى سنة 1956،... وهذا من خلال طريقة تعبير وكلام فارغ وهذا باستشهاد بعدد كبير... من الآيات القرآنية دون الاستشهاد على أي دليل أو حجة دامغة[6].

---

[1]/ التليلي البشير، **المرجع السابق**، ص 106.

[2]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 239.

[3]/ **نفسه**، 239.

[4]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 239.

[5]/ أبو عمران الشيخ وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، المرجع السابق، ص 427.

[6]/ جيلالي صاري، **المرجع السابق**، ص 292.

المبحث الرابع: ردوده على الانتقادات المواجهة إليه

في أعقاب الحملة التي شنت على الشيخ أحمد توفيق وما ورد في مذكراته "حياة كفاح" والتي رأينا فصولها عبر الصحف الوطنية، "الشعب"، "النصر"، "الجمهورية"، والتي اختتمت بجمع الردود والمواقف لبعض المعاصرين، حيث تولى" فضلاء محمد طاهر" إصدارها في كتابه "التحريف والتزييف في حياة كفاح".

وقد قام المدّني بالرد والتعليق على تلك الانتقادات، وبيان وجه الحقيقة، حيث قام بعرض موقفه عبر الصحف التي أشرنا إليها، وتولى بطريقة موضوعية الرد على منتقديه، رغم مرضه وانشغاله بمهمة في تركيا لاسترجاع وثائق الأرشيف العثماني[1].

وجاء في رد "المدّني" على سلسلة المقالات التي نشرها "محمد الصالح رمضان"، وغيره وذلك في قوله: "إنني أفتح صدري لكل مناقشة، وإنني مستعد لفحص كل الحقائق على أنني خلال ردي هذا ألتزم بآداب المناظرة وأبتعد عن استعمال العبارات والألفاظ الجارحة، وهكذا تطورت الأمور وطالب البعض بتخصيص ندوة للمناقشة والمناظرة فكان أن عقدت بالمركز الثقافي الإسلامي يوم 16 أفريل 1978 بمناسبة يوم العلم[2].

ويصف الأستاذ "محمد الهادي" الذي كان أحد الحاضرين لهذه الجلسة حيث وصفها بأنها كانت ساخنة للغاية، ابتدأت في حدود الساعة السابعة مساءاً وانتهت بعد الساعة الثانية صباحاً، وكان من بين المشاركين "محمد الظاهر فضلاء" و"الشيخ أحمد حماني" و"محمد الصالح رمضان" وغيرهم، وإذا كان المنتقدون قد انفعلوا غاية الانفعال وفقدوا هدوءهم واحتكروا النقاش، وهاجموا الرجل فإن "المدّني" ظل هادئاً ومتزناً أدار نقاشه بحكمة وصبر، وهي مميزاته الذي تربى في مدرسة سياسية بتونس، على عكس معارضيه الذي ظهرت عليهم العصبية والاندفاع[3].

وقد قامت صحيفة "الجمهورية" في يوم 22 أفريل 1978 بكتابة تعليقات على أجواء الجلسة المناقشة وكانت بعنوان مناقشة حادة حول كتاب حياة كفاح، حيث قال مراسلها:" ابتدأت المناقشة في جو مشحون وتعالت الصيحات على منبر الخطابة، واشتد الحماس بين شيوخ الجمعية فانقسموا إلى قسمين: فريق يتهم أحمد توفيق المدّني بالتطاول والتحامل مع الشيخ "عبد الحميد بن باديس" وفي مقدمتهم الشيخ "أحمد حماني"... وشاطره في هذا الرأي كل من "محمد الطاهر فضلاء" و"العباس بن الشيخ الحسين"...، أما الفريق الثاني كان أكثر نزاهة وموضوعية واعتدالاً، فسلكوا طريقة المنهجية العلمية في المناقشة، وعمدوا إلى إبراز الايجابيات منها والسلبيات

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 240.

[2]/ **نفسه**، ص 240.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص، ص240، 241.

وقاده الشيخ "سليمان يوسف بن داود"، والدكتور "رابح تركي عمامرة"، والأستاذ "عبد الرحمان شيبان" والشيخ "المليانيّ"[1]. وأنهى المراسل تعليقه بالقول:" ومن خلال نزاهة بعض الشيوخ ظهرت براءة المؤلف، الذي ظل صامداً واثقاً من نفسه كل الثقة، متمسكاً بآرائه، ويستحق الشكر والتقدير لما تحلى به من صبر وتقبل جل الانتقادات بصدر رحب[2].

إلا أن الأمر لم يتوقف عند هذه الحدود، بل تواصلت الحملة حيث ثم جمع الردود المعارضة للمؤلف في كتاب بعنوان "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح"، حيث صدر هذا الكتاب في سنة 1982م ويحتوي على أربعمائة وتسعة وستون صفحة تضمّن إهداء وثلاث أقسام، حيث تناول القسم الأول المعنون: "حقائق و أوهام" الإشارة إلى الندوة التاريخية الشهيرة، ندوة 16 أفريل 1978م، وعرض لتأسيس جمعية العلماء وذكر صفحتها" المنتقد" و" الشهاب" وأبرز الكتاب بهما، وقدّم بعض الشهادات وبعض الوثائق، وعرض أقوال عدد من المشايخ والرواد في شخص المدّني مُعلقا عليها...، أما القسم الثاني فقد عالج فيها سلسلة من المقالات جمعها من الصحف الوطنية وعددها خمسة عشر مقالاً، متنوعة فيما خصص القسم الثالث أسماه بـ:" لواحق" أردج فيه بعض الوثائق التي وظفها في القسمين السابقين مضاف إليها وثائق، تتحدث عن أهمية الرواد الأوائل للجمعية[3].

جاء في مقدمة الكتاب المعارض قول المدني: {{ هذا كتاب في الرد على صاحب كتاب حياة كفاح بين أيدي القراء، مُدعَّماً بوثائق وحقائق ليكون كما وعدنا ماحياً للأوهام المُصّرة على التحريف حتى اليوم، ضمن امتلاءات صاحبها ومحادثاته ومحاضراته[4]، وقوله أيضاً: "وكتاب حياة كفاح لا تخلو صفحة منه من الموبقات التالية الإثم، العدوان، التجنّي، التزّيد، التقّول، التعالي، التطاول، الغزو، تزكية النفس، إدانة الأموات، الكشف عن العورات، إلخ... هذه القائمة عداً"[5].

ومن خلال أسلوب المؤلف والقراءة التحليلية للغة الكاتب وطبيعة القضايا المناقشة، وقيمة الأدلة والشهادات التي أدرجها، اتضح لنا أن المؤلف "محمد الطاهر فضلاء"، قد استخدم أسلوب التشهير والتجريح والاحتقار والاستهزاء، ووظف ألفاظاً نابية واستعمل عبارات لا تليق بقائلها، ولا بحق الذي قيلت فيه، ولم يلتزم بالموضوعية في تناوله للقضايا، فكثيراً ما كيَّف الشهادات ووجهها حسب إدارته، بل تعمد حذف مقاطع من بعضها كما فعل

---

[1]/ أحمد توفيق المدّني، **رد الأديب على حملة الأكاذيب**، المصدر السابق، ص، ص91 _93.

[2]/ **المصدر نفسه**، ص 93.

[3]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص، ص 241، 242.

[4]/ **المرجع نفسه**، ص 242.

[5]/ **نفسه**، ص 242.

مع مقدمة "محمد الصالح رمضان" التي أثني فيها على توفيق المدّني[1].

وإنّ ما عرضه من وثائق قليلة يكتنفها الغموض، ولا ترقى إلى الوثائق المُدينة للمدّني، ولم يكتف المؤلف بالتعليق على القضايا الخاصة بالجزائر، بل عاتب أدباء وكُتاب تونس في شخص "الحبيب اللمسي" على سكوتهم, وتقاعسهم حسب رأيه على ما ورد في "حياة كفاح" وخصوصاً الجزء الأول، من طمس للحقائق واستخفاف بأعلام التاريخ التونسي[2].

والحقيقة أن ما أورده "محمد الظاهر فضلاًء" لا يعكس حسب رأي الكثير من المعاصرين موقفه الشخصي بل كان يمثل من خلاله واجهة لجهات وراء الستار، ويذكر الأستاذ "محمد الهادي الحسيني"، الذي سأل الشيخ "أحمد توفيق المدّني" عن طبيعة الحملة ومن يقف وراءها، بأن المترجم له قد أجابه بالحرف:{{ أولئك مخالب قط لا يريد أن يظهرا، لذلك فهو يعتقد أن المعاصرة لها حساسيات، ومن ذلك حساسية الشيخ "محمد خير الدين" اتجاه "المدّني" ويشاطره نفس الرأي "أبو قاسم سعد الله"، و"أنيسة بركات"}}[3].

ويرى "محمد الصالح رمضان" أحد المشاركين في الكتاب المعارض "التحريف والتزييف" فإن مؤلفه قد بلغ كثيراً، وكان متحاملاً جداً، وبالتالي أفسد الغاية من التأليف موضحاً أنه كان مدفوعاً من قبل الشيخ "محمد خير الدين" الذي كانت بينه وبين "المدّني" حزازات سابقة تعود لمرحلة ما قبل الثورة حين عارض دخول الأخير إلى الجمعية، مضيفاً أن الشيخ "محمد الصالح رمضان"، وهو الذي تولى طبع الكتاب على نفقته وقام بعملية الترويج له بنفسه، ويذهب "محمد الصالح رمضان" في تأكيداته إلى أبعد من هذا، حيث أكد أن الشيخ "محمد خير الدين" قد دعاه إلى المشاركة بقوة في الحملة قائلا:" أنا وأنت الأقرب إلى توفيق المدّني وبلا شك سيؤثر عليه كلا منا أكثر من كلام "محمد الطاهر فضلاء"[4].

ومع صدور كتاب "التحريف والتزييف" وتصاعد لهجة الانتقاد التي مست بشكل غير مسبوق شخصية الرجل حيث تأثر كثيراً بالموقف، وبذل مجهودات إضافية من أجل توثيق ردوده، مما جعله يتخلى عن الكثير من المشاريع العلمية التي كان بصدد التحضير لإنجازها وفي طليعتها الجزء الرابع من حياة كفاح[5].

فقام المدّني بتجهيز كتاباً موثقاً انتهى من تأليفه في شهر 1982م يعتبر خاتمة إنتاجه[6]. حيث أطلق

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر**، المرجع السابق، ص 243.

[2]/ **نفسه**، ص 243.

[3]/ **المرجع نفسه**، ص، ص243، 244.

[4]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 244.

[5]/ خليفي عبد القادر، **المرجع نفسه**، ص 244.

[6]/ فصلاء محمد الحسن، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، المصدر السابق، ص 100.

عليه "رد أديب على حملة الأكاذيب" تضمن مائتين وأربعة وأربعون صفحة، زيادة على عدد من الوثائق أدرجها كملاحق، وقد رسم المؤلف على صفحة الغلاف "المخطوط" شعاره المعروف "الإسلام ديننا، العربية لغتنا الجزائر وطننا"[1].

وقد افتتح المدّني كتابه بالآية الكريمة لقول الله تعالى:**{{ إِنَّ الَّذِيْنَ جَآؤُ بِالإِفْكْ عُصْبَة مِنْكْمْ، لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَكْمْ بَلْ هُوَ خَيْر لَكْمْ، لَكُلِ اِمْرَئ مْنْهُمْ مَا اكْتَسَبْ مِنَ الإِثْمْ وَالذِّيْ تَوَلىَ كِبْرَهْ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابْ عَظِيْمْ}}**[2].

صدق الله العظيم.

وكتب أحمد توفيق المدّني في المقدمة يقول " بعون الله وتوفيقه أفي اليوم بوعدي للسادة الآجلة وللإخوة الصادقين الصالحين، ولأبناء البررة الميامين، وأقدم لهم ما يسَّر الله لي في هذه العجالة من رد أديب على حملة سفه وأكاذيب كنت ضحيتها البريئة وما كنت والله انتظرها... فما كنت أعلم أن أمتنا أمة الجهاد والجلاء والنضال الصادق الشريف، أفراداً تسموه بالحقوق، والتزموا بتحطيم الحقوق، فقابلوا العمل النزيه بالإهانة والتحقير،... واستفزني الأحرار الأبرار من قومي لرد الحملة الكاذبة الخاطئة بأقسى وأفظع منها وأمدوني حفظهم الله بوثائق تكشف الستر عما خفي من فضائح وآثام[3].

ويواصل المدّني في قوله: {{ وهكذا كانت ردودي عليهم جميعاً في صفحتنا الوطنية الكريمة، ولها الشكر الجزيل على صدق عاطفتنا... لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فإن الجماعة الذين لم يتأدبوا بآداب القرآن وإن كان بعضهم ممن يحملون عمائم العلماء سابقاً، قد ظنوا أن تلك الطريقة اللطيفة التي أحبت بها المهاجمين، إنما هي علامة ضعف واستكانة، وقالوا أن الشعب الجزائري لا يحب إلا الفحش في القول، والإسراف في التهور الشنيع... فجمعوا أمرهم على إصدار كتاب لا يكتفي بإعادة نفس الحملة الأولى وما فيها من قول بذئ، وتهجم مقذع بل زادوا عليها إفكاً وزورا وعدواناً شنيعاً... فأصدروا كتاب التحريف والتزييف فقلبوا فيه حقائق ناصعة يعرفها كل الناس، واخترعوا أشياء لا وجود لها، ثم حملوا عليّ من أجلها حملة منكرة}}[4].

ولقد جاء رد الشيخ "المدّني" بأسلوب لطيف بعيد عن التجريح وذلك من خلال قوله" رأيت وجوب إصدار كتاب يعارض يحطم تحريف وتزييف ذلك الكتاب، إنما يكون بغير لهجته إذ هو رد أديب لا شتم فيه ولا سب وبغير طريقته إذ لا كذب فيه ولا تدليس إبليس، بل حقائق ناصعة وحجج ساطعة[5]، وقد قدم المدّني هذا الكتاب

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين، الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص، ص 244،245.

[2]/ **سورة النور**، الآية 11.

[3]/ المدني أحمد توفيق، **رد الأديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص، ص03، 04.

[4]/ **المصدر نفسه**، ص، ص 4، 5.

[5]/ **المصدر نفسه**، ص 06.

الجديد إلى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، قصد نشره وذلك في أواخر سنة 1982م ويقول "محمد الهادي الحسني" المكلف بقراءة ما يعرض للنشر بالشركة، أن الشيخ "المدّني" قد عاد بعد فترة قصيرة وسحب الكتاب قبل إتمام القراءة والاتفاق على الشكل النهائي للنشر، وذلك بطريقة مفاجئة، لدرجة أن محمد الهادي الحسني لم يتمكن حتى من تصوير نسخة منه، معتقداً أن جهات عليا قد طلبت من الشيخ سحب الكتاب[1].

ويقول المؤرخ أبو قاسم سعد الله عن سبب عدم صدور الكتاب، أن الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي قد أطلع على محتوى الكتاب في شكله المخطوط، ويكون قد اقترح إجراء تعديلات، أو حذف بعض الأشياء وأن المؤلف قد تمسك بموقفه، ولم يشأ أن يُعدل في آرائه لذلك توقفت الشركة عن نشره وأعيد إلى صاحبه[2]، وقد تازم المدّني كثيراً، إذ اعتبره مؤازرة ومساندة لحملة مهاجميه، ويذكر "أبو القاسم سعد الله" بأنه طرح سؤالاً على الشيخ "المدّني" قائلاً:" لما تتأذى من عدم نشر الكتاب؟ فرداً المدّني في قوله" لو كنت قدْ مِتُ وانتقدوني، فليس هناك مجال للرد، فالأجيال لا تلومني، لكن وأنا على قيد الحياة ولا يصدر مني أي موقف فهذا أمر غير معقول، ولا بد أن يحكم عليّ التاريخ والأجيال[3].

وقد كان المدّني يريد أن يَتَعَرَفَ الناس على موقفه، وأن يزيل الضبابية التي صحبت نشر الكتاب المعارض "التحريف والتزييف"، وهو ما أشار إليه في قوله" فأنا سأتناول في كتابي هذا وقد أردته مختصراً بسيطاً كل النزهات التي تناولها كتابهم، ولا أخاطب شخصاً منهم بعينه، بل أرد على الكتاب وعما فيه من ضلالات، فليس مقصدي هو الثأر ممن أساء إلي عمداً وعن سؤ قصد، بل أترك أمره إلى الله وهو يدافع عن الذين آمنوا بل مقصدى هو تقديم هذه الحجج والبراهين القاطعة لأبنائي وإخوتي وأصدقائي،... وفي كل بلاد الإسلام الحمد لله كي تظمئن قلوبهم، ويزدادوا إيمانا ويقيناً[4].

ويحتوي هذا الكتاب على خمسة أقسام، تناول في الأول دوره في تأسيس جمعية العلماء، من خلال مساهمته في التحضير للتأسيس، ووضع القانون الأساسي الأول لها، وكتابته لشعار الحركة الإصلاحية الخالد، وذكر مساهمته في تأسيس نادي الترقي، وعرّج على نضاله الصحفي بمجلة الشهاب، وتحرير مقال الكلمة الصريحة الشهيرة، حيث عرض شهادات وأدلة قوية تدعم ما أدرجه في كتابه حياة كفاح الجزء الثاني[5]، ومن ذلك شهادة حمزة بوكوشة والتي وردت في المقال الافتتاحي بجريدة البصائر، والذي كان بعنوان:" جمعية العلماء المسلمين

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 246.

[2]/ **نفسه**، ص 246.

[3]/ **نفسه**، ص 246.

[4]/ أحمد توفيق المدّني، **رد أديب على حملة الأكاذيب**، المصدر السابق، ص 06.

[5]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 247.

الجزائريين تستقبل سنتها الخامسة والعشرون"، ومن بين الأدلة كذلك تقديم المدّني لوثائق ملف جمعية العلماء بأرشيف ولاية الجزائر الذي يحمل رقم 1728م لسنة 1931م حيث تضمن إمضاءات بخط يده عربياً وفرنسياً للقانون الأساسي للجمعية، بالإضافة إلى كتابته بخط يده قائمة أعضاء المجلس الإدارة ولجنة العمل الدائمة[1].

أما القسم الثاني من الكتابات فجاء تحت عنوان:" ظهور كتاب حياة كفاح الجزء الثاني والخصومة الظالمة" حيث عرض فيه أصداء ظهور مذكراته في جزئها الثاني على أعمده بعض الصحف الوطنية مبرزا المحاضرة التي ألقاها بالمركز الوطني للدراسات التاريخية تعريفاً بها، وأثبت هنا ما نقلته صحيفة الجمهورية الصادرة يوم 10 ديسمبر 1977م[2]. وقد عالج في هذا القسم بدايات حملة الانتقاد التي وجهت إليه عبر الصحف الوطنية مكتفياً بعرض ردوده المختلفة في كل صفيحة على حدى دون اقتحام المقالات المنتقدة له، حيث تولى الرد على مقالات الأستاذ "محمد الصالح رمضان"، و"حمزة بوكوشة" و"محمد الطاهر فضلاء" التي نشرت بالصحف الوطنية التي أشرنا إليها[3].

وقد رد المدّني في القسم أيضاً على أسلوب محمد الطاهر على انتقاداته بقوله" "إنما الأمر الذي ساءني في نقد الأستاذ الفضلاء اللاذع، هو استعماله في غمرة الحماس ألفاظاً لا تليق بقائلها، ولا تليق بمن قيلت فيه، إنها ألفاظ شتم وسب، لو كان النقد الذي قدمت خالياً منها لكان أبلغ وأوقع[4].

وبخصوص القسم الثالث فقد كان بعنوان:" مناقشة كتاب التحريف والتزييف" فظروف ظهور هذا الكتاب بعد مرور خمس سنوات من صدور حياة كفاح في جزئه الثاني، ويؤكد "المدّني" من خلال هذا أن هدفه التحطيم والهدم لمكانته التي أحرزها بجهاده الفكري والسياسي، معتبراً أن مهاجميه وبإيعاز من شخصية كبيرة اعتمدوا المثل الفرنسي القائل: أكذبوا ولفقوا فلا بد أن يبقى لذلك أثر[5].

ورد عليهم المدّني بقول الله تعالى:**{{ فَأَمَا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جَفَاءً، وَأَمَا مَا يَنْفَعَ النَاسْ فَيَمْكُثْ فِي الأَرْضْ كَذَلِكِ يَضْرْبْ اللهُ الأَمْثَالَ}}**[6].

صدق الله العظيم

---

[1]/ أحمد توفيق المدّني، **رد أديب على حملة الأكاذيب**، المصدر السابق، ص، ص، 16_ 21.

[2]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص، ص 247،248.

[3]/ أحمد توفيق المدّني، **رد أديب على حملة الأكاذيب**، المصدر السابق، ص، ص 28 _44.

[4]/ **المصدر نفسه**، ص 53.

[5]/ **المصدر نفسه**، ص 96.

[6]/ **سورة الرعد**، الآية 17.

أما القسم الرابع فكان بعنوان :" شيء مما قيل عني" للاستعراض حقيقة علاقاته واتصالاته، وما اتسمت به من حميمة، وتقدير متبادل مع العديد من الشخصيات الفكرية والأدبية والسياسية من الجزائر، وبلدان المغرب العربي والوطن العربي والإسلامي، حيث عرض العديد من الرسائل الودية وذلك لأول مرة[1]. ومقصده من ذلك ليس المفاخرة وإنما التدليل على مركزه الممتاز الذي حاول منتقدوه زرع الشكوك حوله وفي هذا الصدد يقول:" فإذا ما هم نزلوا إلى الحضيض لالتقاط أو لاختلاف عبارات سوء قيلت، أو زعموا بأنها قيلت ضدي، فأنا مضطرا اضطرارا حتمياً أن أقابل ذلك بنقل عبارات حقيقية لا تزوير فيها ولا تدليس تعبر عن حقيقة أحاسيس وشعور فضلاء الأمة نحوي"[2].

وجاء القسم الأخير بعنوان " ردود على ترهات وأباطيل" تطرق فيها إلى مناقشة العديد من القضايا التي أثارها كتاب "محمد الطاهر فضلاء" وختم المدّني كتابه بالقول" إنني ما حررت هذا الكتاب تزكية لنفسي... وإنما تعمدت كتابته وأنا كاره دفاعاً عن جهاد قمت به في سبيل الله لا أرجو به إلاّ وجه الله[3].

---

[1]/ خليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدّني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية**، المرجع السابق، ص 249.

[2]/ أحمد توفيق المدّني، **رد أديب على حملة الأكاذيب**، المصدر السابق، ص 147.

[3]/ **المصدر نفسه**، ص 250.

خـــاتـــمـــة

خاتمة:

وختاماً لهذه الدراسة التي تمحورت حول إسهامات أحمد توفيق المدّني بعد الاستقلال، حيث توصلنا إلى عدة نقاط:

- إن الأوضاع السياسية في الجزائر بعد الاستقلال قد عرفت تدهورها، بداية من الصراع بين هيئة الأركان بقيادة بومدين والحكومة المؤقتة الجزائرية، مما أدى إلى أزمة صائفة 1962م، والتي انتهت برئاسة أحمد بن بلة غير أن الوضع انتهي بانقلاب هواري بومدين عليه 1965م، والتي أطلق عليها تسمية حركة التصحيح الثوري.
- أما الأوضاع الاقتصادية فأقل ما يقال عنها أنها كانت في أوضاع جد حرجة، حيث استمرت الجزائر في ركود اقتصادي، فرغم استقلالها إلا أنها كانت محل استغلال لمختلف الثروات والهياكل خاصة منها البترول.
- فيما يخص الأوضاع الاجتماعية والثقافية فلم تختلف عن سابقتها، فقد عرفت هي الأخرى تزايد كبيرة في هجرة السكان من الأرياف إلى المدن، ما أدى إلى تفاقم الآفات الاجتماعية، كما شهدت الجزائر ظاهرة التزايد السكاني، وهذا عائد إلى ارتفاع معدلات الولادات مقابل انخفاض محسوس لمعدل الوفيات ناهيك عن النسبة المرتفعة للأمية.
- أما عن شخصية أحمد توفيق المدّني فقد لعبت البيئة التي تربى فيها دور كبير في تنشئته، فقد كانت المدرسة الأولى التي تلقى فيها المدني دروس الحياة، فكان لأمه الفضل الكبير في تربيته للقيم الدينية ووالده الذي أخذ منه قيم التضحية والرجولة، كما تشبع بالأفكار السياسية وهو لا يزال يافعاً، والمعروف عن أسرته أنها كانت شديدة العداء والكراهية للاستعمار الفرنسي، وهذا ما استقلت في شخصية المدني وكل هذه العوامل قد ساهمت في رسم توجهه الفكري والسياسي فيما بعد.
- كانت مراحل التكوين التعليمي للمدّني، في البداية من الكتاب، حيث نهل منها دروس القرآن، وواصل درسه، في المدرسة الخلدونية، وأكمل دراسته بجامع الزيتونة، خلال هذه الفترة احتك بالشيوخ ذو الكفاءة والقدرة العلمية، هذا ما ساعده على التكوين الديني العلمي الجيد، ويظهر هذا في توجيهه للكتابة التاريخية خلال مسار حياته فيما بعد.

بالإضافة أن شخصية التطلعية مكنت من ولوج عالم الصحافة فكانت البداية في تونس، ذلك ما أكسب تجربة مكنت من النبوغ والعطاء، فكان صحفي ثائر، انشغل بقضايا الأمة وهمومها في النهضة والحضارة.

استطاع المدني أن يحتل مكانة مرموقة ضمن التيار السياسي التونسي، فشغل مناصب قيادة في الحزب الدستوري الحر، فكانت له مواقف جريئة ومشرفة في الدفاع عن القضية التونسية، وهذا ما تسبب في إبعاده عن تونس للجزائر.

واصل توفيق المدني مشواره النضالي في الجزائر، فكان أول عمل له هو تأسيس النادي الترقي في 1927م الذي كان بمثابة فضاء واسع للحركة الثقافية والأدبية والسياسية لأبناء الجزائر، كما انطوى فيما بعد تحت لواء جمعية العلماء المسلمين التي تأسست سنة 1931م، وبذلك كسب ثقة رجال النهضة والإصلاح في الجزائر، من أمثال "عبد الحميد بن باديس" و"البشير الابراهيمي" وبذلك فقد عالج بقلمه القضية الوطنية الجزائرية، ولم يتوان في الدفاع أيضا عن القضايا التحريرية في العالم من خلال مقالاته المنشورة في جريدتي الشهاب والبصائر.

لقد أثر الشيخ توفيق المدني المكتبة بكتب قيمة لها وزن في التاريخ، والتي تعد مرجعاً أساسياً يستند إليه الباحثين الجزائريين في إنجاز الأطروحات العلمية، وكان الهدف من هذه الكتابات، هو بعث الأمة الجزائرية إلى الحياة من جديدة، وفي ذلك مواجهة الأطراف التي حاولت هدم الهوية الوطنية الجزائرية.

لم يتولى توفيق المدني في خدمة وطنه حتى بعد الاستقلال، فقد ضرب مثلاً للإنسان المثقف الوطني، الذي سخر كل جهوده ووقته لنشر العلم والمعرفة بين أبناء بلده، حيث تولى منصب وزير للأوقاف، وقام بإجراء العديد من التعديلات على الهيكلة الإدارية، فقد تم في عهده إصلاح المساجد التي دمرت من قبل الاحتلال الفرنسي وشرع في نفس الوقت إنشاء مساجد جديدة، فلم تكن تنحصر وظيفتها في إقامة شعائر الصلاة وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، بل عملت الوزارة الجديدة على توسيع نطاق مهام المساجد التي أصبحت منبراً لتربية الشعب وتوجيهه في شتى ميادين الحياة، ومن جهة معاهد إسلامية لتكوين الأئمة تكوينا دينيا تمكنهم من تطوير وزيادة معارفهم وتسهل لهم تأدية مهامهم وبعث المجالات الفكرية، إضافة إلى تنشيط ملتقيات الفكر الإسلامي وتفعيل المركز الوطني للدراسات التاريخية.

كل هذه الجهود تستمد له بنضاله المستمر للحفاظ على الهوية الوطنية.

- نظراً لكفاءة توفيق المدني، فقد أختير عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك 1967م، ولقد أبلى بلاء حسنا في إعادة الاعتبار للغة العربية والثقافية الإسلامية، بكل مكوناتها العقدية والحضارية واللغوية ونشاطه الفكري لم يتوقف عن هذا الحد، بل عمل على إثراء المعاجم التي يصدرها المجمع، ومنها معجم المتوسط الكبير، إضافة إلى بحوثه حول الجزائر التي قدمها في المجمع اللغوي.
- لقد اكتسب أحمد توفيق المدني تجربة دبلوماسية، من خلال نشاطه ضمن الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، وهذا ما مكنه من تولى منصب سفير في عدة بلدان أن المشرق وتم ذلك في جويلية 1971م وحاول بذلك أن يجسد الصورة الحسنة للجزائر في الخارج.
- لقد كان لتوفيق المدني من قضايا الكبرى التي طرحت في الجزائر، ففيما يتعلق بمسألة التعريب، فقد دافع عنها بقوة في أكثر من موقع إيمانا منه أن اللغة هي أحد أركان السيادة الوطنية، وبذلك دعى إلى

أن ينطلق التعريب من ثورة عميقة جماهيرية تتطلع لبعث شخصيتها ولغتها، وإلاَّ فإن التعريب سيبقى قاصراً حبيس المدرسة والكتاب، وقد لقي هذا الموقف تأييدا جماهيريا، مكن اللغة العربية من الارتقاء إلى مكانتها، أما المسألة الثانية وهي النظام الاشتراكي، فقد كان يراها من وجهة نظر إسلامية نابعة من الشعب الجزائري، وعارض من جهة أخرى اشتراكية "كارل ماركس" كونها تعارض وتناقض العقيدة الإسلامية.

- أصدر توفيق المدني مذكراته ضمن ثلاثة أجزاء، إذ تعتبر من المؤلفات الهامة تحت عنوان "حياة كفاح" جسد من خلالها نضاله، وأعطى نظرة عن الحقائق والأحداث التي عاصرها مبيناً بذلك وجهة نظره حول القضايا المعاصرة له، غير أنها لقيت ردود فعل متباينة، فتعالت الأصوات ضد هذا الإنتاج الفكري، وكان أبرزهم "محمد الحسن الفضلاء" بإصدار كتابه الشهير "التحريف والتزيف في كتاب حياة كفاح" حيث تجاوز هذا الهجوم كل حدود اللياقة والموضوعية العلمية وفي النقد والطعن، والحق أن توفيق المدني ورغم مرضه، إلا أنه ردَّ على كل هذه الإشاعات الكاذبة التي تفتقد إلى أدلة صحيحة، وبين بذلك وجه الحقيقة فعالج الموقف بطريقة موضوعية، تخللتها الحجج والشهادات والتي جمعها في كتاب "رد الأديب على حملة الأكاذيب" الذي أصدره سنة 1982م، غير أنه لم ينتشر في وقته، ونشر بعد وفاته.

قائـمـــة الملاحق

رقم الملحق	عنوان الملحق	الصفحة
(01)	صورة أحمد توفيق المدني	**ص124**
(02)	شهادة ميلاد أحمد توفيق المدني	**ص125**
(03)	بطاقة هوية أحمد توفيق المدني	**ص126**
(04)	شهادة جنسية أحمد توفيق المدني	**ص127**
(05)	الصفحة الأولى من تقرير إبعاد أحمد توفيق المدني من تونس إلى الجزائر	**ص128**
(06)	قائمة أعضاء أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية	**ص129**
(07)	تشكيل أول حكومة للجزائر المستقلة	**ص130**
(08)	تشكيلة الثانية للحكومة الجزائرية المستقلة	**ص131**
(09)	مرسوم تعيين أحمد توفيق المدني سفيراً بالباكستان سنة 1971	**ص132**
(10)	الإعلان عن خبر الوفاة ومراسيم تشييع جنازة المرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني بالصحافة الوطنية	**ص133**

قائمـــة المـــراجـــع

والمصادر

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم:

- سورة الرعد, الآية17.
- سورة النور, الآية 11.

أولا قائمة المصادر:

-الكتب:

- ابن باديس، **حياته واثاره، ج1، ط2**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983م.
- احمد بن بلة، **مذكرات احمد بن بلة،ط3، ترجمة:** العفيف الأخضر, منشورات دار الآداب، بيروت 1981م.
- الأمير شكيب ارسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، مراجعة الشيخ حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (ب-س- ن).
- بن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الأولى (1920- 1936)، ج1،ط3**، منشورات السانجي، الجزائر، 2010.
- بن يوسف بن خدة، **شهادات ومواقف**، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- بن يوسف بن خدة، **نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات أيفيان**، تعريب: لحسن زغدار محل العين جبائلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.
- بنجامين ستورا، **تاريخ الجزائر بعد الاستقلال 1962- 1988م**، ترجمة: صباح ممدوح كعدان، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م.
- بوبا كير عبد العزيز، **مذكرات الشاذلي بن جديد ملامح حياة 1929- 1979م، ج1**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012م.
- الثعالبي عبد العزيز، **تونس الشهيدة**، ترجمة وتقديم: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975م.—
- الزبيري الطاهر، **مذكرات أخر قادة الأوراس**، منشوراتanep، الجزائر، 2008م.
- الزبيري الطاهر، **نصف قرن من الكفاح، مذكرات قادة أركان جزائري**، دار الصحافة فريد زويوش الجزائر، 2011م.

قائمة المصادر والمراجع:

- سعد الله أبو قاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية(1930-1945)، ج3**، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1992.
- طالب أحمد الإبراهيمي، **أثار الإمام البشير الإبراهيمي (1929- 1940)، ج1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- طالب أحمد الإبراهيمي، **آثار محمد البشير الإبراهيمي (1954- 1964)، ج5**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- طالب أحمد الإبراهيمي، **من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية(1962- 1972م)**، ترجمة: حنفي بن عيسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (ب- س- ن).
- الطاهر عبد الله، **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية جديدة،ط2**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، (د- س- ن).
- فافرود شارل أنري، **الثورة الجزائرية**، ترجمة: سالم محمد وكاوية عبد الرحمان، منشورات دحلب (ب- ب-ن)، 2010 م.
- فتحي الديب، **عبد الناصر وثورة الجزائر**، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م.
- فرحات عباس، **حرب الجزائر وثورتها ليل الاست**عمار، ترجمة: أبو بكر رحال، مطبعة فطالة المحمدية المغرب، (ب- س- ن).
- فضلاء محمد الحسن، **من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1**، (ب- د- ن)، (ب- ب- ن) 2000.
- فضلاء محمد الحسن، **من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج**2، (ب-د- ن)، (ب- ب- ن) 2000.
- كافي علي، **مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري(1946-1962)** دار القصبة للنشر، الجزائر،1999.
- لوينسي رابح: **الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين**، دار المعرفة، الجزائر 2000م.
- المدني احمد توفيق: **المسلمون في جزيرة صقلية**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.
- المدني احمد توفيق: **جغرافية القطر الجزائري للناشئة لإسلامية**، (ب، د، ن)، الجزائر، 1948م.
- المدني احمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(1492- 1792)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار البعث، الجزائر، 1974.
- المدني أحمد توفيق: **حنبعل(رواية تاريخية)**، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

- المدني احمد توفيق: **حياة كفاح، ج1**،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- المدني احمد توفيق: **حياة كفاح، ج2**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- المدني احمد توفيق: **حياة كفاح، مع ركب الثورة التحريرية، ج3**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982.
- المدني احمد توفيق: **رد الأديب على حملة الأكاذيب**، مخطوط.
- المدني احمد توفيق: **قرطاجة في أربعة عصور تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- المدني أحمد توفيق: **كتاب الجزائر، ط2**، نشر دار الكتاب، البلدية، الجزائر، 1963م.
- المدني احمد توفيق: **محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2010.
- المدني احمد توفيق: **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766- 1791)، سيرته، حروبه أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2010.
- المدني احمد توفيق: **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1754- 1830)** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- المدني احمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة,(ب- س- ن).
- منصور احمد: **الرئيس احمد بن بلة يكشف عن أسرار ثورة الجزائر، ط2**، دار الأصالة للنشر والتوزيع الجزائر، 2009م.
- الميلي محمد، **مواقف جزائرية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

ثانيا: قائمة المراجع:

الكتب العربية:

- أبو جرة سلطاني، **جذور الصراع في الجزائر، ط2**، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999م.
- ابوجرة سلطان، **جذور الصراع في الجزائر، ط2**، دار الامة للنشر والتوزيع، الجزئر، 1999م.
- الأطرش احمد الشريف، **تاريخ الجزائر في خمسة قرون، ج3**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م.

- الاقداحي هشام محمود، **علم التفاوض الدولي والاتصال الدبلوماسي**، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية 2010.
- بديدة لزهر، **دارسات في تاريخ الثورة الجزائرية**، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- بسكر محمد، **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج2**، دار كردادة الجزائر (ب- س- ن).
- بكار العايش، **حزب الشعب ودوره في الحركة الوطنية (1939-1937م)**، دار شطايبي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- بلخوجة الطاهر، **الحبيب بورقيبة، سيرة زعيم شهادة على العصر**، الدار الثقافة للنشر، القاهرة، 1999م.
- بلخوجة عمار، **الحركة الوطنية الجزائرية أبطال ومعالم**، ترجمة: مسعود حاج مسعود,منشورات ألف الجزائر، 2015م.
- بلعباس محمد، **الوجيز في تاريخ الجزائر**، دار المعاصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- بن خليف عبد الوهاب، **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، دار دزاير انفو، الجزائر 2013م.
- بن لمبارك نجيب، **تحفة البصائر في دخائر مدينة الجزائر، ج1**، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع الجزائر، 2013م.
- بن لمبارك نجيب، **تحفة البصائر في ذخائر مدينة الجزائر، ج2**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع الجزائر، 2013م.
- بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997م.
- بورنان سعيد، **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962م)، رواد الكفاح السياسي والإصلاحي (1954-1900م)، ج2، ط3**، دار الآفل، الجزائر، 2015م.
- بوصفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية (1954-1931)**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1981م.

- بوصفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى- دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة-**، دار مداد يونيفارسيتي براس، الجزائر، 2009م.
- بوصفصاف عبد الكريم، **رواد النهضة والتجديد في الجزائر (1889-1965)**، دار الهدى، الجزائر 2007م.
- بوطيبي محمد، **دور المثقفين الجزائريين في الحركة التونسية مابين(1900- 1930)**، دار الهدى الجزائر، 2012م.
- بوغابة يوسف، **معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دراسة تحليلية**، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2013م.
- تليلاني إحسان، **جريدة النجاح حقيقتها ودورها**، دار الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.
- ثنيو نور الدين، **إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، الناشر مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2015م.
- جورج الراسي، **الإسلام الجزائري من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات**، دار الجديد، بيروت 1997م.
- جورج الراسي، **الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر**، دار القصبة للنشر الجزائر، 2008م.
- حليم ميشال حداد، **عاطف عيد، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم، تونس الجزائر** EDITO CREPS INTER NATIO NAL، بيروت، 1999م.
- حمادو عبد الرحمان، **مرجعيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ج1**، ذكرة الناس للنشر،الجزائر 2016م.
- حميد عبد القادر، **فرحات عباس رجل الجمهورية**، دار المعرفة، الجزائر، 2011م.
- خرشي جمال، **الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر (1830-1962)**، دار التوصية للنشر، الجزائر، 2009م.
- خلفيي عبد القادر، **احمد توفيق المدني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية (1899- 1983م)**، دار المحابر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

- دائرة المعارف التونسية، **الكراس 1995/5، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون**، بيت الحكمة، تونس، 1995م.
- دبلة عبد العالي، **الدولة الجزائرية الحديثة(الاقتصاد، المجتمع، السياسة)**، دار الفجر، القاهرة، 2004م.
- دليو فضيل، **تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة، (2012-1830م)**، دار هومة، الجزائر، 2014م.
- رشيد بن ايوب، **دليل الجزائر السياسي**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعة، الجزائر، 1999م.
- الرفاعي احمد شرفي، **مقالات علماء جمعية العلماء المسلمين، الشيخ الطيب العقبى، ج2**، دار الهدي الجزائر، 2011م.
- ريس لين كميل، **السياسة الثقافية بالجزائر**، ترجمة: نذير طيار، دار كتابات جريدة للنشر الالكتروني (ب- ب- ن)، 2016م.
- الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة في الجزائر، ج1**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982م.
- الزبيري محمد العربي، **الغزو الثقافي في الجزائر (1962- 1982م)**، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر، 1986م.
- الزبيري محمد العربي، **المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة**، منتدى سور الأزبكية، الجزائر، 1989م.
- الزبيري محمد العربي، **تاريخ الجزائر المعاصر (1954- 1962)، ج02**، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.
- الزبيري دمحمالعربي، **تاريخ الجزائر المعاصر، ج1،- دراسة-** ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب (ب- ب- ن)، 1999م.
- زرهوني الطاهر، **التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال**، دار موفم للنشر (ب- ب- ن) 1993م.
- زروال محمد، **إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية- الولاية الأولى نموذجا**، دراسة مدعومة بوثائق لم تنشر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.
- زروقة عبد الرشيد، **جهاد بن بأديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940م)**، دار الشهاب، بيروت، 1999م.

قائمة المصادر والمراجع:

- زغدودة علي، **ذاكرة ثورة التحرير الجزائرية**، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والإشهار الروبية aned، (ب، ب، ن)، 2004م.
- زغيدي محمد لحسن، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956- 1962**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م.
- زوزو عبد الحميد، **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة**، دار هومة، الجزائر، 2009م.
- السامي علي الحسين، **الدبلوماسية نشأتها وتطورها وقواعدها ونظام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية، ط5**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2011م.
- سعد الله أبو قاسم، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1**، دار البصائر، الجزائر، 2007م.
- سعد الله أبو قاسم، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج3**، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990م.
- سعد الله أبو قاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي (1930- 1954م)، ج7**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م.
- سعد الله أبو قاسم، **دارسات في الأدب الجزائري الحديث**، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (ب-س- ن).
- سماعيلي زوليخة المولودة علوش، **تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، دار دزاير أنفو، الجزائر، 2013م.
- شارل روبير **اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر**، ترجمة: عيسي عصفور، منشورات عويدات، بيروت 1982م.
- شاكر محمود، **التاريخ الإسلامي-14- التاريخ المعاصر بلاد المغرب، ط2**، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996م.
- شترة خير الدين، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939) دار البصائر للنشر والتوزيع**، الجزائر، 2008م.
- صاري احمد، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، تقديم: أبو قاسم سعد الله، الطبعة العربية، غرداية، 2004.
- صاري جيلالي، **بروز النخبة الجزائريّة (1850-1950)**، ترجمة: عمر المعراجي Anep، الجزائر (ب-س-ن).

قائمة المصادر والمراجع:

- الطاهر بلخوجة، **الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على عصر**، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1999م.
- عبد الحميد إبراهيمي، **في أصل المأساة الجزائرية شهادة عن حزب فرنسا الحاكم في الجزائر 1958- 1999م**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م.
- العسلي بسام، **جهاد الشعب الجزائري قادة الجزائر التاريخيون، ج3**، دار النفائس، بيروت، 2009م.
- عسي الحسن، **أعظم شخصيات التاريخ (دينية، أدبية، سياسية، علمية، فلسفة)**، مراجعة وتدقيق: عبد الله المغربي، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010م.
- عفرون محرز: **مذكرات من وراء القبور, الانبعاث(احكي لي عن 1نوفمبر 1954), ج3**, ترجمة: مسعود حاج مسعود, دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- عفرون محرز، **مذكرات من وراء القبور، تأملات في المجتمع، ج2**، ترجمة: مسعود حاج مسعود دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع, الجزائر, 2010م.
- علوي محمد، **قادة ولايات الثورة الجزائرية (1954- 1962)**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013م.
- علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925م إلى 1946**، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007م.
- عمار بومايدة، **بومدين والاخرون، ماقاله...وما اثبتته الايام...**، تقديم:عبد الحميد مهري، دار المعرفة، الجزائر، 2008م.
- العمامرة سعد بن البشير، **هواري بومدين الرئيس القائد(1932- 1978)**، قصر الكتاب، الجزائر 1997م.
- عمري الطاهر، **النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بدايات القرن العشرين إلى مابين الحربين العالميتين**، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009م.
- عميمور محي الدين، **سفيرا زاده الخيال**، دار موقع للنشر، (ب- ب- ن)، 2008م.
- عواطف عبد الرحمان، **الصحافة العربية في الجزائر -دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية1954 -1962**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
- فيصل محمد موسي، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة (ب-ب-ن) 1997م.

قائمة المصادر والمراجع:

- القصاب احمد، **تاريخ تونس المعاصر (1881- 1956)**، تعريب: حمادي الساحل، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.
- كاشة ألفرحي بشير، **صفحات مشرقة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1951-1953)، جريدة المنار نموذجا، ج1**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2010م.
- كواتي مسعود: **تاريخ الجزائر المعاصر وقائع ورؤى**، دار هومة، الجزائر، 2011م.
- كواتي مسعود: **شخصيات جزائرية مواقف وأثار ونصوص**، دار طيليطلة، الجزائر،2011م.
- لونسي رابح: **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف، (1920- 1954)**، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009م.
- لونيسي رابح, بشير ملاح: **تاريخ الجزائر المعاصر من(1830-1989)، ج1**، دار المعرفة الجزائر 2006م.
- لونيسي رابح، بشير ملاح: **تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، ج2**، دار المعرفة، الجزائر 2010م.
- مجموعة من الباحثين: **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، تنسيق: الهادي التيومي، بيت الحكمة تونس، 1999م.
- المحجوبي علي: **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**, منشورات الجامعة التونسية, (ب- ب- ن) 1986 م.
- المحجوبي علي: **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904- 1934م)**، تعريب:عبد الحميد ألشابي بيت الحكمة، تونس، 1999م.
- محمد الشريف ولد الحسين: **من المقاومة إلى الحرب من اجل الاستقلال (1830- 1962)**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010م.
- محمد الصالح الصديق: **أعلام من المغرب العربي، ج3**، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2007م.
- محمد الصالح الصديق: **أعلام من المغرب العربي، ج3، ط2**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008م.

- محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تعريب: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م.
- محمد بلقاسم: **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910-1954)**، دار القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- محمد بهي الدين سالم: **ابن بأديس فارس الإصلاح والتنوير**، دار الشروق، القاهرة، 1999م.
- محمد عباس: **ثوار...عظماء شهادات سبعة عشر شخصية وطنية**، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م.
- محمد ناصر: **الصحف العربية الجزائرية(من 1847الى 1939م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1980م.
- المديني توفيق، **المعارضة التونسية نشأتها وتطورها- دراسة -**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م
- محمد: **ومضات من درب الحياة**، منشورات السانجي، الجزائر، 2013م.
- مفدي زكريا: **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003م.
- مقلاتي عبد الله: **المشروع الفرنسي الصليبي الإحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830-1962م**، منشورات سعيدي نايل، الجزائر، 2013م.
- ملاح عمار: **المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19مارس إلى سبتمبر 1962م**، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005م.
- مورو محمد: **الجزائر تعود إلى محمد"ص"بعد 500عام من سقوط الأندلس (1492-1992)**، الناشر المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.
- الناصر خليفة: **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3**، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005م.
- الهاوي احمد درواز: **العقيد محمد شعباني الأمل والألم**، دار الهدى للنشر، الجزائر، 2009م.
- يحي أبو زكريا: **الجزائر من احمد بن بله إلى عبد العزيز بوتفليقة**، دار ناشري (ب- ب- ن)، 2003م.

- يحي أبو زكريا: **الحركة الإسلامية في تونس من الثعالبي والى الفنوشي**، دار النشر (ب- ب-ن) 2003م.
- يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1**، دار الغرب الإسلامي بيروت،1995م.
- يحي جلال، **المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال، ج3**، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1966م.
- يزلي عمار، **الثقافة في مواجهة الاحتلال- دراسة-**، دار السهل، الجزائر، 2009م.

الكتب الفرنسية:

- Ahmed Taleb Ibrahim :**mémoire d'un algérien**, tome2, Edition casba, algar, 2008, p46
- Fatima zohra guechi :**l'agresse algérienne de langue arabe(1946-1954)** ,(enjeux politiques en jeux de plume), Algérie, bahaeddine, éditions, 2009
- Mohamed Boudiaf ,**la preparation du ,1er nofembre**, dare inga mane,Alger,2011

الموسوعات:

- بلقا سمي بوعلام: **موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
- مقلاتي عبد الله: **موسوعة أعلام وأبطال الثورة الجزائرية**، الكتاب الخامس، وزارة الثقافة، الجزائر(ب- س- ن).

المعاجم:

- أبو عمران الشيخ وآخرون: **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م.
- أبو عمران الشيخ، ناصر الدين سيعودني: **معجم مشاهير المغاربة**، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، الجزائر، (ب- س- ن).

- بوزواوي محمد: **معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من (1798– 2009)**، الدار الوطنية للكتاب،الجزائر، (ب، ب، ن).
- بوصفصاف عبد الكريم: **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ج1**، دار مدار يونيفارستي برأس، الجزائر، 2015م.
- بوصفصاف عبد الكريم: **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2**، دار مداد يونيفارستي براس، الجزائر، 2015م.
- شترة خير الدين: **معجم أعلام الجزائر، خرجي الجامع الأعظم بتونس، ج3**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م.
- مرتاض عبد المالك: **معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين**، دار هومة، الجزائر، 2007م.
- نويهض عادل: **الأعمال الخاصة بالجزائر – معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ج1**، دار الأبحاث، الجزائر، 2013م.
- نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)**، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، 2011م.

المجلات:

أ) الشهاب:

- أبو محمد: اليوم الأعز، **الشهاب**، م10، ج5، محرم 1352.
- بن بأديس عبد الحميد: **الشهاب**، المجلد04، السنة04، العدد 160، 17اوت 1928م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001
- الشهاب: **تصدي تقويم المنصور لسنة (1926/ 1345م)**، العدد29، 3جوان، 1926م.
- الشهاب: **تقويم المنصور وشعره الصادق**، العدد51، 3 أوت 1926م.
- المدني احمد توفيق: " **قرطاجنة في أربعة عصور تاريخ شمال إفريقيا إلى الفتح الإسلامي**"، الشهاب العدد92، قسنطينة، 14أفريل1927.
- المنصور: **كلمة مرة لأنها صريح الحق ولباب الواقع**، مجلة الشهاب، م13، ج09، المطبعة العربية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، نوفمبر، 1937.

ب) البصائر:

- بوكوشة حمزة: **جمعية العلماء تستقبل سنتها الخامسة والعشرون**، البصائر، ع317, 6 ماي1955.
- سحنون أحمد: **توفيق أعطيت توفيقا**، البصائر، العدد61، 27ديسمبر1948.
- مجهول الكاتب: **الجمعية الخيرية الإسلامية**، البصائر، السنة الأولى، العدد04، الجمعة 29شوال1354.
- المدني احمد توفيق: "**مبارك ألميلي مؤرخ الجزائر**"، البصائر، العدد26، الجزائر، 8 مارس1948.

ج) مجلة إفريقيا:

- مجهول الاسم: **جمال عبد الناصر الاسم المحفور على قلب إفريقيا**، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد السادس، يونيو2013.

د) الأصالة:

- التليلي بشير: " **حول مذكرات كفاح**"، تعريب: محمد بلقراد، مجلة الأصالة، العدد54، 55 فيفري- مارس، 1978.
- علال الفاسي: **نهضة التعليم الأصلي في الجزائر**، مجلة الأصالة، العدد07، الجزائر، مارس، افريل 1972.
- المدني احمد توفيق: " **حياة كفاح**"، مجلة الأصالة، العدد(55-54)، الجزائر، فيفري، مارس،،1978م.
- المدني احمد توفيق: " **كلمة الافتتاح في الملتقي السابع للفكر الإسلامي**"، مجلة الأصالة، العدد16 الجزائر، سبتمبر، أكتوبر، 1973.
- المدني احمد توفيق: **أحوار حول كتاب 80 سنة على الجزائر العثمانية**، مجلة الأصالة، العدد20 الجزائر، ماي، جوان1974م.
- المدني احمد توفيق: **عبد الحميد بن بأديس العظيم**، الأصالة، العدد 44، الجزائر، افريل، 1977م.

- المدني احمد توفيق: **كلمة جلسة افتتاح الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي**، مجلة الأصالة العدد16، الجزائر، سبتمبر، أكتوبر، 1973.

هـ/مجلة العلوم الإنسانية:

- كربالي بغداد: **نظرة عامة على التحولات الاقتصادية في الجزائر**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثامن جانفي، 2005م.
- وزارة المجاهدين، **الذكرة ال05 لوفاة رئيس الجزائر المجاهد العقيد الشاذلي بن جديد**، مطبوعات متحف المجاهد لولاية تيسيمسيلت، 06 أكتوبر 2012- 2017م.

القواميس:

- شرفي عاشور: **معلمة الجزائر، القاموس الموسوعي (تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام ومعالم)**، دار القصبة للنشر، (ب- ب- ن)، 2009م.
- مقلاتي عبد الله: **قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية**، منشورات بلوتو، الجزائر، 2009م.

الملتقيات:

- إسعيداني سلامي: **المسار الثوري الجزائري من خلال وصف سياسي وقانوني**، الملتقي الدولي حول الثورة التحريرية الكبرى(1954- 1962م)، دراسة قانونية وسياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة 08ماي1945م، قالمة,، 02 و03 ماي 2012

الرسائل والأطروحات الجامعية:

- احمد بن جابو: **المهاجرين الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830- 1954)**، أطروحة مقدمة لكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: يوسف مناصريه, قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقا يد تلمسان، 2010- 2011م.
- بلحاج صادق: **الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاح والتقليدي (1919- 1939)**، دراسة مقارنيه، مذكرة مقدمة لنيل شاهدة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، تحت إشراف: بوشيخي شيخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2011- 2012.

- بن دحمان سارة: **واقع الجزائر الاجتماعي والثقافي فيما بين(1962- 1978م)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، تحت إشراف: بنادي محمد الطاهر، شعبة تاريخ، قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013, 2014.
- بن شعبان ألسبتي: **الحركة الوطنية في منطقة قالمة (1919- 1954)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع ألمغاربي الحديث والمعاصر، تحت إشراف: عبد الرحيم سكفالي، قسم التاريخ, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009- 2010م.
- بوضياف محمد: **مستقبل النظام السياسي الجزائري**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: محمد سليم قلالة، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 2008م.
- بومعزة نوال: **الثورة الجزائرية في الرواية العربية الجزائرية من الواقع إلى المتخيل- دراسة موضوعاتية-** جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، (د-س-ن).
- تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نأيت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الجزائرية (1927- 1992)**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، تخصص الحركة الوطنية، إشراف خمري الجمعي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006- 2007.
- خليفي عبد القادر: **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899- 1983)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: بوصفصاف عبد الكريم، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة 2006- 2007م.
- خليفي عبد القادر: **الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية (دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931-1951**، قسم التاريخ، جامعة المسيلة (ب- س- ن).
- داهش محمد علي: **دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي**، اتحاد كتاب العرب، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2004 م.

- عبد الغفور شريف: **موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954- 1956)**، دراسة وصفية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية والإعلام، جامعة الجزائر3، 2010-2011م.
- عمارة نورة: **النمو السكاني والتنمية المستدامة- دراسة حالة الجزائر**- مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير، شعبة اقتصاد البيئة، تحت إشراف: عبد الأمير السعد, قسم العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة بأجي مختار، عنابة، 2012م.
- قدادرة شايب: **الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري (1934-1954م)**، دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الدولة في التاريخ، الحديث والمعاصر، تحت إشراف: عبد الرحيم سكفالي، قسم التاريخ وعلم الآثار الدراسات العليا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007م.
- قسوم أم الخير: **تطور حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (1946-1954م)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، تحت إشراف: الأمير بوغدادة، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012-2013م.
- كحول سميحة: **احمد بن بلة ونشاطه السياسي من 1937الى وفاته**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، تحت إشراف: اجقو علي، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014- 2015م.
- لعزيزي صبرينة، حياة بكرالس: **التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للجزائر (1965-1978)** مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: عبد القادر فلوح، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة، مليانة 2015- 2016م.
- لهلالي اسعد: **الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر (1902-1993)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: عبد الكريم بوصفصاف،

قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006.

- مائدة خضير علي السعدي: **احمد بن بلة ودوره السياسي والاقتصادي والاجتماعي حتي عام 1965م رسالة إلى مجلس كلية التربية – ابن رشد-** جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير آداب في التاريخ الحديث، تحت إشراف: نوري عبد الحميد العاني، كلية التربية – ابن رشد- جامعة بغداد، 2004م.
- مجهول الاسم: **الحزب الدستوري الجديد ودوره في القضايا التحريرية المغاربية (1947- 1956) القضية الجزائرية** – نموذجا- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، اختصاص ضفتي البحر الأبيض المتوسط (المغرب- أوربا)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2007- 2008م.
- مريوش احمد: **الشيخ الطيب ألعقبي ودوره في القضية الوطنية**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1992.
- مصطفي عتيقة: **المجاهد مولاي –الرائد عبد الوهاب حياته ومسيرته النضالية بين (1925-1962م) قائد المنطقة الثالثة، الولاية الخامسة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ الثورة الجزائرية (1962-1954م)، تحت إشراف: موفق محمد، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009- 2010م.
- معزة عز الدين: **فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية- مقارنة-(1899-2000)** أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: بوصفصاف عبد الكريم قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009- 2010.
- معزة عز الدين: **فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899- 1985م)** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: بوصفصاف عبد الكريم قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005.

- ميسوم بلقا سم: **الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية (1962-1830م)**- دراسة تحليلية- رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2001م.
- وناسي سهام: **النمو الحضاري ومشكلة السكن والإسكان**- دراسة ميدانية بمدينة باتنة حي 1020مسكن، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، تحت إشراف: مصطفي عوفي, قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضرباتنة، 2008-2009م.
- يوسف مناصريه: **الحزب الحر الدستوري التونسي(1919- 1934)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: أبو قاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986م.

المواقع الالكترونية:

1. بن قينة عمر: **الكاتب المنسي المفكر" أحمد توفيق المدني**" fill : ///c:/userur pc/down/oads/ اطلع يوم05 فيفري 2017، الساعة12:00 .
2. حسينة/ل:**تطور المنظومة الصحية الجزائرية منذ الاستقلال** https://www.djazairess.com/ الاربعاء:21مارس2018, على الساعة07:41.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

بسملة:	/
شكر وعرفان:	/
إهداء :	/
مقدمة:	ص(أ _ب)
I. الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة للجزائر بعد الاستقلال(1962_ 1965م)	ص(07_36)
1) المبحث الأول: الأوضاع السياسية	ص07
2) المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية	ص20
3) المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية	ص36
II. الفصل الأول: أضواء على النشأة الاجتماعية والثقافية والمسار الفكري والسياسي للمدني (1899_ 1962م)	ص(38_81)
1) المبحث الأول: المولد والنشأة	ص38
2) المبحث الثاني: تكوينه الدراسية	ص41
3) المبحث الثالث: نضاله في تونس	ص43
4) المبحث الرابع: نضاله في الجزائر	ص53
5) المبحث الخامس: نماذج من إسهاماته في بعث الذاكرة التاريخية	ص71
III. الفصل الثاني: إسهامات أحمد توفيق المدني في الجزائر المستقلة (1962_1983م)	ص(83_118)
1) المبحث الأول: وظائفه الرسمية في أجهزة الدولة	ص83
2) المبحث الثاني: موقفه من القضايا الكبرى	ص96
3) المبحث الثالث: مذكرات حياة كفاح وردود الفعل	ص104
4) المبحث الرابع: ردود على الانتقادات الموجهة إليه	ص112
خاتمة:	ص120
قائمة الملاحق:	ص124
قائمة المصادر والمراجع:	ص135
فهرس المحتويات:	ص154
فهرس الملاحق:	ص155